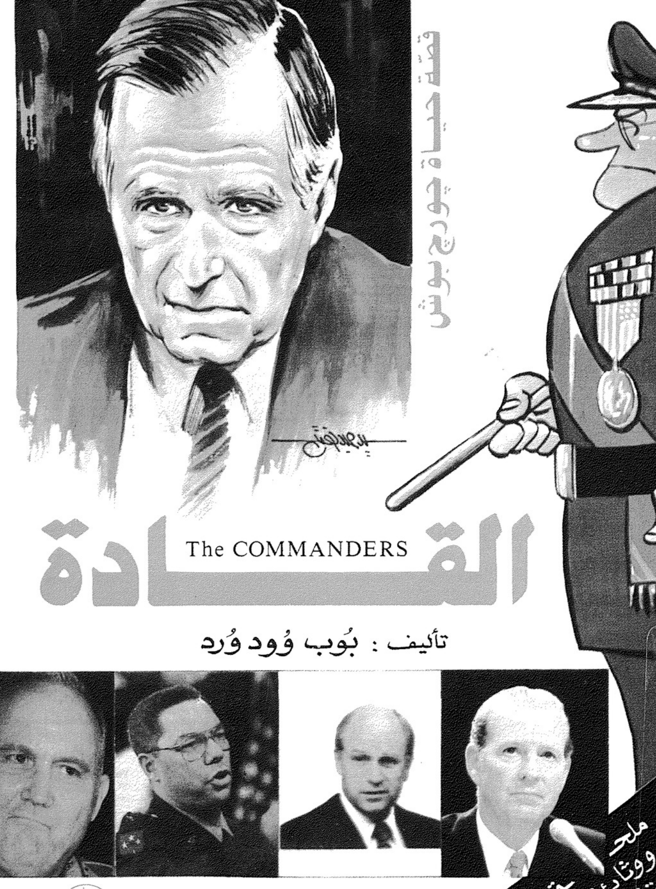



# القادة

# The COMMANDERS

تأليف : بُوب وُود وُرد

ترجمة : فــريق
من الخبراء العرب


دار الكتاب العربي
دمشق - سورية


القادة
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

# القاده

تأليف

بوب ودوورد

ترجمة لجنة من الخبراء العرب



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار الكتاب العربي

دمشق ـ الحلبوني ـ مدخل فندق الشموع
هـاتف: ٢٢٣٨١١ ـ ص ب: ١٢٣٤٤ دمشق تلكس/دمشق/٤١١٥٤١

القاهـرة ـ مصر الجـديـدة ـ مساكن مصر للتعمير
شيراتون المطار المنطقة الثالثة عمارة ٢٢ شقة ٤ هاتف ٢٦٩٢٧٥١

## قبل أن تقرأ

ما بين يدي القاريء هو الترجمة الكاملة لكتاب (القادة) للكاتب الأميركي الشهير / بوب ودوورد وبخاصة الأجزاء المتصلة بأزمة الخليج وأسرارها الكثيرة والمثيرة ، ولقد تعمدنا في هذه الترجمة الموسعة أن نركز على الجانب العربي المتصل بأزمة الخليج بصفة خاصة ومع تبويب جديد للغاية وذلك بالإضافة لتقديم لهذا العمل الموسع بمقدمة شاملة تكشف أبعاد الواقع العربي بعد انتهاء الحرب وذلك لأن كتاب القادة يقف زمانياً عند اشتعال القتال في الخليج أي يقف عند يوم ١٩٩١/١/١٧م .

من هنا رأينا أن نضيف هذه المقدمة والصور النادرة فضلاً عن التوسع والاختزال في بعض المواضع ، كل ذلك حتى يظهر العمل بهذا الشكل الجديد والمتميز وسط الترجمات العديدة والمختلفة لكتاب (القادة) .. نأمل أن نكون قد وفقنا من أجل خدمة العلم والثقافة الجادة في وطننا العربي .

معدو الكتاب

# الجزء الأول

* * *

## مقدمة الترجمة العربية الكاملة

***

## ( مدخل تحليلي عام للواقع العربي )

# مقدمة الترجمة العربية الكاملة

## ( مدخل تحليلي عام للواقع العربي )

* لقد أثار كتاب (القادة) للكاتب الأمريكي بوب ودوورد ردود فعل عالمية وعربية عديدة ، وذلك لما احتواه من وثائق وحقائق جديدة عن حرب الخليج .

ونحن هنا كفريق مترجم لهذا العمل ، رأينا احتراماً لأمانة الكلمة أن نورد تحليل عام ، وموضوعي للواقع العربي بعد الحرب الشرسة ، وبخاصة واقع أطراف الأزمة الرئيسيين : الكويت – العراق – السعودية ، وكيف أثرت هذه الحرب عليهم جميعاً بالسلب وليس بالإيجاب .

إن هذا استدعى منا أن نورد الحقائق التالية عبر هذين المحورين :

المحور الأول : الواقع العربي بعد الحرب .

المحور الثاني : تقرير دولي سري عن الأوضاع الداخلية بالعراق بعد الحرب .

وإلى تفصيل ذلك ...

# المحور الأول

## الواقع العربي بعد الحرب

تذكر الحقائق أن الأوضاع قد تدهورت في العراق والكويت بعد انتهاء الحرب ،،، وبداية تقول الحقائق السرية التي تكشفت حديثا عن واقع ما بعد الحرب أن هدف تفتيت العراق كان مطلباً دولياً ففي مايو ١٩٩١م كشف النقاب في العاصمة البريطانية عن أسرار جديدة في تطورات حرب الخليج وقالت مصادر سياسية أن الحكومة البريطانية مارست ضغوطاً على الولايات المتحدة لتأجيل إنسحاب قوتها من شمال العراق ، فيما اقترح دوجلاس هيرد وزير الخارجية البريطانية على نظير الأميركي تشكيل قوات تدخل سريع علي الحدود العراقية - التركية فيما أكدت بريطانيا ضرورة الإطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين ورفض التطبيع مع نظامه العدواني أياً كانت النتائج .

فقدد ذكر في لندن أن الإدارة السياسية في واشنطن رفضت ضغط اللوبي العسكري لتحقيق هدف إزاحة صدام حسين بعد انهيار قواته العسكرية أثر إعلان قوات الحلفاء بدء المعركة البرية ، بعد أن تمت عملية عاصفة الصحراء مهمتها في منع توغل القوات العراقية إلى المملكة السعودية .

وكان الرفض السياسي لإدارة بوش ، يستند على قراءة صحيحة ، فمعنى إسقاط النظام العراقي عن طريق قوة عسكرية غربية استمرار حساسية رافقت وصول هذه القوات داخل أرض المنطقة كما أن هذه الخطوة في حالة تنفيذها تعطي اللوبي المناصر للعراق بعض الأسلحة لتدعيم دعايته حول التدخل الأجنبي .

ورفض بوش إلحاح الجنرالات ، الذين كانو يجدون الطريق إلى بغداد مفتوحاً بعد انهيار الآله العسكرية العراقية عند أول احتكاك مع القوات الدولية .

وكانت القوة العربية المشتركة في عملية عاصفة الصحراء قد اعلنت أن أهدافها تحرير الكويت فقط ، وإنه ليست لديها نية العمل على ضم أرض عراقية أو الزحف نحو بغداد لإسقاط النظام العراقي لذلك توقفت في مناطق بجنوبي العراق لتأمين الحدود الكويتية ، ولمنع تحرك القوات العراقية مرة أخرى نحو أهداف الكويت .

كما رفض بوش ضغوط الجنرالات الذين كانوا يتطلعون إلى الإطاحة بصدام حسين باعتباره المسؤول الأول عن احتلال الكويت ، وأن استمراره على رأس السلطة يجهض المكاسب العسكرية التي تحققت على أرض المعارك .

وكان من رأي الحلفاء أن هزيمة العراق العسكرية ، سيمنح قوات سياسية مؤثرة خصوصاً داخل الجيش الفرصة للإطاحة بصدام ، وإحلال سلطة سياسية جديدة في بغداد تكون قادرة على الحوار مع الأسرة الدولية .

وقالت المصادر السياسية في لندن أن النظام العراقي استغل التمرد الكردي في الشمال لطرح شعار أن العراق في خطر ، وأنه معرض للتقسيم ، وتحركت قوى سياسية غير ناضجة في الجنوب إذ طرحت شكل الانفصال عن العراق ، وتحقيق شعارها بإقامة دولة ذات توجه سياسي وديني شيعي.

هذا التحرك أزعج الشعب العراقي من ناحية وأربك الخطط الدولية لأن (النظام العالمي الجديد) لا يحتمل وجود دولة جديدة في جنوب العراق وأخرى في الشمال ، لأن ذلك يهز من معادلة الاستقرار في المنطقة ومن هنا فإن الحلفاء أعلنوها صريحة ، إنهم مع دولة عراقية موحدة ، وغير مجزأة .

هذا الإعلان التقطه النظام العراقي الذي يتمتع بانتهازية واضحة إذ تحرك

لضرب تمرد الجنوب بعنف ، وتحقق له الهيمنة الإدارية على الأقليم وتحرك أيضاً نحو الشمال لاستعاده مدنه من التمرد الكردي .

ونجح النظام في قهر التمرد الكردي ، مما ترتب عليه اشتعال أزمة اللاجئين الأكراد بمظهرها المأساوي الذي نقلته محطات التليفزيون العالمية .

وكان القيام بمعسكرات المنطقة الآمنة ، تحت حماية القوات الدولية خاصة الأميركية والبريطانية أن قوات الحلفاء ، تريد خروج صدام من السلطة ، إلا أن الرجل المناور تحرك مرة أخرى ، بشكل انتهازي وقام بالاتصال مع قيادة الأكراد الممثله في الطالباني والبرزاني .

هذا الاتصال أضعف ضغط الحلفاء باتجاه سقوط صدام ، لأنه أعطى النظام العراقي مصداقية كان يحتاج لها بأنه يمثل العراقيين ، وأنه القادر على تحقيق الإصلاح السياسي وإعادة اعمار ما دمرته الحرب داخل العراق وخارجه .

وأوضحت المصادر أن التطورات جعلت النظام العراقي يضغط على إنهاء المقاطعة الدولية ضده خصوصاً بعد اظهاره الالتزام بمطالب المجتمع الدولي وقيادة الحلفاء السياسية .

ولقد قامت خطة صدام على الحصول على موافقة الولايات المتحدة على عودته إلى الساحة الدولية مرة أخرى ، وبسبب الموقف في العراق والخوف من انفجار موضوع الجنوب واختلال التوازن فإن واشنطن في موقف متذبذب رغم أن جون كيلي مساعد وزير الخارجية الأميركية أعلن أنه لابد من سقوط صدام لتحقيق تطبيع العلاقات مع بغداد .

لكن المشكلة أن صدام قمع امكانية تغييره من داخل العراق ، إذ تحرك على ساحة العمل الداخلي من أجل جذب التأييد له ، وترك صدام إمكانية اشتعال الجنوب بالذات كورقة يلعب بها باعتباره الوحيد الذي يملك مفاتيح وحدة العراق وعدم انقسامه وسقوطه في مستنقع التمزق والحروب الأهلية .

لكن هذا الموقف من ناحية أخرى أثار قضية مهمة فمعنى استمرار صدام على رأس السلطة أن النتائج السياسية لمعركة عاصفة الصحراء لم تتحقق بعد .

وهذا الإدراك جعل البريطانيين بالذات يضغطون على قضية عدم التعامل مع صدام والضغط على إزاحته مع التأكيد في الوقت نفسه على وحدة الأراضي العراقية ، وهذا ما أكده دوجلاس هيرد وزير الدولة البريطاني في لقاء سياسي معه حيث شدد علي أن بريطانيا لا تريد استمرار صدام حسين وهي الدولة الوحيدة داخل منظمة الحلفاء التي تصر على بقاء المقاطعة ضد بغداد طالما أن صدام على رأس السلطة .

ولأن بريطانيا تعارض أن يكون صدام هو صاحب الكلمة الأخيرة في الشؤون العراقية فإن لندن تضغط على الولايات المتحدة منذ فترة لتأجيل إنسحاب القوات الأميركية من شمال العراق لأن ذلك سيعرض الأكراد لخطر احتمال قيام النظام العراقي بالانتقام منهم مرة أخرى .

تريد بريطانيا استمرار الوجود العسكري للحلفاء في شمال العراق ، حتى يسقط صدام وتصل السلطة الجديدة ، التي يستطيع العالم أن يثق في وعودها .

وبسبب عوامل داخلية في الولايات المتحدة رفضت واشنطن الاستجابة للطلب البريطاني مما اقتضى لقاء هيرد وزير الخارجية البريطاني بنظيره الأميركي جيمس بيكر ، الذي بحث معه قضية الأكراد في ضوء انسحاب القوات الأميركية من الشمال في شهر أغسطس المقبل ، كما أعلن جون كيلي مساعد وزير الخارجية الأميركي .

لقد عبرت بريطانيا عن عدم موافقتها على الخطوة الأميركية لأنها لو تحققت فمعنى ذلك وضع كل الأوراق مرة أخرى في أيدي النظام العراقي ، الذي سيبدو منتصراً في المعركة السياسية ، بعد هزيمة المعركة العسكرية .

هذا ولقد أشارت الأنباء إلى أنه بعد أن ألقت الشرطة العراقية القبض على

مراسل وكالة الاسوسيتدبرس والمترجم الكويتي صلاح مازني في ١٢مايو١٩٩١ على الحدود العراقية الكويتية ونقلا إلى بغداد ثم أطلق سراحهما ورافقتهما الشرطة العراقية إلى الحدود الأردنية في رحلة استمرت سبعة أيام قطعوا خلالها ٧٠٠ ميل وسط ذلك البلد الذي مزقته الحرب ولكن مازالت أجهزة الأمن قوية تسيطر عليه وفي هذا التقرير يروي مراسل « أ . ب » مشاهداته في العراق :

لكي يسافر المرء في العراق من مكان إلى آخر فإنه لابد أن يشاهد قوات الجيش الجريحة وهي تحاول أن تقف على أرجلها بعد هزيمتها القاسية في حرب الخليج ولابد أيضاً من ملاحظة قوات الأمن وهي تفرض مراقبة مستمرة على الحياة في العراق .

ويمكن أيضاً مشاهدة العربات المختلفة وهي مدمرة ومتناثرة على جوانب الطرق والجسور السريعة المدمرة والجسور والطرق المدمرة وحشود طويلة من النساء يتجمعن للحصول على نصيبهن من المياه الصحية التي أصبحت نادرة الوجود .

كما سيكون من السهل ملاحظة عملية تغطية الشعارات المناوئة لصدام وحكومته وطمسها بطلاء جديد كما سيلاحظ عمليات الإصلاح البطيئة للمئات من الملصقات والصور الممزقة التي تحمل صور صدام .

والشيء الذي يتكرر هو منظر الشرطة والجنود في نقاط التفتيش وهم يدققون في فحص الجوازت بينما ينهمك الآخرون في إصلاح دباباتهم وعربات وقيادة السيارات المسروقة من الكويت .

والدبابات والشاحنات المدمرة بفعل غارات الطائرات الحليفة تتناثر على جانبي الطريق الذي يمتد مسافة ٢٥ ميلاً من صفوان إلى البصرة وتبدو شاحنات ضخمة تسحب الدبابات المصابة إلى ساحة للإصلاح جنوب مدينة البصرة .

وقوات صدام التي كانت مشتتة عند نهاية حرب الخليج عادت مرة أخرى لتنظيمها ووضعت في حالة التأهب وقد نشرت تشكيلات من القوات والمدرعات على طول الطرق السريعة على مسافة تقدر بـ ٣٠ دقيقة من الكويت .

ومدينة البصرة تحمل آثاراً عميقة للانتفاضة الشعبية التي اندلعت فيها وانتشرت إلى العديد من مدن جنوب العراق في أعقاب حرب الخليج وقد دمرت القاعة الرئيسية في مبنى البلدية ولم يبق من صورة ضخمة للرئيس العراقي يبلغ ارتفاعها طابقين ، إلا أطرافها .

وتلقي السلطات العراقية باللوم علي الثوار وتتهمهم بإحداث الدمار الكبير الذي أصاب المباني الحكومية والسكنية بالمدينة ، ولكن مصادر مستقلة تقول أن قوات صدام دمرت المدينة أثناء قيامها بسحق الانتفاضة .

ومدينة العمارة إلى الغرب من البصرة تحمل نفس آثار الدمار التي شاهدناها في البصرة وفي القرى المحيطة نشاهد أعداداً كبيراً من النساء يتجمعن أمام خزانات يقوم الجيش بتوزيع الماء العذب فيها ويبدو أن النساء القرويات يقمن بمعظم الأعمال الشاقة من الاهتمام بالزراعة وجني المحاصيل بينما يخدم الرجال في قوات الجيش .

ورجال الشرطة والجيش يحصلون على العديد من المزايا في العراق فبطاقة الهوية التي تحمل رتباً عالية يحصل صاحبها على خدمات سريعة في محطات الوقود ولا يضطر صاحبها للوقوف أمام نقاط التفتيش والعديد من رجال الشرطة والجيش تشاهدهم يقودون أحدث الموديلات من السيارات والشاحنات التي تحمل أرقاماً كويتية .

والطريق السريع الممتد من بغداد إلى الأردن يعتبر من أكثر المناطق المهجورة في العراق فالعواصف الرملية تحجب الشمس وتغطي الأجواء بالغبار الناعم .

وحتى في هذا المكان فإن صورة كبيرة لصدام وهو يرتدي البزة العسكرية تقف منتصبة على جانب الطريق .

وقد حاول ضابط من الشرطة السرية العراقية الذي خصص لمرافقتنا إلى خارج العراق أن يقنعنا بعظمة صدام حسين .

وقال : أعتقد أن صدام قوي جداً فقد ظل صامداً أمام ثلاث عشرة دولة .

وقد وصلنا إلى موقع عسكري صغير يبعد ٢٠٠ ميل إلى الغرب من بغداد في قلب الصحراء التي تهيمن على غرب العراق وبالرغم من أن هذا الموقع كان بعيداً جداً عن الكويت وجنوب العراق وهي الأماكن التي دارت فيها معارك حرب الخليج .

وقال لنا ضابط عراقي أن الهوائي دمرته وحدة أميركية مكونة من تسع عربات برادلي مدرعة كانت في طريقها إلى هذا المكان .

وقال الضابط أن جنديين عراقيين قتلا في هذا الحادث وقد سأله ضابط الشرطة السرية المرافق لنا هل أصبتم أحداً من الأمركيين ؟ فرد الضابط : لا .

وقد تعطلت الشاحنة التي تقل الصحافيين بسبب الوقود السيء الذي سد مرشحات الوقود فالعراق لم يتمكن من الحصول على المواد الضرورية التي تدخل في صناعة الجازولين وهناك شكاوي عامة بأن العديد من السيارات لم تعد تعمل بسبب هذا الوقود السيء .

وفي نقطة الرويشد الحدودية كان هناك القليل من سيارات الركاب وقد شاهدنا عائلة عراقية تدخل إلى نقطة الحدود الأردنية بسيارة محملة بأغراضهم وعندما سألنا رب الأسرة عما إذا كان سيعود إلى العراق مرة أخرى أجاب وهو ينظر إلى الطريق المؤدي إلى بغداد « لن أعود أبداً » .

هذا وقد ذكر تقرير أعدته لجنة فرعية بمجلس النواب الأميركي بعد الحرب أيضاً أن وزارة التجارة الأميركية وافقت على بيع تكنولوجيا قيمتها مليار ونصف دولار للعراق في الفترة بين ١٩٨٥ - ١٩٩٠ م رغم أنها تحتوي على معدات متطورة يحتمل إستخدامها في تطوير الصواريخ العراقية بعيدة المدى ، وصناعة الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية .

وقد تم شحن معدات قيمتها نصف مليار دولار فقط للعراق من تلك الصفقات حيث فرضت الولايات المتحدة حظراً على العراق منذ غزو الكويت في أغسطس الماضي (١٩٩٠) .

وذكر تقرير الشئون النقدية والتجارية التابعة للجنة العمليات الخاصة بمجلس النواب أن نظم منح تراخيص التصدير الأميركية قد عانت من عدم الالتزام بها إلى حد كبير ،عند الموافقة على تصدير تلك التكنولوجيا للعراق ، في السنوات التي سبقت غزو الكويت ، حيث كانت الولايات المتحدة تساند العراق في حربه مع إيران ، وكان الرئيس الأميركي السابق رونالد ريجان قد رفع اسم العراق من قائمة الدول المؤيدة للإرهاب في عام ١٩٨٢ مما أضعف من القيود التي كانت مفروضة على تصدير التكنولوجيا له من قبل .

هذا وقد بثت الوكالة الكويتية يوم ١٩٩١/٦/١١م الجزء الثالث من تقرير شامل حول عملية ترتيب هروب السفير العراقي السابق لدى الولايات المتحدة محمد المشاط إلى كندا ، وألقت الضوء على العلاقة بين السفير ورئيس نظامه ورحلته من واشنطن مروراً بلندن وفينا حتى وصوله إلى كندا .

وأشارت إلى أن الصحفي الكندي جون جودفري الذي لعب دوراً في ترتيب عمليه هروب المشاط قال أن السفير لا يريد العودة للعراق طالما بقى صدام حسين في السلطة كما يرى أن الغزو العراقي للكويت كان خطأ رهيب النتائج .

وروى جو دفري حصيلة لقاء جمعه مع المشاط بعد لجوئه إلي كندا ونسب إليه قوله رداً على سؤال عما إذا كان أيد الغزو العراقي للكويت ، كنت في وضع غير مريح بالمرّة .لكن يتوجب على أن أتقيد بتعليمات حكومتي وبعضها كتب لي كي ألقيه دون تعديل وطلب مني أن أعلق من قبل الإعلام وقدمت القضية بأحسن شكل استطعته ، كنت جاداً في القيام بذلك خشية وقوع كارثة للجميع إن هوجم العراق ، للعراقيين والأميركيين والعالم العربي بكامله .

وعن الغزو العراقي للكويت قال : كان غلطة فظيعة في البداية كان يبدو أن صدام يستعد للإنسحاب وتم حتى إعداد وثائق لذلك بحلول الرابع من أغسطس ثم وبعد أن أعلنت الولايات المتحدة أنها ستدافع عن المملكة العربية السعودية غير صدام رأيه وقال إنه سيضم الكويت .

بالطبع كان لنا مطلب تاريخي لكن ذلك انتهى عام ١٩٦٣م عندما أرسلنا سفيراً إلى هناك وليس بوسعنا المطالبة بها بعد الآن بعد كل هذه السنوات وكنت أمل أن يقبل مبادرة السلام الفرنسية أو ينسحب بعد أن احتشدت الدول الـ ٣٠ من التحالف لكنه لم يفعل .

ويقول جو دفري أن المشاط أبلغه بأنه واصل تحذير صدام أثناء الأزمة بأن الأميركيين جادين في توجههم نحو الحرب إلا أن صوته كان – نشازاً – في الدائرة المحيطة بصدام في بغداد .

وعن علاقته بصدام نسب جو دفري إليه قوله :في نظامنا استثنائيا فالذين هم من الدائرة المقربة لصدام هم اخوته والمنحدرون من مسقط رأسه في تكريت وليس للسفراء اتصال مع الرئيس إلا من خلال وزارة الخارجية ولم أكن أبداً من الدائرة المقربة إلى الرئيس العراقي .

ويقول الصحافي الكندي أن المشاط متردد في الحديث عن بقية أفراد عائلته في العراق خشية انتقام صدام .

ويقول جو دفري أنه سأل المشاط لماذا لم يقدم استقالته أو ينشق لدى اندلاع الحرب إن كان معارضاً لها كما يقول ؟ فكان جوابه: أنه لا يمكنك الاستقالة عندما يكون هناك حرب وعندما انتهت الحرب العراقية الإيرانية كنت أعتقد أنني سأجد لحظة مناسبة أستقيل فيها إلا أنني عينت في واشنطن بعد انتهاء الحرب مباشرة ولم تحن هذه اللحظة إلا بعد حرب الخليج .

ويضيف أن المشاط حذر جداً من عدم استخدام كلمة -انشقاق - عن النظام وهو يفضل بدلاً منها كلمة - تقاعد - أو - فك ارتباط - مع النظام الحالي في بغداد وقد أعطاه صدام هذه الفرصة عندما استدعاه إلى بغداد عشية اندلاع حرب تحرير الكويت بعد أن طلبت واشنطن في ١٥ يناير تخفيض عدد أفراد طاقم السفارة العراقية لديها .

واتصل السفير مع وزارة الخارجية الأميركية بعد استدعائه لإجراء ترتيبات بقاء ابنه البالغ من العمر ١٧ عاماً في الولايات المتحدة لأن الحرب لم تكن نشبت بعد ولأنه استدعى فقط ولم يطرد ويقول أن موظفاً من الخارجية الأميركية كان في وداعه لدى مغادرته .

وطار السفير السابق من واشنطن إلي لندن مساء الثلاثاء ١٥ يناير ووصل صبيحة ١٦ يناير إلى مطار هيثرو حيث أخذ ساعتين ونصف الساعة طائرة الخطوط إلى فيينا .

وسأله الصحافي الكندي لماذا لم يقبل العرض الأمريكي باللجوء إلى واشنطن خاصة وأن شقيقاً له يعيش في كاليفورنيا كما أن عدداً من أولاده من زوجته الأولى

الأميركية موجودين هناك فكان جوابه : كان بإمكاني أن أقدم للحصول على البطاقة الخضراء - تأشيرة هجرة لأميركا - لكني لم أحتمل التدمير الكامل للعراق ،أنا أحب بلادي وكنت أدافع عن بلادي لا عن صدام حسين .

ويقول المشاط طبقاً لرواية جو دفري أنه غداة انتهاء حرب تحرير الكويت أتصل بالسفارة الكندية في فيينا وأبلغها أنه يخشى أن يتم تحويله إلى - كبش فداء - سواء من قبل النظام في بغداد أو من قبل معارضيه وأنه يريد التحرك بسرعة إلى كندا .

وعن حجم ثروته يقول السفير السابق كان والدي تاجراً بشكل رئيسي في أعمال التصدير والاستيراد وكان غنياً وخلف تركه قسمت بين جميع أولاده وعلى مدى السنوات وكدبلوماسي كنت أدخر مالي ليوم أسود وهذا يوم أسود .

وقال جو دفري أن المشاط لا يزال يخشى على حياة عائلته في العراق ويرفض الحديث عن صدام مباشرة لكنه يعتقد مع ذلك أن الحل الوحيد للعراق هو ديمقراطية متعددة الأحزاب بعد نظام انتقالي يمكن أن يكون عسكرياً ، أما بالنسبة له شخصياً وما يريد أن يفعله فيقول السفير السابق: لن أعود طالما بقى - صدام - في السلطة وأنه سيعمل أثناء وجوده في كندا على كتابة مذاكراته والتدريس وربما ساعد الكنديين على إنشاء علاقة تجارية مع عراق ديمقراطي في المستقبل .

* * *

## أزمات اقتصادية :

مما لاشك فيه أن حرب الخليج قد تركت بصماتها البشعة على اقتصاد أطرافها الرئيسيين وبخاصة العراق ، ولنتأمل ما يذكره التقرير التالي عن التجار العراقيين فقد ذكرت وكالة رويتر يوم ١٩٩١/٦/٨ أنهم عرضوا سلعهم الكمالية بأسعار تغري على الشراء إثر الأضرار التي لحقت بهم بعد عشرة أشهر من الحظر الذي فرضته الأمم المتحدة على العراق . وبجانب الأكشاك التي تبيع القمصان الرخيصة تعلو أصوات الباعة وهم يعلنون عن بضائعهم من آلات تصوير يابانية وساعات ذهبية وأجهزة فيديو مشكوك في أمرها .

وقد تسببت حرب الخليج في خفض الإقبال على شراء مثل هذه السلع لأدنى مستوياته منذ ٢٠ سنه في وقت يحصى فيه العراقيون ما لديهم من دينارات مع ارتفاع اسعار السلع الغذائية وبقاء الرواتب على ما هي عليه .

والسلع الكمالية التي سلبت من الكويت بالإضافة إلى تلك التي استوردها العراق قبل فرض العقوبات عليه في أغسطس الماضي أعطى فرصة للمشتري للدخول في مساومة كبيرة مع البائع .

فإذا وجدت ساعة أنيقة من طراز رولكس بأقل من ١٠٠ دولار فلاتحاول أن تسأل البائع عما إذا كانت الساعة مصنوعة من الذهب فعلاً وإلا فسيعتريه الشك وسيعيد التفكير في السعر .

أما إذا كنت تريد هدية تذكارية فابحث عن ساعة طيار سويسرية الصنع

مكتوب عليها القوات الجوية العراقية ومزودة بإطار دائري متحرك وسعرها ٢٠٠ دولار في أحسن تقدير .

وتباع شرائط فيديو مسجل عليها أفلام هندية وعربية بحوالي ثلاثة دولارات لكل منها وتعرض أجهزة التليفزيون الملونة الكبيرة بسعر ٣٢٠ دولاراً أو أقل إذا ساومت البائع .

ويقول التجار أنهم لا يعرفون مصدر هذه السلع .

وتباع الشيكولاته القادمة من ليسبتو بجنوب أفريقيا بخمسين سنتاً في شوارع بغداد وتتوفر المرطبات في جميع بلدان الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية بما في ذلك الدول التي قاتلت العراق في حرب الخليج .

ويذكر أن الحكومة العراقية قد رفعت جميع القيود على الواردات الخاصة في نهاية العام الماضي لتوفير السلع بالسوق .

وكانت الحكومة قد قامت بتأميم معظم المشاريع الكبيرة وفرض قيود على الاستيراد في الستينات .

وتظهر آثار العقوبات بوضوح على مختلف الحياة الاقتصادية في العراق وعلى الحالة المعيشية للشعب العراقي .

وعلى سبيل المثال يقول «موسى كاظم» وهو بواب أحد المستشفيات ويبيع سلك تنظيف الأواني في غير أوقات العمل الرسمية لزيادة دخلة الهزيل ، «اعتدت أن أعود إلى منزلي في الساعة الثانية والنصف ولكني لا أستطيع الاعتماد على دخلي واضطر للمجيء إلى هنا للارتزاق » .

وشخص آخر يعرض بضاعته على الرصيف وهي لا تزيد عن ستة أواني بلاستيكية وصمامين لاسطوانات الغاز وسخان كهربائي .

* * *

## البيئة تتغير:

لقد كان لحرب الخليج آثارها الفادحة على البيئة فلقد حذرت هيئة أبحاث الفضاء الهندية يوم ١٨/٦/١٩٩١م في تقرير لها من أن الدخان المتصاعد من آبار البترول المحترقة في الكويت سيضعف قوة الرياح الموسمية التي تهب على الهند من المحيط الهندي كما أعلن وزير البحث الألماني أن عشر شركات ألمانية ستقدم عروضاً للكويت للمساهمة في إطفاء حرائق النفط .

ففي نيودلهي أفادت الدراسة التي نشرتها هيئة أبحاث الفضاء الهندية في مجلة «كرنت سانيس» الهندية أن الدخان أدى إلى إحداث تبريد في الجزئيات الحرارية الرئيسية التي تشتمل عليها الرياح الموسمية التي تهب عبر القارة الهندية .

وتقول الوكالة الهندية أن الرياح الموسمية التي ستهب العام المُقبل ربما تتأثر هي أيضاً مالم يتم إخماد النيران المنبعثة من الآبار بحلول الربيع المقبل .

كما ذكر رئيس هيئة أبحاث الفضاء الهندية ومعاونوه أن هذه النتائج قائمة على أساس تحليلات لمعلومات وردت من مراكز إطلاق أقمار الفضاء الأميركية والهندية .

وفي يوم أعلن وزير البحث الألماني هاينزريزينهوبر أن مجموعة مكونة من عشر شركات ألمانية ستقدم عروضاً للكويت قريباً بشأن عقود لإطفاء حرائق آبار البترول وإعادتها للإنتاج وتحدث الوزير الألماني بعد عودة وفد ألماني برئاسة مسؤول في وزارة البحث العلمي مدينة الكويت حيث ناقش المعونة مع المسؤولين في الحكومة الكويتية وصرح ريزينهربر بأن الكويت عند إبرامها للعقود فضلت حتى الآن الدول التي اشتركت بشكل مباشر في النزاع في الخليج مثل الولايات المتحدة إلا أن الكويتيين طلبوا الآن من الألمان تقديم خطة موحدة وشاملة لإطفاء حرائق البترول وإعادتها إلى

الإنتاج ، وقال بأنه حتى الآن تم إطفاء ١٦٠ فقط في حين ما زالت الحرائق تشتعل في ٤٥٠ متراً نفطية أخرى . وقدر البروفيسور كلاوس ماركس من جامعة كلاوستال الفنية في ألمانيا أن التكاليف الإجمالية لإطفاء الحرائق وإعادة الآبار للإنتاج بعشرة مليارات دولار وقال أن الكويت ستخسر ٥٠مليار دولار إذا ظلت الحرائق مشتعلة في الآبار عامين أخرين . هذا وقد أبدى خبير مصري في علوم البيئة والأحياء يوم ١٩٩١/٦/٨م تشككه في صحة توقعات بعض التقارير الغربية حول آثار ومخاطر حرائق النفط في الكويت ومخلفات الحرب على تلوث الجو والحياة البرية والبحرية والزراعية والإنسانية نتيجة للضباب النفطي المحمل بالسخام وارتفاع درجة الحرارة ، معتبراً ما جاء في التقارير والتوقعات مبالغاً فيه وتم تضخيمه بصورة خيالية .

وقال مدير المعهد الفني القومي المصري للعلوم والأحياء والمصائد بالاسكندرية الدكتور على البلتاجي في تصريح لصحيفة «أخبار الخليج» الصادرة في المنامة أن حرائق النفط بلا شك ستترك آثاراً سيئة على المنظومة البيئة بدول الخليج وجنوب إيران وباكستان وبعض دول الشرق الأوسط والمحيط الهندي ، ولكن ليس بالدرجة القائمة التي صورتها بعض التقارير الغربية وخصوصاً فيما يتعلق بحرارة نار الآبار النفطية المشتعلة والغازات العالقة في الجو والتي أشارت إليها التقارير إنها ستكون عالقة في الجو لأكثر من ١٠٠عام ، وقال الدكتور البلتاحي أن ما أكدته التقارير الغربية على أن حرارة نيران آبار النفط ستدفع بكميات كبيرة من الدخان إلى مناطق تبعد ٦٤٥ كيلو متراً إلى الجنوب وسوف تؤدي إلى سقوط ثلوج سوداء في مناطق تبعد ٢٦٠٠كيلو متر من الكويت احتمالاته العلمية ضعيفة لأن الرياح التي تهب على الكويت جافة وغالباً ما تنتقل إلى أواسط آسيا ، وهذا يعني أنه لو صحت المعلومات التي أشارت إليها التقارير فإن الأمطار والثلوج ستنزل في المحيط وإن تهبط على الأرض خصوصد وأنه لا يوجد تقرير علمي دقيق لكمية النفط المحترقة ، وهذه الحاجة تجعل الاحتمالات

الواردة في تلك التقارير محلاً للشك على اعتبار أن هذه التوقعات مبنية على ما حدث في مناطق تعرضت لمثل هذه المشاكل البيئية دون النظر لمدى التباين ، بين هـذه البيئات.

وأضاف بأنه لو تولد ضباب نفطي فسيشمل منطقة محدودة من الخليج واربما تكون هذه المناطق جنوب إيران وباكستان والعراق بعد أن تدفعها الرياح .

وأبدى الخبير المصري شكوكه في صحة التقرير الذي نشرته مجلة «التايم» الأميركية نظراً لأن علماء البيئة يعملون علي تضخيم الأمور وخاصة إذا تعلق بالعالم النامي معللاً قوله بما توقعه بعض الباحثين الغربيين في معهد «سمنونيان» في واشنطن حينما بنوا توقعاتهم على تضخيم ما تتعرض له دلتا النيل المصرية من هبوط وأشاروا إلى أنها مهددة بالغرق بينما اتضح علمياً أن توقعات نتائجهم المعملية غير متفقة مع نتائج الأبحاث الجيولوجية الحديثة عن أصل ونشأة النيل .

ويؤكد تقرير علمي يوم ١٩٩١/٦/١١م أشار أن تحسناً قد لوحظ على مستوى الرؤية بالخليج مع وجود أسطح زيتية لامعة كبيرة فوق مياهه ، فيما قال خبير أميركي خلال اجتماعه مع الرئيس الأميركي أن دخان آبار البترول الكويتية ليس خطيراً على صحة الإنسان ، مشيراً إلى أن فصل الصيف قد يشهد المرحلة الأكثر خطورة لمشكلة التلوث الناجمة عن هذا الاحتراق فيما ينتظر أن يناقش مجلس الشيوخ الأميركي تقرير الخبير الذي زار الكويت والسعودية مؤخراً في الوقت الذي أعلنت الشركات الألمانية عن قرب إرسال معدات حديثة للتغلب على سوء الرؤية مخصصة لهيئة الطيران الكويتي .

ففي الظهران قال مركز الاستجابة للتلوث بالزيت التابع لمصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية أن السحب الدخانية غطت

سواحل المنطقة الشرقية بالسعودية أمس الأول ولكن الرؤية الأفقية أخذت بالتحسن وتوقع استمرار الرياح الشمالية الغربية على المنطقة بمشيئة الله .

وأفاد التقرير اليومي الصادر عن المركز أنه لوحظ وجود كمية كبيرة من الأسطح اللامعة من الزيت الخفيف في المنطقة الممتدة من السفانية إلى الخفجي مع تحرك كمية كثيفة منه تجاه ميناء الخفجي وقد أكدت التقارير أن زيتاً داكناً يتسرب من ميناء الأحمدي جنوب مدينة الكويت .

كما أن هناك تسرباً آخر من أحد خزانات النفط المعطوبة كما لوحظ أن الزيت المتسرب ملأ نصف الحاجز الموجود حول الخزان .

وأوضح التقرير بأن الفرق لا زالت تقوم بتنظيف الشواطيء الملوثة بالزيت بما فيها مناطق نباتات الشوري والنباتات المحلية في المياه الضحلة وكذلك الجزر البحرية .

ومن واشنطن أعلن مدير وكالة حماية البيئة الأميركية وليام ريلي أن الدخان المنبعث من حرائق آبار النفط التي أشعلتها جيوش العراق في الكويت ليست خطراً على صحة الإنسان بالدرجة التي كان العلماء يتوقعونها .

وأوضح رايلي في تصريحات للصحافيين ، عقب اجتماع عقده مع الرئيس بوش لإطلاعه على النتائج التي استخلصها من جولته في مناطق الحرائق في الكويت أنه لحسن الحظ أن مادة ثاني أكسيد الكبريت السامة المنبعثة من هذه الحرائق قليلة جداً بعكس ما كان متوقعاً في مثل هذه الحالات .

وقال الخبير الأميركي إنه لم يشاهد أسوأ مما شاهده في الكويت خلال جولته التفقدية للآبار المحترقة والتي استغرقت خمسة أيام وشملت السعودية كذلك .

وأفاد أننا لم نلحظ أي نوع من التأثيرات الخطيرة التي كنا نخشى حدوثها .

وأشار إلى أنه يبدو أن كتلة الدخان استقرت على ارتفاع يتراوح ما بين ٨٠٠٠ إلى ١٢٠٠٠قدم فوق سطح الأرض وهذا يعني بأن السحب السوداء لن تنتشر بعيداً .

لكن المسؤول الأميركي أعرب عن خشيته من أن يؤدي ارتفاع درجة الحرارة ودرجة الرطوبة خلال شهر أغسطس المقبل إلى تفاقم مشكلة التلوث في المنطقة .

وذكر رايلي بأنه طلب من وكالته تزويد الكويت بمحطات مراقبة تلوث الجو حديثة لتحديد جودة الهواء في المنطقة .

وقد بدأت لجنة البيئة والأشغال العامة بمجلس الشيوخ الأميركي أمس مناقشات حول مدى الأضرار التي أصابت البيئة في الشرق الأوسط بشكل خاص والبيئة العالمية عموماً من جراء الحرائق المشتعلة في آبار البترول الكويتية وقد استمعت اللجنة في هذا الشأن إلى شهادة أدلى بها رايلي .

ومن جانبه ذكر خبير الحرائق المعروف «ريد ادير» في شهادته أمام لجنة البيئة بمجلس الشيوخ الأميركي أن الصعوبات في مواجهة الحرائق ستزداد بالانتقال إلى محاولة إطفاء الحرائق الأكبر والأشد خطراً مشيراً إلى أن خمسة أشخاص من العاملين في فرق الأطفاء قد لقوا مصرعهم حتى الآن أثناء عمليات محاولة إخماد النيران التي بدأت في أعقاب الانسحاب العراقي من الكويت .

وفي الوقت نفسه أعرب السناتور «جوزيف ليبرمان» رئيس اللجنة عن قلقه لعدم وجود المعدات الكافية اللازمة لإخماد الحرائق التي لا تزال مشتعلة في آبار الكويت وكذلك لعدم وجود كميات كافية من المياه والاستعدادات الطبية اللازمة لإسعاف رجال الإطفاء الذين يقومون بهذا العمل الخطر .

وقال إنه على الرغم من أربعة أشهر انقضت منذ انتهاء حرب الخليج فإن نتائج هذه الحرب وتأثيراتها على البيئة لا تزال مستمرة بسبب ما وصفه بالإرهاب البيئي الذي ارتكبه صدام حسين .

وقد شملت الجلسة التي أجرتها اللجنة جانباً آخر هو الجهود التي تبذل لإزالة حقول الألغام التي خلفتها القوات العراقية المنسحبة وراءها في الكويت وقال الخبراء في شهادتهم أمام اللجنة أن حقول الألغام لا تزال من الأسباب الرئيسية التي تعيق عملية إطفاء حرائق الآبار وتجعلها عملاً محفوفاً بالأخطار .

* * *

## إنقلابات وتحولات :

لقد تحولت العراق بعد الحرب جذرياً ، وزادت محاولات الانقلاب بها. وعلى سبيل المثال لا الحصر أكدت تقارير صحافية في بيروت يوم ١٩٩١/٦/٢٠م أن الرئيس العراقي صدام حسين أحبط محاولة انقلابية جديدة قام بها عدد من كبار الضباط منذ ثلاثة أسابيع .

وذكرت صحيفة «السفير» البيروتية أن الرئيس العراقي أحبط العديد من المحاولات المماثلة منذ نهاية حرب الخليج .

ونقلت الصحيفة عن مصادر قولها أن ثمانية عشر على الأقل ، من كبار ضباط الجيش ، ومن بينهم قادة ذوو رتب عالية في قوات الحرس الجمهوري الخاصة قد تم إعدامهم عقب محاولة الإنقلاب الأخيرة .

ومن جهة أخرى أعلنت مجلة «ألف ياء» العراقية أن رئيس أركان القوات المسلحة العراقية الفريق حسين رشيد التكريتي قد حل محل الفريق أياد فتيح الراوي الذي سبق أن حل محل التكريتي على رأس الحرس الجمهوري العراقي .

هذا وقد أذاع راديو «صوت أمريكا» ، أن المئات من شاحنات قوات التحالف بشمالي العراق تنسحب يومياً وهي تقل المئات من الجنود وكميات كبيرة من الأسلحة والمعدات .

وأضاف الراديو أن هذه القوات عبرت جسر نهر «خابور» في طريقها إلى مدينة «سيلوبي» التركية وقد رفض متحدث باسم وزارة الدفاع الأميركية الكشف عن الموعد الذي ستستكمل فيه قوات التحالف إنسحابها من شمال العراق ، إلا أنه أشار أن المهمة الإنسانية لقوات التحالف في شمالي العراق قد انتهت تقريباً .

ويأتي الإنسحاب من الشمال العراقي بعد أن انسحبت القوات الأميركية من مدينة دهوك التي تعد عاصمة اقليمية بالشمال العراقي، وذلك وسط مظاهرات احتجاج عارمة من الأكراد للمطالبة ببقاء هذه القوات لمنع تعرض الأكراد لأية أعمال قمع من الجيش العراقي .

وتقوم قوة حراسة تابعة للأمم المتحدة بشمال العراق ببعض المهام الخاصة بمساعدة اللاجئين الأكراد العائدين ، إلا أن هذه القوة المسلحة بأسلحة خفيفة ليست لديها قوة الردع الكافية لصد أي عملية عسكرية عراقية كبيرة ضد الأكراد مما يثير مخاوف الأكراد .

وفي تطور آخر ذكرت مصادر قوات التتحالف وأحد الزعماء الأكراد ، أن اللواء وفيق السماري رئيس المخابرات العسكرية العراقية مسجون حالياً لإتهامه بالقيام بأنشطة ضد النظام العراقي وذلك في إطار عملية تطهير للضباط المشتبه في عدم ولائهم للرئيس العراقي صدام حسين .

وأضافت هذه المصادر أن اللواء نشوان ذنون ممثل الحكومة العراقية في التفاوض مع قوات التحالف بالشمال العراقي قد اختفى وأنه من المعتقد أنه تم اعتقاله أيضاً لأنه كان يعمل مع رئيس المخابرات العسكرية المسجون.

هذا وقد حملت المنظمة العربية لحقوق الإنسان يوم ١٩٩١/١/١٨م النظام العراقي مسؤولية تدهور أوضاع حقوق الإنسان في جميع الإنسان في جميع أنحاء

الوطن العربي نتيجة لإقدامه على غزو الكويت في أغسطس ١٩٩٠م وما صاحبه من استهتار وخرق للمعايير والقيم الإنسانية الدولية .

واستشهدت المنظمة على تدهور تلك الحقوق في تقرير عرضته في ندوة أقامها فرعها في فيينا بالمحنة الجماعية والفردية التي عاشها ويعيشها الآن الإنسان العربي من جراء الآثار الناجمة عن الغزو العراقي للكويت .

وأشار إلى الممارسات اللاإنسانية التي ارتكبتها القوات العراقية بحق الشعب الكويتي والعاملين العرب والأجانب في الكويت كما انتقد الحملات القمعية التي يقوم بها النظام العراقي حالياً ضد أبناء شعبه في شمال وجنوب العراق .

ويرتبط بما حدث في العراق ما أعلنه وزير الخارجية الكويتي الشيخ أحمد حمود الجابر عن إحباط محاولة إدخال أسلحة من العراق إلى الكويت فيما ذكرت مصادر صحافية أن الذخائر العراقية التي تم العثور عليها في الكويت بلغت قيمتها حوال ٤ مليارات دولار وذلك في يوم ١٨/٦/١٩٩١م .

وفي يوم ٢٠/٦/١٩٩١م صرح مسعود البرزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني أنه وفريق التفاوض التابع للحزب توصلوا إلى اتفاق مع الرئيس العراقي صدام حسين بشأن الحكم الذاتي للأكراد العراقيين وقال أن الاتفاقية لم تحدد حدود منطقة كردية تتمتع بالحكم الذاتي وذلك في الوقت الذي ترددت فيه الأنباء عن أن قوات التحالف طلبت من السلطات التركية السماح بتمركز قوات تدخل في تركيا لحماية الأكراد من أي هجوم عراقي محتمل .

وفي الوقت نفسه أجرى وزراء خارجية فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا مشاورات حول انسحاب قوات التحالف من العراق وضمان حماية السكان الأكراد فيما أكد قادة عسكريون أن أربعين بالمائة من هذه القوات انسحبت بالفعل من شمال العراق .

الأكراد اشتبكوا مع قافلة للجيش العراقي لمدة ثماني ساعات في بداية الأسبوع ، وقال أن القتال اندلع في قرية سيد جزن في محافظة السلمانية بعد أن حاولت القوات العراقية التقدم داخل منطقة يسيطر عليها المعارضون .

على الصعيد نفسه أكدت الخارجية البريطانية لوفد من المعارضة العراقية في لندن يوم ١٩٩٢/٦/١١م أن الحكومة البريطانية حذرت بغداد من شن أية عمليات انتقامية ضد سكان مناطق الجنوب العراقي ، وكانت فصائل المعارضة العراقية في لندن قد أصدرت عدة بيانات تحذر من مذبحة يخطط لها النظام العراقي ضد المواطنين في منطقتي البصرة والناصرية وغيرهما من المناطق في جنوب العراق .

ووجهت المعارضة العراقية في لندن نداء إلى الأمين العام للأمم المتحدة تطلب منه التدخل لوقف نشاط النظام العراقي في الجنوب وحماية المواطنين هناك .

وقد ألتقى وفد المعارضة العراقية في لندن بمسؤولين في الخارجية البريطانية وأكد هؤلاء المسؤولون خلال اللقاء التزام بريطانيا بحماية المواطنين العراقيين في منطقة الجنوب ، وأن الحكومة البريطانية تعمل على إحلال قوات الأمم المتحدة في هذه المنطقة بعد انسحاب القوات الدولية منها .

ومن ناحية أخرى طلب سيرد ديفيد المتحدث باسم حزب الأحرار الديمقراطي استمرار مقاطعة النظام العراقي وأشار إلى أنه من الصعب رفع هذه الاجراءات التي فرضتها الأمم المتحدة في ظل بقاء الرئيس العراقي على رأس السلطة في بغداد .

واقترح دوراً أكبر للأمم المتحدة في حماية المواطنين العراقيين في الشمال والجنوب العراقي ، وطرح فكرة مقتضاها أن تقوم الأمم بتشغيل خط أنابيب النفط عبر تركيا ، واستخدام عائداته للإنفاق على اللاجئين الأكراد في الشمال ، واللاجئين العراقيين في الجنوب .

التليفزيون البريطاني حول مشكلة العراق بعد خروج قوات التحالف أن وجود الرئيس العراقي على رأس السلطة يشكل خطراً على الوضع داخل المناطق الكردية ، والمناطق الأخرى في الجنوب ، وطالب من جانب آخر باستمرار المقاطعة التي فرضتها الأمم المتحدة على العراق ، طالما أن الرئيس العراقي مستمر في البقاء بالسلطة وحث كذلك الأمم المتحدة على التحرك بسرعة لفرض سيطرتها على مناطق اللاجئين في الشمال والجنوب العراقي ومنع القوات الموالية للرئيس العراقي من تنفيذ عمليات انتقامية ضد سكان هذه المناطق ، بعد رحيل القوات الدولية .

ولم يؤيد هيلي بقاء هذه القوات ، وطالب بعودتها مع إعطاء الأمم المتحدة الدور الأكبر في توفير الحماية للهاربين من بطش السلطة العراقية .

ومن جانب آخر دعت جبهة تحالف فصائل المعارضة في لندن إلى القيام بعده تظاهرات وأنشطة لفضح ما أطلقت عليه مؤامرة النظام العراقي الجديدة ضد المواطنين في الشمال والجنوب .

وحذر بيان للمعارضة العراقية من أن النظام العراقي يخطط لاستخدام السلاح الكيماوي ، كما فعل في «حلبجة» وأن على المجتمع الدولي القيام بمسؤولياته والتصدي لهذا المخطط .

واستمراراً لعملية الضغط على العراق بعد الحرب ، وفي يوم ١٨/٦/١٩٩١م صدر القرار التالي عن مجلس الأمن :

«حكومة العراق مسئولة مسئولية كاملة عن جميع نفقات تدمير أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها العراق» كان هذا القرار الذي أصدره مجلس الأمن في ساعة متأخرة ، والذي يلزم العراق بتحميل تكاليف تدمير وإزالة جميع أسلحته الكيماوية وكذلك تفكيك منشآته النووية .

والقرار الذي يحمل رقم ٦٩٩ ، صدر بالإجماع ويطلب من السكرتير العام للأمم المتحدة أن يقدم للمجلس خلال ٣٠ يوماً من صدور القرار توصياته بشأن أنجح الوسائل التي يمكن بها الوفاء بالتزامات العراق في هذا الخصوص .

وتقدر تكاليف تدمير الأسلحة العراقية حسب مصادر الأمم المتحدة بما يتراوح بين ٢٠٠ مليون و ٨٠٠ مليون دولار .

وتقول وكالة رويتر أنه من الناحية الفنية فإنه يجب السماح للعراق ببيع جزء من بتروله لتمويل عملية تدمير أسلحته ، إلا أن ذلك يتعارض من الناحية السياسية مع رفض الرئيس الأميركي جورج بوش ورئيس الوزراء البريطاني جون ميجور رفع العقوبات عن العراق أو تخفيضـها طالما ظل الرئيس العراقي صدام حسين في السلطة .

في الوقت نفسه أصـدر مجلس الأمن قراراً آخر عزز بموجبه الحظر المفروض على شحن الأسلحة إلى العراق ، ودعا في هذا الصدد جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى الالتزام بهذا الحظر .

وأوكل القرار مسألة الإشراف على تطبيق الحظر إلى لجنة العقوبات التابعة للأمم المتحدة .

من ناحية أخرى أكدت مصادر دبلوماسية في الأمم المتحدة أن لدى العراق أسلحة كيماوية وصواريخ بعيدة المدى أكثر بكثير مما أبلغ عنه .

وتوقعت تلك المصادر التي لم تكشف عن هويتها أن تقوم اللجنة المكلفة بتدمير أسلحة العراق غير التقليدية بزيارة لأحد المواقع في الموصل للتأكد من مدى صحة المعلومات التي ترددت مؤخراً عن وجود أسلحة كيماوية ونووية لها .

وسوف يتولى فريق من الخبراء تحديد المواد النووية التي يمتلكها العراق ،

وتستغرق مهمة هذه البعثة الدولية شهراً للتأكد من صحة المعلومات التي أثارت قلق أمريكا حول أسلحة العراق النووية.

هذا وقد سمحت السلطات العراقية يوم ١٩٩١/٦/٢٦م لفرق التفتيش الدولي التابع للأمم المتحدة بدخول إحدى المنشآت العراقية التي يشتبه في أنها مخزن للمواد النووية وذلك بعد ٧٢ ساعة من الموعد المقرر لزيارة الفريق الدولي للموقع .

ورغم ذلك فقد اتهمت الوكالة الدولية للطاقة النووية بنقل المواد النووية من هذا الموقع قبل السماح لفريق التفتيش الدولي بزيارته وقالت الوكالة إن المحققين كانوا يرغبون في التفتيش على المواد التي تمكنت السلطات العراقية من نقلها من داخل المنشآت قبل تفتيشها وقالت أن فريق التفتيش حاول دخول المنشأة يوم الأحد دون أن يتمكن من ذلك وقالت السلطات العراقيه أن أجازة عيد الأضحى المبارك حالت دون إتمام زيارة الفريق الدولي للمنشأة في موعدها المقرر .

وقال مسئولون عراقيون أن من بين أسباب تأجيل زيارة الفريق الدولي للمنشأة أنها غير خاضعة لإدارة هيئة الطاقة النووية العراقية وأن الأمر كان يتطلب الحصول على موافقة الجهات المختصة لدخول الموقع .

وقد أدى هذا الموقف العراقي إلى إثارة المخاوف في الأمم المتحدة من عدم الأنصياع لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بإرغام العراق على فتح منشآته الدولية للتفتيش الدولي تمهيداً لتدميرها في حالة ثبوت استخدامها لأغراض عسكرية ، وذكرت مصادر الأمم المتحدة أن مجلس الأمن يعتزم إصدار قرار خلال ساعات يتهم العراق بانتهاك قرار الأمم المتحدة الذي يلزم العراق بالإعلان عن كافة اسلحته التي تندرج تحت أسلحة الدمار الشامل ، وقالت المصادر أن هذا القرار سيصدر في الغالب خلال ساعات .

وفي بغداد صرح ديفيد كاي رئيس الفريق الدولي للتفتيش – وهو أميركي الجنسية بأنه من المبكر الإدلاء بأية تفصيلات حول نتيجة جولة الفريق الدولي داخل الموقع العراقي ورغم ذلك فقد اتهمت الولايات المتحدة العراق رسمياً أمس بتنفيذ برنامج سري لإنتاج أسلحة نووية وإزالة كافة العلامات الدالة على ذلك من موقع استراتيجي قرب بغداد قبيل زيارة فريق التفتيش الدولي للموقع .

وقالت مرجريت تتوايلر المتحدثة باسم الخارجية الأميركية أن هناك دلائل كافية من أطراف ومصادر عديدة على أن العراق يتبنى برنامجاً نووياً سرياً يتضمن جهوداً لإنتاج مواد للأسلحة النووية واتهمت المتحدثة العراق بخداع لجنة التفتيش التابعة للأمم المتحدة والوكالة الدولية للطاقة النووية فيما يتعلق بهذه المسألة .

وقد كشفت صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية أمس النقاب عن أن شركة أميركية قد أمدت العراق بـ ٩ وحدات طاقة في عام ١٩٨٩م استخدامها العراق في انتاج يوارنيوم يصلح لإنتاج أسلحة ذرية .

وأوضحت الصحيفة نقلاً عن عالم عراقي هارب أن الوحدات وضعت داخل مفاعل نووي تحت الأرض في منطقة جبلية قرب الموصل وأكد العالم الهارب بأن العراق حاول تضليل الأمم المتحدة حول كمية اليورانيوم التي يمتلكها والكافية لصنع أسلحة نووية .

وأشارت الصحيفة إلى أن رئيس الشركة الأميركية باع هذه الوحدات بموافقة وزارة التجارة الأميركية على أساس أنها ستستخدم في عمليات قطع ولحام الصلب .

وكانت وزارة التجارة الأميركية قد وافقت على تصدير معدات تصلح للاستخداميين المدني والعسكري للعراق في الفترة من ١٩٨٥م حتى غزو العراق للكويت في العام الماضي وبلغ حجم المبيعات ملياراً ونصف المليار دولار ووصل إلى العراق فعلاً ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار من المعدات .

... ورغم هذه المصاعب والمصائب فإن النظام العراقي لازال يحتفل بانتصاراته الوهمية على القوى الدولية فقد بثت وكالة الأنباء الكويتية يوم ١٩٩١/٦/٢٠م تقريراً ألقت فيه الضوء على قيام النظام العراقي بعد مرور مائة يوم على «أم المعارك» بإعادة إصلاح وترميم تماثيل الرئيس العراقي صدام حسين استعدادا لإقامة ما أسماه النظام باسم «أم الاحتفالات» في العراق بمناسبة الذكرى السنوية لاستيلاء الحزب على السلطة في بغداد .

ولاحظت الوكالة الكويتية أن صحفاً عديدة في العواصم العربية من بينها «دي بريسه» النمساوية تسخر منذ الآن من هذا السلوك لنظام وضع تماثيل صدام على الرغم من حجم الكارثة في مقدمة أولويات عملية إعادة البناء للبلاد .

وأشارت إلى أن من حق الصحيفة النمساوية وجميع وسائل الإعلام الموضوعية أن تسخر من هذا المنطق الغريب والعجيب لنظام يسمح لنفسه بالاحتفال في زمن ووضع يدعوان في الواقع إلى إعلان «أم الحدادات والمآتم والأحزان» حسرة على حاضر الشعب العراقي وبقية الشعوب العربية ومستقبلها المظلم بفضل - إنجازات نظام بغداد البطولية .

لقد ذاق هذا الشعب المغلوب على أمره خلال الـ١١ سنة الماضية من حكم صدام مرارة ثلاث حروب مدمرة بدأت بالحرب الطويلة مع الجارة المسلمة إيران قبل شن العدوان السافر على الكويت الصغيرة الشقيقة وتدميرها ثم بلغت أوجها في الحرب الأهلية التي دارت رحاها ولا تزال تستعر بين أبناء الشعب العراقي والنظام .

هذا وقد ذكرت صحيفة «الأوبزرفر» اللندنية يوم ١٩٩١/٦/٢٢م أن الأردن تساعد العراق في الالتفاف حول العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الأمم المتحدة «على نطاق هائل» .

واستندت الصحيفة في تقريرها إلى ما ذكرت أنه وثيقة في إحدى عشرة صفحة تتعلق باجتماع عقدته في الأسبوع الماضي اللجنة التجارية الأردنية العراقية المشتركة والتي أوضحت أن الأردن تزود العراق بالتكنولوجيا والسلع .

وكتبت الصحيفة أن الوثيقة توضح القدر الهائل الذي تخرق به الأردن هذه العقوبات واللذي أكدت الأردن والعراق فيه بوضوح أنهما تعتزمان زيادة نطاقه ، ونشرت فقرة في الوثيقة تقول : « وأكد كلا الجانبين على تصميمهما على السعي بكافة السبل الممكنة للوصول بحجم التجارة بينهما إلى تسعمائة مليون دولار في نهاية العام الذي ينتهي في مايو ١٩٩٢ م.

ويوم ١٩٩١/٦/١٦م اعترف الرئيس الأميركي جورج بوش أنه من الواضح أن بعض القدرات النووية العراقية مازالت سليمة ولم تتعرض للتدمير أثناء قصف قوات التحالف للمنشآت النووية العراقية .

واتهم بوش الرئيس العراقي صدام حسين بأنه قد انتهك الاتفاقيات الخاصة بوقف إطلاق النار ، وقرار السلام في الخليج .

وأكد بوش أهمية اتخاذ الخطوات اللازمة لإزالة هذا الخطر ، وأنه يتعين على مفتشي الأمم المتحدة التوجه إلى بغداد للتحقيق في أية دلائل محتملة ، في هذا الشأن وطالب بوش الحكومة العراقية بضرورة التعاون مع ممثلي الأمم المتحدة – وتتضمن شروط إقرار الوقف الدائم لإطلاق النار لإنهاء الحرب في الخليج ، إزالة القدرة النووية العراقية ، وهي القدرة التي كان الرئيس بوش قد أعلن في وقت سابق إنها قد دمرت خلال غارات قوات التحالف .

وكان مجلس الأمن قد شكل لجنة خاصة لضمان التزام العراق باتفاق وقف إطلاق النار .

والغريب في الأمر أن هذا النظام وأنصاره من القلة «المستعربة» من بعض المثقفين ورجال الإعلام لازالوا يصرون على التشدق بالنصر والانتصار في حرب التدمير الشامل للعرب والمسلمين في الخليج والتي سببها النظام العراقي ودفع ثمنها الغالي من دم أبناء الشعب العراقي ضحية صدام حسين والشعب الكويتي الذي قرر نظام بغداد واتباعه أن يكون كبش الفداء لهذه المؤامرة الرهيبة على العرب والمسلمين .

ولا ندري أين هذا النصر الذي يتحدث عنه النظام العراقي وأتباعه والذي لا يوجد في الحقيقة سوى في مخيلة المدمنين على تعاطي الترف الفكري وهم أولئك الذين يحذقون فن قلب المفاهيم والقيم ويحولون الهزائم والمآسي والكوارث بعصا سحرية إلى انتصارات وانجازات وأعياد واحتفالات .

فمن حق نظام صدام العراقي أن يقيم في يوليو المقبل «أم الاحتفالات» للاحتفال بتدمير الكويت وتحويلها إلى - حديقة من حدائق جهنم بالحرائق النفطية - والأحتفال أيضاً بتدمير العراق حاضراً ومستقبلاً وبتمزيق الأمة العربية والإسلامية وبضرب الأمن القومي العربي وبتحويل القضية الفلسطينية إلى قضية إسرائيلية والاحتفالات بالصراعات الداخلية بين أعضاء القيادة القيادة الفلسطينية من الذين أدركوا المأزق الذي وقعوا فيه بالإنسياق إلى المغامرة القاتلة في الكويت ويعملون على حصر الأضرار والذين لا زالوا يصرون على الخطأ وطريق العمى والضلال .

هذه بضعة أمثلة من الانتصارات التي تتحدث عنها الأقلام في بغداد إنتاج «قادسية صدام» إلا أن هذه الأقلام أغفلت التحدث عن النصر الحقيقي والأوحد الذي تحقق في المأساة التي ألحقها النظام العراقي ومن سار في ركبه - بالعرب والمسلمين - وهو النصر الذي تحقق لإسرائيل التي يفترض أن تكون العدو الرئيسي والأول للأمة العربية والإسلامية .

فالعدوان العراقي على الكويت وما آل إليه من حرب مدمرة للمنطقة حول القضية الفلسطينية نهائياً إلى قضية إسرائيلية .

وصواريخ - سكود - التي ألقيت في بعض الأماكن الصحراوية في إسرائيل حولت هذا الكيان الصهيوني من وحش يفترس إلى حمل وديع في نظر الرأي العام الغربي والعالمي .

وإسرائيل ثمنت شظايا النافذة الواحدة من التي كسرتها صورايخ - سكود - العراقية بملايين الدولارات .

كما أن الجيش الإسرائيلي اعتبر شظايا وإشلاء صاروخ عراقي واحد على أنها صواريخ حتى يضخم عدد الصواريخ ويحصل على أكبر عدد ممكن من بطاريات صاروخية وصواريخ حقيقية مدمرة للعرب .

وكانت إسرائيل ترفض استخدام بطاريات - باتريوت - حتى تصل صواريخ - سكود - العراقية .

بل ورفضت تل أبيب مساعدة من الخبراء الأميركيين لاعتراض الصواريخ العراقية التي كانت ترحب بها نظراً لمردودها الضخم عسكرياً ومالياً وإعلامياً وسياسياً .

* * *

هذا ويلاحظ أن القراءة الصحيحة لكتاب «القادة» لا تكتمل ولا يمكنها أن تكون واضحة ، بل وممتعة بمعايير الاستمتاع الفكري المعروفة إلا بفهم كامل لنتاج هذه الحرب المدمرة التي وقعت أحداثها ابتداء من يوم ١٧/١/١٩٩١م وحتى ٢٨/٢/١٩٩١م على أرض العراق والكويت ..

ترى كيف الوضع في العراق اليوم ؟

بداية كشف تقريران دوليان من جامعة هارفارد والهيئة الدولية للوقاية من الحروب الذرية معالم الحرب الأميركية ضد العراق .

وأشار التقريران اللذان أعدهما فريقاً عمل بعد زيارة للعراق إلى ضحايا الغارات الأميركية من الأطفال والشيوخ في العراق .

**التقرير الأول** : الذي أعدته الهيئة الدولية للوقاية من الحروب الذرية في فرانكفورت وقد طالبت الهيئة برفع الحصار عن العراق لشراء الأدوية والأغذية وحذرت بعد زيارة عدد من أعضائها للعراق من أن مئات الآلاف من الأطفال والشيوخ سيموتون من الأمراض ونقص التغذية .

وقالت اللجنة أن آلافاً مؤلفة تعاني من القيء والإسهال الناتج من الأمراض المعدية بسبب نقص المياه الصالحة للشرب وأن نسبة الوفيات بين الأطفال في المستشفيات تتراوح ما بين ٣٠٪ ، ٩٠٪ .

**أما التقرير الثاني** : فقد جاء في دراسة أعدها فريق من الأطباء والمحامين من جامعة هارفارد بعد زيارة قام بها للعراق تنقل خلالها في كل أرجاء البلاد وزار المستشفيات وذكرت ميجان باس رئيسة البعثة أن الحالة التي وجدوها في العراق قد تجاوزت أشد الحالات سوءاً وأن الكارثة وصلت إلى حد لا يمكن تصوره حيث من المتوقع أن يموت خلال هذا العام ما بين ٥ ، ١٠٪ من أطفال العراق تحت سن الخامسة بما يعني موت ما بين ١٧٠ - ٣٤٠ ألف طفل عراقي من جراء فتك الأمراض الوبائية ونقص التغذية .

وقد سمح للفريق بالتجوال بحرية في كافة أرجاء العراق وأجروا حوارات مع أفراد الشعب ومع العاملين في المستشفيات التي وصفوها بأنها تعاني من نقص في الأدوية والمعدات وتتكدس بالمرضى بحيث باتت عاجزة عن توفير الحد الأدنى من الأغذية الضرورية للمرضى ناهيك عن الأدوية .

كما بلغت نسبة الإغلاق في المستشفيات إلى ٥٠٪ في بعض المناطق ، بحيث تكدس الأطفال على الأسرة – طفلين أو ثلاثة على كل سرير – بعد تضاعف حالات التيفود والكوليرا عشرة أضعاف عما كانت عليه منذ عام مضى .

ووصف اثنان من الأطباء في الفريق الزائر الحالة في العراق بأنها تشابه تلك الحالات التي اشتركا في علاجها إبان مشكلة اللاجئين السودانيين .

وأرجع الفريق هذه الحالة إلى انقطاع الكهرباء وما نجم عنه من توقف إنتاج مياه الشرب أو تنقية مياه المجاري التي تتجه للأنهار مباشرة وتغطي الشوارع على أشكال برك يلعب فيها الأطفال ويأخذ منها النساء الماء ، هذا وكشف تقرير لوكالة رويتر من العاصمة العراقية «بغداد» أن الأسعار ارتفعت في العراق بنسبة تتراوح ما بين ٣ أضعاف و٧٠ ضعفاً ، بالمقارنة بأسعار العام الماضي ، وذلك وفقاً لطبيعة السلع المعروضة .

وأصبحت طبقة الموظفين أكثر الفئات تضرراً من هذا التضخم ، لأن مرتباتهم ثابتة مذ عام ١٩٨٩ ، رغم الارتفاع المتواصل في الأسعار .

وقد ترتب على هذا الوضع أن أصبح أكل اللحوم شيئاً نادراً وعلامة من علامات الثراء ، في مجتمع كان يعرف عنه ولعه الشديد يأكل اللحوم بكميات كبيرة ، قبل غزو الكويت كما أن سعر كيلو الأرز ارتفع من سدس دينار وهو السعر الرسمي إلى ٥.٥ دينار في السوق السوداء .

ولم يعد لدى سيدات البيوت القدرة على التحكم في مصروف البيت ، فإذا اشترت احداهن السكر ، فلا تجد – مثلاً – النقود اللازمة لشراء الأرز .

لذلك أصبح العراقيون يتعاملون مع النقود لديهم بحرص شديد ، على العكس مما كان عليه الأمر قبل غزو الكويت وفرض عقوبات دولية ضد العراق ، مما حرمه من موارده المالية ، خاصة عائدات البترول .

ويضطر العراقيون إلى الوقوف أمام المتاجر الحكومية لشراء السلع المنخفضة الأسعار بالمقارنة بالأسعار في السوق السوداء .. وقد ينتهي الأمر بالمواطن العراقي أن يقف يوماً كاملاً في طابور للحصول على البيض ، وعندما يأتي دوره لا يجد شيئاً .

وذكر أحد أصحاب المطاحن أنه رفع الأسعار بنسبة مائة في المائة ، وأن أرباحه تضاعفت مائة في المائة ، وأشار إلى أن رجال الأعمال في القطاع الخاص لا يعانون من أي مشاكل .

ويوم ١٩٩١/٦/١م - اتهمت الكويت العراق باستمرار ظهور سوء النية مؤكدة أن العراق لم يتخل حتى الآن عن مزاعمة الأقليمية في أراضي الكويت مخالفاً بذلك قرارات مجلس الأمن .

وقال محمد أبو الحسن السفير الكويتي لدى الأمم المتحدة - في رسالة بعث بها إلى مجلس الأمن وأعلن عنها مساء أمس الأول - أن المسئولون العراقيين ، يواصلون حتى الآن التأكيد على حقوقهم في الكويت .

وأوضح أبو الحسن أن طه ياسين رمضان نائب الرئيس العراقي أكد لصحيفة الشعب الأردنية في يوم ٢٧ مايو الماضي أن بلاده مازالت مصرة على حقها في السيادة على الكويت .

وأضاف المسئول العراقي أنه إذا ما أعاد التاريخ مرة ثانية ، فإن العراق لن يحيد عن الموقف الذي اتخذه من قبل ، مؤكداً أن الحديث عن انتماء الكويت للعراق ليس خيالاً وإنما اقتناع .

وزعم ، رمضان ، أن بلاده ستحصد ما زرعته خلال ما وصفه بمعركة أم المعارك ، خلال المعركة القادمة بفضل التضحيات الغالية التي قدمها العراق مؤخراً .

وقال المندوب الكويتي في خطابه لمجلس الأمن أن تصريحات المسئولين

العراقيين تتعاض مع قرارات مجلس الأمن الداعية لتخلي العراق عن مزاعمة بحقوق السيادة على أراضي الكويت .

ومن جانبه قال ديفيد هاناي السفير البريطاني لدى الأمم المتحدة ، أنه إذا ما تبين إدلاء مسئولين عراقيين بمثل هذه التصريحات ، فإنها ستدل على عدم تجاوب من العراق لقرارات مجلس الأمن وإنها ستثير القلق ، وأضاف أن مجلس الأمن سيراجع مدى استجابة العراق لجميع قرارات المجلس خلال الأسبوع الحالي ، وذلك عند مناقشة إمكانية رفع تدريجي للعقوبات الاقتصادية ضده ، إلا أنه أعرب عن اعتقاده بعدم تجاوب العراق .

وقال «هاناي» أن العراق امتنع عن إدراج جميع أسلحة الدمار الشامل التي لديه في القوائم التي سلمها للأمم المتحدة ، كما أنه مازال يحتجز مواطنين بريطانيين لديه .

وطبقاً لقرار إطلاق النار الصادر عن مجلس الأمن ، فإنه من المقرر أن يتم بحث العقوبات المفروضة ضد العراق كل ٦٠ يوماً ، طبقاً لالتزام بغداد بقرارات المجلس .

يوم١٢/٦/١٩٩١ أعلن العراق أنه قام بتنفيذ جميع الالتزامات المفروضة عليه والتي تضمنها قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ ، وأكد أنه ليس هناك أي شيء آخر يمكن أن يقوم به خلال المرحلة الحالية .

وقال الدكتور سمير خيري النعمة الرئيس المناوب للبعثة العراقية لدى الأمم المتحدة مخاطباً مجلس الأمن ، أن بلاده تواجه كارثة وشيكة وضخمة ، إذا لم يتم أتخاذ اجراءات من شأنها إزالة العقبات والمشكلات التي نجمت عن العقوبات الدولية الاقتصادية .

وقد جاءت تأكيدات المندوب العراقي عقب تأجيل مجلس الأمن - في جلسة عقدت مساء الثلاثاء وامتدت حتى فجر أمس - إصدار قرار بشأن العقوبات المفروضة ضد العراق إلى جلسة تعقد في وقت لاحق ، كما رفض طلب العراق بمنحة فترة سماح تصل إلى خمس سنوات لسداد التعويضات نظير ، ما سببته الحرب من دمار وخسائر .

وطالب العراق على لسان مندوبه في مجلس الأمن بتشكيل لجنة محايدة وموضوعية من سكرتارية الأمم المتحدة ، لتحديد مدى تجاوب العراق مع قرارات المنظمة الدولية مؤكداً أنه ليس من حق أميركا وبريطانيا القيام بدور القاضي في مثل هذا الوضع .

وكانت أميركا وبريطانيا قد أعدتا قائمة تضمنت عدداً من النقاط التي فشل العراق في أن ينفذها ومن بينهما ، عدم الإفراج عن مواطنين بريطانيين محتجزين في بغداد حيث يقول العراق أنه قد تم اعتقالهما بتهمة التجسس بالإضافة لامتناع العراق عن الإفراج عن ثلاثة آلاف مواطن كويتي وإعادة المسروقات التي نهبت من المتحف الكويتي ، ورفض العراق الكشف عن رصيده الذهبي وأصوله المصرفية بالداخل ، إلى جانب رفضه التخلي عن دعواه في الكويت .

وقد صدر قرار مجلس الأمن بتأجيل إصدار قرار بشأن العقوبات أو تخفيفها بالرغم من استجابة العراق لطلب آخر لمجلس الأمن وهو إدانة الإرهاب الدولي بجميع أشكاله والتعهد بعدم السماح لأي إرهابيين أو منظمات إرهابية بالعمل إنطلاقاً من أراضي العراق . إلا أن العراق في خطاب بعث به لرئيس مجلس الأمن والى بريز دي كويار السكرتير العام للأمم المتحدة أكد تأييده ودعمه لحق الشعوب في تقرير مصيرها والتحرر من الاستعمار .

ويوم ١٩٩١/١/١٠م صرح طه ياسين رمضان نائب الرئيس العراقي أن الحكومة العراقية ستعيد النظر قريباً في قوانين الأحزاب السياسية والحريات الصحفية في تصريحات نشرت أمس بالعراق .

وجاء ذلك عقب تأكيد قادة الأكراد العراقيين أن الرئيس صدام حسين وافق مبدئياً على إدخال التعددية الحزبية إلى العراق وحرية الصحافة وإنهاء حكم الحزب الواحد للعراق وذلك خلال مفاوضاتهم للحصول على الحكم الذاتي .

وفي الوقت نفسه ، وافق مجلس قيادة الثورة العراقية على رفع القوانين التي تقيد حرية عمال الحكومة ، وهي القيود التي فرضت خلال الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٣ .

وتعطي هذه القوانين المسئولين حق إلغاء الأجر الإضافي كما تضمنت عقوبات صارمة ضد العمال الذين عملوا أقل من ١٠ سنوات إذا أرادوا التخلي عن وظائفهم وكانت هذه القوانين تهدف إلى الحفاظ على الإنتاج العراقي عند حدود معينة تحافظ على الأداء الاقتصادي العراقي .

وكانت هذه القوانين تؤثر على قطاعات عريضة من العمال لأن معظم المنشآت الاقتصادية خاضعة لسيطرة الدولة في العراق .

ويأتي إصدار قرار إلغاء هذه القوانين لأن معظم موظفي الحكومة يتقاضون أجوراً تتراوح ما بين ١٤٠ و ٢٠٠ دينار عراقي مما يدفع العمال إلى العمل في وظيفة أخرى أو أكثر لمواجهة التضخم في البلاد ، فقد أدى التضخم إلى إضعاف القوة الشرائية للدينار العراقي حيث يعادل الدينار حوالي ٦٥قرشاً مصرياً في السوق السوداء بينما يصل سعره الرسمي إلى ٣.٢ دولار ، ويصل سعر كيلو اللحم حوالي ١٥ دينارا .

ويوم ١٤/٦/١٩٩١م – رفضت غالبية أعضاء مجلس الأمن في جلسة مغلقة إرغام العراق على اقتطاع نسبة ٥٠٪ من عائداته البترولية لدفعها كتعويضات عن الأضرار التي تسبب فيها بسبب غزوه للكويت .

وأيد غالبية أعضاء المجلس في الجلسة التي عقدت بدون تصويت الاقتراح الذي قدمه السكرتير العام للأمم المتحدة بيريز دي كويار في هذا الخصوص يحدد نسبة ٣٠٪ من عائدات البترول العراقية للتعويض عن أضرار الحرب والتي تقدرها الولايات المتحدة بنحو ٢٠٠ مليار دولار .

وكان دي كويار قد قدر عائدات البترول العراقية السنوية بنحو ٢١ مليار دولار بحلول عام ١٩٩٣م وتعني نسبة ٣٠ ٪ اقتطاع نحو ٦.٣ مليار دولار سنوياً من هذه العائدات.

وذكرت وكالة «اسوشيتدبرس» أن جميع أعضاء مجلس الأمن الدائمين باستثناء الولايات المتحدة ، قد وافقوا على أن نسبة الـ٣٠٪ مقبولة وإن كان الإتحاد السوفياتي يفضل اقتطاع نسبة ٢٥٪ فقط .

وأشارت الوكالة إلى أن رومانيا كانت العضو الوحيد من بين أعضاء المجلس الخمسة عشر – الذي أيد بحرارة اقتراح أميركا باقتطاع نسبة ٥٠٪ .

وكان ممثل أميركا في المجلس قد صرح بأن نسبة الـ ٣٠٪ ستجعل عملية التعويض تستمر لـ ٣٠ عاماً بالنظر إلى أن قيمة التعويضات تصل إلى ٢٠٠ مليار دولار وأضاف أن عملية التعويض على هذه الفترة ستكون طويلة ، ومن المقرر أن يعقد مجلس الأمن جلسة أخرى لبحث هذا الموضوع في الفترة القادمة .

على صعيد آخر نقلت الإدارة الأميركية إلى الأمم المتحدة المعلومات التي تلقتها حول قدرات العراق النووية والتي لم تقم السلطات العراقية بإبلاغ وكالة الطاقة النووية

الدولية عنها . وطلبت واشنطن من الأمم المتحدة التحقيق في أدلة تشير إلى أن العراق ينتهك شروط وقف إطلاق النار في حرب الخليج وذلك بتخزين مواد إنتاج الأسلحة النووية في عدد من المواقع بالبلاد .

وكان المسئولون الأميركيون قد كشفوا أن عالماً لجأ إلى الولايات المتحدة قدم معلومات عن أربعة مواقع بما فيها مجمع تحت الأرض قرب الحدود مع تركيا مؤكداً أن حرب الخليج لن تلحق أضراراً بجانب كبير من القدرة النووية العراقية .

وقد نفى دبلوماسي عراقي بالأمم المتحدة أمس الأنباء التي ترددت عن وجود هذه المواقع الأربعة .

ووصف الدبلوماسي العراقي في تصريح لراديو لندن هذه الأنباء بأنها ترمي إلى زيادة الضغط على العراق بهدف إستمرار فرض العقوبات عليه .

وأشار الدبلوماسي إلى أنه يحق لمسئولي الأمم المتحدة بموجب شروط وقف إطلاق النار القيام بعمليات تفتيش في أي مكان يريدونه في العراق .

ومن ناحية أخرى أعلنت الولايات المتحدة أنها تبرعت بمليون دولار للجنة الأمم المتحدة المكلفة بإزالة الأسلحة والمواد النووية والكيماوية والبيولوجية العراقية وقالت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية أن اللجنة تواجه مشكلات مالية خطيرة في القيام بعملها المهم وأنه لا يمكنها المضي قدما في هذا العمل مالم يتقدم عدد من الدول بسرعة لدعم برنامجها ذي الأهمية الحيوية.

وفي أنقره – رفضت تركيا طلب العراق بإعادة فتح خط أنابيب البترول العراقي وأبلغ المسئولون الاتراك طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي خلال زيارته لتركيا اليومين الماضيين بأن الخط سيظل مغلقاً حتى ترفع الأمم المتحدة العقوبات. هذا وفي نفس اليوم – ذكر مصدر دبلوماسي غربي أن السلطات الكويتية اعتقلت حوالي ألفي

شخص ، معظمهم من الفلسطينيين ، وأنهم مازالوا في المعتقلات والسجون ، وأن معظمهم لم توجه لهم اتهامات وأوضح المصدر أن المعتقلين ينتمون أساسا للدول التي تعاطفت مع العراق أثناء احتلاله للكويت .

وكان نائب المدير العام الكويتي قد صرح بأن ٤٤٠ شخصاً قد اتهموا بالتعاون مع الغزاة العراقيين ، وأنهم سيحاكمون في ظل الأحكام العرفية السارية حتى ٢٧ يوليو القادم .

وفي الوقت نفسه ، قضت المحكمة العسكرية الكويتية ، بالإعدام على لبنانية بعد إدانتها بإبلاغ سلطات الاحتلال العراقي أن زوجها عضو في المقاومة الشعبية مما أدى لاعتقاله وتعذيبه وقتله إبان الغزو .

كما قضت المحكمة بالسجن لمدة ٢٥ عاماً على الفلسطينيين وائل على ، وأنور عبد الرحمن بعد ادانتهما بالتعاون مع سلطات الاحتلال العراقي .

وفي يوم ١٩٩١/٦/١٢ م أعلنت وزارة الخارجية الأميركية أنها طلبت من سفارتها بالكويت استيضاح السلطات الكويتية حول التقارير التي أوردت أن الكويت تقوم بترحيل عدد من المدنيين العراقيين والمدنيين الذين ينتمون لدول أيدت العراق خلال أزمة الخليج .

وقال ريتشارد بوتشر المتحدث باسم الخارجية الأميركية أن السفارة الأميركية بالكويت ذكرت أن لديها شواهد تثبت قيام الكويت بترحيل عدد من الذين كانوا بالكويت منذ انتهاء حرب الخليج وأضاف أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر تبحث في تلك المسألة مع السلطات الكويتية .

وقال بوتشر أن هذه المسألة لو ثبتت صحتها فسوف تمثل انتهاكاً لاتفاق بين الكويت واللجنة الدولية للصليب الأحمر .

وكانت صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية قد ذكرت أن السلطات الكويتية رحلت ٣٠ عراقياً رغم إرادتهم يوم ١٩٩١/٦/٩م وأنها تحتجز نحو ٦٠٠ عراقي بالسجون الكويتية حالياً . في حين أشار دبلوماسي غربي لوكالة يونيتدبرس أن هناك نحو ٨٠٠ فلسطيني محتجزين أيضاً بالسجون العراقية .

وقد ذكرت تقارير وكالات الأنباء - نقلاً عن شهود عيان غربيين أن الكويت قامت بترحيل مجموعة من الفلسطينيين والسودانيين والعراقيين والأكراد مساء الثلاثاء حيث أقلتهم ٤ أتوبيسات من سجن الشويخ حيث يحتجز في هذا السجن وحده (٥٠) فلسيطيني - إلى حدود المنطقة المنزوعة السلاح بين العراق والكويت .

وقالت وكالة يونيتدبرس نقلاً عن شخص مسئول بالصليب الأحمر أن المجموعة التي تم ترحيلها مساء ١٩٩١/٦/٩ تضم ١١٥ شخصاً بينهما ٨٥ رجلا ، ٢٠ طفلا ، ١٠ سيدات .

وأضافت الوكالة أنه عندما قام مراقب تابع للأمم المتحدة بسؤال ضابط كويتي عن مبررات هذا العمل رد الضابط بأن المرحلين مذنبون وقال أنهم من الفلسطينيين والعراقيين.

ويذكر أن الولايات المتحدة والدوائر الغربية قد حذرت الحكومة الكويتية مراراً من انتهاك حقوق الإنسان والمخالفة لاتفاقيات جنيف والاتفاقية التي وقعت في الرياض في السابع من مارس الماضي وتنص على منح الأجانب بالكويت الحماية والحصانة .

كما تزايدت حدة الانتقادات للمحاكمات التي تجري حالياً للمتهمين بالتواطوء والتعاون مع السلطات العراقية أثناء الاحتلال وللظروف التي تجري فيها هذه المحاكمات مما أجبر السلطات الكويتية أخيراً على تشكيل لجنة لمراجعة الأحكام التي تصدرها المحكمة العرفية العسكرية بعد أن كانت هذه الأحكام نهائية ...

هذا وقد أعلنت وزارة الدفاع الأميركية أن قوات التحالف في مدينة «داهوك» بشمال العراق ستغادر المدينة خلال أيام .

وقال متحدث باسم الوزارة أن جنود من قوات التحالف دخلوا المدينة وأعادوا التيار الكهربائي وإمدادات المياه وطهروا الشوارع من الأسلحة الخطيرة .

ولم يحدد المتحدث في تصريحاته موعدا لرحيل قوات التحالف من مناطق أخرى بشمال العراق إلا أنه قال أن مهمتهم الإنسانية في المنطقة قد استكملت بشكل أساسي .

وكانت قوات التحالف قد سلمت إدارة جهود الإغاثة في شمال العراق لمسئولي الأمم المتحدة وقد عاد نحو ١٧٠ ألف لاجيء كردي إلى داهوك في الأسابيع القليلة الماضية بينما لا يزال أكثر من ٢٣ ألف لاجيء في مخيمين للإغاثة بالقرب من «زاخو» .

في الوقت نفسه وقع الرئيس جورج بوش على قانون يخصص ٥٥٥ مليون دولار كمساعدات إنسانية لمساعدة اللاجئين العراقيين ودعم أنشطة جهود قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في الخليج .

وسيخصص معظم هذا المبلغ للعملية التي ساعدت فيها القوات الأميركية النازحين العراقيين الأكراد في العودة من مناطق الحدود بين تركيا وشمالي العراق .

وقال بيان للإدارة الأميركية أن هذه الأموال ستمكنها من مواصلة تقديم مساعدات للاجئين العراقيين اللذين فروا إلى المنطقة الحدودية بين العراق وتركيا .

ومن ناحية أخرى سمحت السلطات العراقية للصحافيين الأجانب بزيارة منطقة «الأهواز» في جنوبي العراق حيث ترددت أنباء عن أن القوات العراقية تعد العدة لشن هجوم على اللاجئين الشيعة في المنطقة .

ويوم ١٩٩١/٦/١٠م أعرب العديد من اللاجئين العراقيين في السعودية عن رغبتهم في الحصول على أسلحة والقتال ضد القوات العراقية الموالية للرئيس العراقي صدام حسين ، على أن توفر قوات التحالف الحماية لهم .

وأعرب بعض العراقيين ، الذين يقدر عددهم بحوالي ٢٢ ألف لاجيء بالسعودية، أنهم يشعرون بالأسى لأن الولايات المتحدة شجعتهم على الثورة ضد الرئيس العراقي ثم تخلت عنهم ، عندما شنت قوات الرئيس العراقي هجوماً مضاداً .

ورداً على مطالب بعض اللاجئين للحصول على أسلحة ، ترفض السعودية تدريب أو تقديم الأسلحة ، على أساس أن السياسة السعودية ترفض التدخل في الشئون العراقية .

وتستعد السعودية لنقل اللاجئين من المخيمات إلى مبان فاخرة للغاية وصفت بأنها تشبه الخمسة نجوم وهي مزودة بأجهزة تكيف والماء والكهرباء .

ويقول الأمير سلطان بن خالد قائد القوات السعودية في حرب الخليج أن اللاجئين أمامهم ٣ اختيارات : العودة إلى العراق ، عندما ينتهي حكم الرئيس صدام ، أو البقاء في المخيمات أو تتسلمهم دولة ثالثة .

* هذا ولقد تردد في أمريكا يوم ١٩٩١/٦/١٣م احتمالات ضرب العراق ثانية ، فلقد شاعت تكهنات عديدة صاحبت وصول عالم الذرة العراقي «الغامض» إلى العاصمة الأميركية واشنطن ، وخاصة بعد الأسرار التي أذاعها عن ممتلكات العراق الباقية من المفاعلات النووية ، وكميات الأسلحة الكيماوية والبيولوجية التي لا تزال مخبأة .

التكهنات تشير إلى أن تسريب تلك المعلومات يقصد به تحريك الإدارة الأميركية للتدخل مرة أخرى ضد صدام حسين لإنهاء وجوده والتخلص منه بصفة نهائية.

شبكة تليفزيون « أيه . بي . سي » قالت إن الهدف من تلك المعلومات ربما يكون إيجاد مبرر للتدخل الأميركي لضرب المفاعلات ، أو تبرير استمرار الحصار ، وأضافت أن مفاجأة إعلان تلك المعلومات تؤكد التكهنات بهذ الشأن .

وكانت شبكة تليفزيون « أيه . بي . سي » قد أذاعت أن أحد كبار علماء وخبراء الذرة في العراق وصل بطريقة ما إلى واشنطن ، وهو نفس الرجل الغامض الذي وصل من قبل إلى شمال العراق وأبلغ القوات الأميركية في المنطقة الكردية بأن القصف الجوي الذي تعرضت له العراق لم يدمر مراكز لانتاج الطاقة الذرية ، وصواريخ سكود ، ومنصات إطلاقها ، وأن كميات كبيرة من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية لا تزال مخبأة ، وأن إدعاء تدمير رصيد العراق من تلك الأسلحة إدعاء كاذب .

وكشفت المحطةأن ٤٠٪ من الصواريخ الكيماوية ،البيولوجية لا تزال موجودة ، وأن ٤ منشآت نووية لا تعمل ، وأن العراق يمتلك ٨٨ رطلاً من اليورانيوم المثري الذي يطلقون عليه ، الكترون ماجنتيك ، ولم تعلن الشبكة اسم عالم الذرة العراقي ، أو كيفية وصوله إلى الولايات المتحدة .

وقال السناتور جون ماكين ، أنه لابد من تدمير هذه الأسلحة ، وإبلاغ الوكالة الدولية للطاقة الذرية بتلك المعلومات ، وإشراك أمريكا في عملية التفتيش ،التدمير ، واستمرار احكام الحصار بعد أن أكدت المعلومات المتاحة أن العراق يمتلك ٧٠٠ صاروخ سكود ، ومائة من قاذفاتها غير الأسلحة الكيماوية .

وأشارت محطة التليفزيون إلى أن الخبير العراقي عاش معزولاً عن العالم الخارجي سنوات طويلة ، وهو يمارس أبحاثه ودراسته ، وقرر أن يلجأ إلى الولايات المتحدة ويدلي بتلك المعلومات التي أشار فيها إلى أن أحد المفاعلات الباقية موجود بالقرب من الموصل ، وقد دارت مناقشات هامة حول مدى جدية تلك المعلومات .

وفي الوقت الذي أذاعت فيه محطة تليفزيون «أيه بي سي» تلك المعلومات كان الجنرال نورمان شوارزكوف قائد القوات الأميركية في حرب الصحراء يدلي بشهادته أمام الكونجرس ويؤكد أن المعلومات التي كانت متوافرة من أجهزة المخابرات الأميركية عن العراق وأوضاعها السياسية والعسكرية وصواريخها ومشاكلها لم تكن كافية خصوصاً قبل المعركة .

ويوم ١٩٩١/٦/٩م وصل الملك فهد عاهل المملكة السعودية إلى الكويت أمس في أول زيارة رسمية له بعد تحريرها من التحرير العراقي في فبراير الماضـي ، وذلـك بعد أن شاركت السعودية بفاعلية في تحرير الكويت ، وتحولت أراضيها إلى مأوى للحكومة الكويتية ولقوات التحالف حتى تمت عملية التحرير .

وكان في استقبال العاهل السعودي والوفد المرافق له الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت وكبار المسئولين الكويتيين .

وقد هنأ الملك فهد لدى وصوله للكويت أمير الكويت وشعبها بتحريرها من قوات صدام حسين الذي وصفه بأنه انتهك كافة القيم العربية والإسلامية وتقاليد حسن الجوار بغزوه الغاشم للكويت .

وأشاد فهد بالجهود المتواصلة التي تبذل الآن من أجل إعادة بناء الكويت كما أشاد بالتضامن الوثيق الذي جسده مجلس التعاون الخليجي خلال المعاناة الأليمة التي تعرض لها شعب الكويت .

وجدد خادم الحرمين الشريفين ، الشكر لقادة وزعماء العالم الذين كان لوقوفهم إلى جانب الحق ومناصرته الأثر الكبير في تحرير الكويت .

وقد بحث الجانبان ، خلال الزيارة التي استغرقت عدة ساعات ، القضايا المتعلقة بالتعاون المشترك والقضايا التي تهم منطقة الخليج والعالمين العربي والإسلامي .

وذكرت مصادر مطلعة أن المباحثات تناولت «إعلان دمشق» الذي وقعت عليه دول مجلس التعاون الخليجي ومصر وسوريا وأشارت هذه المصادر إلى الجهود الجارية حالياً لبحث الترتيبات الأمنية في الخليج والزيارة الأخيرة لوزير الدفاع الكويتي للقاهرة ودمشق لبحث هذا الموضوع ... وفي نفس الوقت تقريباً ١٩٩١/٦/٩م بعثت الحكومة العراقية برسالة إلى بيريز دي كويار السكرتير العام للأمم المتحدة تضمنت تفاصيل ما لديها من أسلحة كيماوية .

وقال راديو لندن نقلاً عن مندوب بريطانيا الدائم في الأمم المتحدة أن الرسالة تضمنت القائمة العراقية من أسلحة الدمار الشامل وهي ٧ آلاف قنيفة مدفعية محشوة بغازات الأعصاب وألفان وخمسمائة رأس حربي لصواريخ قصيرة معبأة بغاز الأعصاب .

وزعم العراق أن هذه الرؤوس الحربية موجودة حالياً تحت الأنقاض الناجمة عن عمليات القصف الجوي خلال حرب تحرير الكويت .. وقال راديو لندن أن معلومات تتردد عن كميات كبيرة من غاز الخردل .

وبعد .....

تلك هي العراق ، بعد حرب الأثنين والأربعين يوماً .. فقر ، وقهر وتدهور اقتصادي واجتماعي ....

هكذا هم العرب دائما ، لا يتعلمون من تجاربهم ، وإذا خاضوا تجارب جديدة (مثل الحروب) .. يبدأون عادة من الصفر دون أي قدرة واضحة على الفهم من الماضي أو الحاضر إن الوضع الآن في العراق غاية في السوء ، ومع هذا يحتفل النظام العراقي (بعيد ميلاد صدام) وبأم المعارك ، ولكن يبدو أن الوضع في الكويت ليس أقل سوءاً منه في العراق وفي باقي الدول العربية بعد حرب الخليج الشرسة .

فماذا عن هذا الوضع ؟

## واقع الكويت بعد ( التحرير ) :

مما لاشك فيه أن الكويت بعد التحرير غيرها تماماً قبل التحرير : سياسة واقتصاداً ، وثقافة ، ومجتمعاً ، فلقد حدثت تحولات هامة للغاية على كافة الأصعدة ، وفي هذه الجزئية نكشف النقاب عن هذه التحولات وبداية تؤكد بعض الدراسات الميدانية التي أجريت حديثاً على أن الأطفال في الكويت كانوا أكثر الفئات تأثراً بالتشوهات النفسية التي أفرزها (الاحتلال العراقي) و (التحرير الأميركي) وأثبتت إحدى الدراسات (د. سعد الدين إبراهيم – دراسة الأبعاد الاجتماعية والنفسية لتجربة احتلال وتحرير الكويت – صحيفة البيان – دبي –١٩٩١/٦/٨م ) أنه إلى جانب الاهتزاز الزلزالي العنيف الذي أصاب البيئة المادية المباشرة التي يعيش هؤلاء الأطفال وأفقدتهم بعض مصادر اشباع حاجات مادية ومباشرة فقد كان الاهتزاز أكثر عنفاً في البيئة الاجتماعية المباشرة التي تشبع حاجات هؤلاء الأطفال النفسية والوجدانية ، وأهم هذه الحاجات هي الشعور بالأمان والاطمئنان .

فمهما كان الكبار يحاولون أن يبددوا مخاوف أطفالهم وغمرهم بالحب ، فإن قلق الكبار الذي يبدو في نظراتهم وعيونهم وأحاديثهم وعصبية سلوكهم يتم التقاطها بحساسية شديدة من الأطفال حتى إذا لم يصرحوا بذلك وعادة ما ينخرط الكبار والصغار في سلوك من التحاشي المتبادل ، لعدم جرح أي منهما الآخر فالذي لا يعرفه أو يدركه الكبار ، هو أنه بقدر ما كان الكبار يحاولون خلق آليات دفاعية لحماية وتحصين أطفالهم من أهوال المحنة ، فإن الأطفال بدورهم كانوا يحاولن إخفاء مشاعر خوفهم وقلقهم الحقيقي المبرر . وذلك حماية لمشاعر الآباء والأمهات .. أي إننا بصدد عمليات إخفاء وكبت جماعي لما ينبغي أن يكون استجابات إنسانية طبيعية لواقع نكبوي مهول .

وإن أنسى لن أنسى أبداً (والقول للدكتور/ سعد الدين ابراهيم ) مشهد طفل

كويتي (اسمه مبارك) صادفته في أحد فنادق القاهرة وهو يرتجف «ما إذا كنت أنا صدام حسين؟» .. ورغم الذهول اللحظي الذي أصابني لسماع سؤال الطفل الكويتي المرتجف لدى رؤيته لأي شخص غريب ، فإنني طالما فكرت في الكوابيس التي لابد أنها استبدت بعشرات الآلاف من بقية أطفال الكويت طوال شهور المحنة وإلى الآن ، وكم من هذه الكوابيس المكبوتة ستظل تعشش في الوعي واللاوعي لهؤلاء الأطفال ، وكم ستؤثر على نمو شخصياتهم الانطباعية الغضة ؟ إن هذه أسئلة أخرى متصلة بها لابد أن تكون أحد الهموم الملحة في مرحلة إعادة بناء الكويت ... فإذا كان للكويت مستقبل على الإطلاق ، فإن المستقبل يكمن في أطفال وشبيبة الكويت .

وكان لصدمة احتلال الكويت ، وتداعيات الاحتلال ، ألف وجه ووجه ، أي أن الصدمة الكبري قد أفرزت بسرعة سلسلة أخرى من الصدمات الجانبية والفرعية ، والتعريف السيكولوجي ، للصدمة ، وهو وقوع حدث كبير مؤلم بلا أدنى توقع ، وليس له في ترسانة الخبرات السابقة للفرد أو الجماعة ما يمكن من التعامل معه ، ولذلك يصاب الفرد أو الجماعة بما يشبه الشلل النفسي الكلي أو الجزئي للحظات قد تقصر أو تطول .

وبمعنى من المعاني ربما كانت الصدمة الكبرى ، وهي الاحتلال العراقي هي بسبب السرعة الخاطفة التي تم بها الغزو والسرعة الخاطفة التي اختفت بها الدولة الكويتية ، ومع ذلك فربما كان الغزو أقل من الصدمات الفرعية التي أعقبت الغزو ، ومن هذه الصدمات الفرعية الأكثر إيلاماً صدمة بعض ردود الأفعال العربية الرسمية والشعبية ، وربما كان الأكثر إيلاماً من كل ردود الفعل هذه تلك التي أظهرتها بعض فئات الوافدين العرب والمقيمين على أرض الكويت ، والعاملين فيها ، والمتعايشين مع أهاليها منذ سنوات طويلة وفي مقدمتهم أبناء فلسطين والأردن والسودان.

في مقابلة هذه المشاعر الموغلة في سلبيتها نحو «الآخر العربي» القريب اجتاحت الكويتيين مشاعر متدفقة في إيجابياتها نحو« الآخر الأجنبي» البعيد ...

ولما كان هذا الوضع النفسي الجديد ، هو إفراز للفتنة - النكبة - المحنة فهو بمعنى من المعاني ووضع طبيعي في الأمد القصير ، لأنه رد فعل متطرف حاد لفعل متطرف حاد ولكن بقاء أو استمرار هذا الوضع النفسي أو تكريسه هو الذي يمكن أن يمثل تشوهاً نفسياً جماعياً دائماً للشعب الكويتي .

لذلك فلابد من جهود واعية في أجهزة الإعلام والتعليم الكويتية لحصار واحتواء تداعيات هذا الإنقلاب النفسي .. وبالطبع لا يعني ذلك أن تعود التركيبة النفسية الفردية أو الجماعية للكويتيين إلى سابق حالها قبل يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠م ، فهذا من المحال .. لقد جرت مياه غزيرة تحت الجسور ، بل واجتاحت الجسور ، وإنما الذي تعنيه هو تحاشي ديمومة هذه المشاعر الحادة المتطرفة سواء بالكراهية أو الحب .. وإلا تعرضت الكويت إلى انفصام بين جغرافيتها وتاريخها وبين انشطار مجتمعها وثقافتها .

هذا ويرتبط بمسألة التشوهات النفسية «نحو الآخر العربي» كل النزعات الانتقامية الحادة التي ظهرت بين قطاع ليس بالقليل من أبناء الشعب الكويتي نحو بعض الجاليات العربية الوافدة ، وبسبب المواقف التي اتخذتها القيادات الرسمية التي تنتمي إليها هذه الجاليات بتأييدها السافر أو الضمني لصدام حسين ، خلال أزمة الخليج ، والانتقام ، رغم أن نزعة بشرية مفهومه لمن يقع عليه ظلم أو اعتداء ماحق ، إلا أنه في عمومه وتداعياته ، هو سلوك اجتماعي تدميري ، ولذلك تجاوزت المجتمعات المتحضرة مفهوم «الانتقام» أو «الثأر» وأحلت مفهوم «العقاب» فالثأر أو الانتقام غالباً ما يأخذ «الأبرياء» بجريرة المذنبين ويراعى دائماً بالضروة التوازن مع الفعل الآثم الذي يكون قد ارتكب ، ولا تقوم به سلطة شرعية عقلانية وإنما يقوم به أفراد غاضبون ، والأخطر من ذلك أن يتعود أفراد المجتمع الذي يقومون «بالانتقام» على هذه الممارسة في سياقات أخرى ، ومن ثم يختل النظام الاجتماعي الوطني برمته .

وفي حالة الكويت الجديدة ، لا ينبغي مهما كانت المغريات أن تبدأ عملية إعادة البناء الاجتماعي - السياسي الملحة بنزعات إنتقامية ، ولكن لامتصاص الغضب الاجتماعي وعقلنته لابد من الأخذ بمبدأ العقاب المنظم لحق الشعب الكويتي ، ويمكن أن يتم ذلك بإجراءات قضائية سريعة ، ولكنها سليمة إجرائياً ، أي تراعى قواعد الإثبات ومعايير العدالة المتعارف عليها ، ويمكن لهذا الغرض أن تنشأ محاكم استثنائية خاصة ، يحضرها ، ممثلون عن اتحاد المحامين العرب ومنظمات حقوق الإنسان العربية والعالمية ، ففلسفة «العذاب» هي إعادة الاعتبار للمجتمع كله ضد من ارتكبوا في حقه جرماً وليس مجرد التشفي والانتقام .

ولقد شاء القدر للشعب الكويتي في لحظة الغزو والاحتلال أن يكون نصفه في الداخل ونصفه الآخر في الخارج ، وقد تحمل كل من النصفين معاناة ومر بخبرات من نوع مختلف - ولاشك أن معاناة من كانوا بالداخل كانت هي الأشد وطأة .. بحكم تعرضهم المباشر لكل بشاعات الاحتلال العراقي الوحشية ، وكانت خبراتهم في الصمود والمقاومة وإعادة تنظيم وإدارة المجتمع الكويتي هي الأكثر ثراء وتنوعاً في ظروف المحنة .

رغم أن الكويتيين في الخارج قد خبروا بدورهم معاناة من نوع آخر - تتمثل في كل ما يرتبط بشعور اللاجيء المحروم من وطنه والبعيد عن أهله ورغم أن وجود هذا العدد الكبير من الكويتيين بالخارج تم توظيفه في عمليات الإعلام والدعاية وتعبئة الرأي العام الخارجي لنصرة قضية الكويت العادلة ، إلا أن كويتيي الخارج لم يتعرضوا لنفس الأخطار المادية والنفسية المباشرة التي تعرض لها الكويتيون في الداخل فقد كانوا - رغم تجربة اللجوء المريرة - يعيشون في أمان نسبي ، على الأقل من الناحية الجسدية .

وقد خلق هذا الوضع الفريد في حجمه ( وليس في نوعه) اشنطارا نفسيا

اجتماعيا في الشعب الكويتي ، فالذين ظلوا في الداخل ، وأطلقوا على أنفسهم اسم «المرابطون» يشعرون بنوع من الفضيلة الوطنية يعتقدون أنها حكرا عليهم دون اخوانهم الذين كانوا «لاجئين» بالخارج وقد عبر الفريق «المرابط» عن هذه المشاعر بأصوات صاخبة ، وخاصة في الأسابيع الأولى التي تلت تحرير الكويت .

وإذا كانت تجربة الاحتلال قد مكنت المجتمع الكويتي من تجاوز الكثير من انقساماته الإرثية السابقة (القبلية والعشائرية والمذهبية) و من انقساماته السياسية (الأسرة الحاكمة في مواجهة المعارضة) ، فإن تجربة الاحتلال هذه قد أحدثت انقسامات نفسية جديدة بين الكويتيين المرابطون في مواجهة اللاجئين .

ولكن يبدو أنه بمرور الوقت تخف حدة هذا الانقسام العرضي «فالمرابطون» بدأوا يوقنون ، أولا ، أن الأمر كان مجرد صدفة تاريخية موسمية ، فعدد كبير من الكويتيين يقضون أجازتهم الصيفية في الخارج ، إما خلال شهر يوليو أو شهر أغسطس ، أو خلالهما معا ، ومعظم الذين دهمهم الاحتلال وهم في الداخل كانوا على وشك أن يسافروا بدورهم إلى الخارج في وقت ما خلال شهر أغسطس ، وكذلك فإن معظم من كانوا بالخارج كانوا على وشك العودة إلى الكويت ، لولا وقوع الاحتلال ، أي أن الوضع كان محض صدفة بالنسبة لمعظم الكويتيين .

كذلك فإن هناك تقديراً متزايداً لأهمية الدور الذي قام به الكوتيون في الخارج بداية من الحفاظ على السلامة الجسدية لرموز الشرعية ممثلة في الأسرة الحاكمة ، وانتهاء بالدور الإعلامي والسياسي الكبير الذي قام به الكويتيون في الخارج ولنا مثلا أن نتصور ما كان يمكن أن يحدث لو أن جحافل الغزاة من العراقيين ، كانوا قد نجحوا في القبض على أفراد الأسرة الحاكمة ، وقاموا بتصفيتهم جميعا جسديا ، أو اجبروا على توقيع اتفاقيات أو تنازلات سياسية (مثل الوحدة مع العراق) .

وأخيرا فمما ساعد على تجاوز هذا الشرخ النفسي بين المرابطين واللاجئين هو

أن معظم العائلات الكويتية قد احتوت على أعضاء في الفريقين أي أن في الأسرة الواحدة كان من بين أفرداها من «رابط» ومن «لجأ».

هذا وبعد صدمة الاحتلال مباشرة ، مر الكويتيون بعدة حالات نفسية متعاقبة ففي خلال الأسابيع الأولى كان هناك ذهول جماعي يختلط بخوف شديد من سطوة المحتل ، ونظامه الدموي المستبد .. ولكن هذه المرحلة تبددت تدريجيا ، وحل محلها الرفض السافر أو الضمني للاحتلال ، ثم مرحلة تحدي هذا الاحتلال ومقاومته بشتى الأساليب !

وانطوت هذه المقاومة على حذر أملته موازين « القوة المادية» غير المتعادلة على نحو ما نعرف ، لكن المهم من الناحية النفسية هو انكسار «حاجز الخوف» غير مسبوق ، حتى قبل الاحتلال فكل مظاهر المعارضة حتى ضد الأسرة الحاكمة ، كانت تتم والمعارض يعرف سلفاً أنه لن يصيبه ضرر جسدي أو مادي بالغ ، وهو في حماية نظام أقرب إلى «الأبوية السياسية» أما في ظل الاحتلال فقد كان المعارض أو المقاوم لهذا الاحتلال يعرف سلفا بأن ضررا شبه مؤكد سيقع عليه ، ومع ذلك لم يتردد في المعارضة أو المقاومة ، وهذا ما نعنيه بانكسار «حاجز الخوف» ، وهناك تداعيات هامة لهذه الظاهرة النفسية الجديدة في المجتمع الكويتي فحتى بعد زوال الاحتلال يظل التهيوء للمعارضة والمقاومة ضد أي وضع مختل مستمرا ، دون خوف أو وجل ، أي أنه ينبغي لصانع القرار الكويتي أن يأخذ هذا التطور النفسي الجماعي للشعب الكويتي في الحسبان ، خاصة أنه توجد كمية هائلة من السلاح في أيدي أبناء الكويت، وباختصار لابد أن تكون صناعة القرار في الكويت الجديدة عملية عقلانية تعتمد على أكبر قدر من المشاركة والإقناع والاقتناع – أي تتوفر لها شرعية ظاهرة – وإلا تعرض المجتمع الكويتي لقلاقل شديدة في المستقبل (القريب) ، ولعل ذلك يمثل سببا إضافيا قويا لتكريس مسيرة التحول الديمقراطي في الكويت .

هذا وقد ارتبط بهذه الآثار الاجتماعية ، حقائق أخرى هامة تؤكدها وإن كان

على مستوى آخر ، فلقد ذكرت الأنباء ، أن العديد من التحف والآثار الإسلامية الكويتية قد اكتشف فقدانها بعد الاحتلال ، ووفقا «للواشنطن بوست» في مايو ١٩٩١م أنه يوما ما كانت الكويت إحدى أكبر مراكز جمع التحف الفنية والتراث الإسلامي في العالم ، والآن متاحف الكويت كلها فارغة .. لأن مقتنياتها إما في أيدي عراقية أو دمرت على أيدي عراقية .

فلقد دمر متحف الكويت الوطني وكذلك بيت الفن الإسلامي عن بكرة أبيهما .. وكان من ضمن الخسائر الجسيمة «سفينة يوم» طولها ٢٤ مترا تعد مثالا حيا على الصناعة البحرية في الخليج ، فقد سكب عليها كيروسين واضرم فيها النار.

لاشك أن النهب والسلب والتخريب والدمار هي نتائج حتمية لكل الحروب ، إلا أن ما فعلته القوات العراقية في الكويت كان تخريبا عن وعي كامل بقيمة الثروات الموجودة فمثلها فعل الجيش الأحمر السوفياتي في مهمة جمع الغنائم من ألمانيا في الحرب العالمية الثانية فعل العراقيون بالنفائس الفنية الكويتية .. فطبقا لتصريحات خبراء الفن الإسلامي أن ١٧ شاحنة امتلأت عن آخرها بمحتويات المتاحف الفنية والأثرية وتوجهت إلى بغداد .

وبعد انتهاء الحرب .. توجهت الكويت بطلب إلى مجلس الأمن بالأمم المتحدة لإعادة المسروقات الفنية .. وطالبت بتدخل اليونسيف إلا أن اليونسيف ليس له أية سلطة تنفيذية ذات قوة شرعية .. ولكنه بالإمكان أن يضغط على العراق ويذكرها باتفاقيتين كانت قد وقعت عليهما مع الكويت ، الأولى في عام ١٩٥٤م وتنص على حماية الممتلكات الثقافية والأثرية والفنية في حالة حدوث نزاع مسلح بين البلدين ، والثانية في عام ١٩٧٠ والتي تمنع الاستيراد أو تصدير أي ممتلكات فنية مسروقة بين البلدين ، ومن المفترض أن تعالج كلتا الاتفاقيتين ما أفسدته القوات العراقية ضد الثروات الحضارية في الكويت .. ولكن لماذا اخترقت تلك الاتفاقيات من الأصل ؟!

تقوم اليونسكو الآن بجمع معلومات وصور حول مقتنيات الكويت - والتي معظمها كان ملكاً لعائلة «الصباح» الحاكمة - وتم تحديد أكثر من ١٥ ألف قطعة يونانية وإسلامية منها ، وسيتم التعارف على أية قطعة تسربت من الكويت إلى السوق السوداء وتظهر في مزاد علني .. فإن الخبراء سيتعرفون عليها ويعيدونها إلى الكويت .

واستجابة لطلب اليونسكو .. صرح طارق عزيز في رسالة بعث بها إلى خافيير بيريز دي كويار الأمين العام للأمم المتحدة أن بلاده ستعيد كل المسروقات الفنية .. ولكن مسؤولاً كويتياً في المركز الصحافي علق على هذا قائلاً : « نحن لا نعول على وعودهم أبداً » .

وقال المسئول الكويتي «كلمة أخيرة نوجهها للأمم المتحدة : لابد أن يطرق على الحديد وهو ساخن .. وأن كل قشة سرقت من بيوت الآثار في الكويت هي ملك للكويت وليس للعراق ويجب أن تعاد مرة ثانية وإلا سيمر عليها خمسون سنة وما زالت تحت البحث .. مثل المقتنيات الألمانية التي نهبها الجنود السوفيات في الحرب العالمية الثانية ومازالت تزين بها متاحف موسكو » .

هذا وقد أعلن فهد الوهيبي نائب مدير المتحف الوطني الكويتي أن هناك احتمالا بضياع ما قيمته مليار دولار من المقتنيات الفنية الأثرية الإسلامية التابعة للمتحف للأبد وهي المقتنيات التي نقلتها السلطات العراقية إلى بغداد ضمن ٣٠ ألف قطعة أثرية محملة على ١٧ عربة في سبتمبر الماضي .

ودعا المسئول الكويتي متاحف العالم لمساعدة المتحف الوطني الكويتي باستكمال ما فقد من مجموعاته الأثرية والفنية ، التي تمثل وتشرح تاريخ العالم الإسلامي ، إلا أنه أوضح أن المتاحف العالمية لم تتخذ حتى الآن مبادرة في هذا الشأن .

وقال المسئول أن المقتنيات المفقودة تمثل كنزا لا يقدر بثمن وإنها كانت بمثابة كنز نادر للعالم أجمع يرجع تاريخه إلى القرن الثامن الميلادي .

وكانت السلطات الكويتية قد طلبت من منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة مساعدتها لمنع أي محاولة غير قانونية لبيع مقتنيات المتحف الوطني الكويتي في السوق العالمية .

ويأتي طلب الكويت هذا ، طبقا لاتفاقية عام ١٩٧٠م ، في هذا الشأن ، الأمر الذي دفع اليونسكو إلى التجاوب مع الطلب .

هذا وقد طالب فهد الوهيبي في لقاء مع صحيفة الواشنطن بوست المنظمات الدولية بمساعدة الكويت «على إعادة تراثها القيم » الذي أقدم النظام العراقي على سرقته .

وأعرب عن تشككه القوي في إمكانية أن يعيد العراق ما يقدر بحمولة ١٧ شاحنة من الممتلكات والآثار الثمينة التي يضمها المتحف الوطني .

وأوضح أن أن بعض الآثار التي يتضمنها المتحف تعود إلى تاريخ الإنسان العربي نفسه والحوادث الهامة في العالم العربي مشيرا إلى أن استعادتها من العراق من الصعوبة بمكان.

وقال الوهيبي أن العراقيين لم يعتذروا للدمار الذي سببوه لنا أو القيام بأي مجهود لإعادة المسروقات .

وذكر أن بعض التحف التي تعود إلى العصر الروماني قد دمرت أو ضاعت ، في ظل الوحشية العراقية التي لم نر مثيلا لها في التاريخ .

وقال أنه لهذه الأسباب جميعا سوف تطلب الحكومة الكويتية المساعدة من دول

العالم للبدء على الأقل باستعادة ما يمكن إعادته إلى مكانه الطبيعي والطلب أيضا من الأمم المتحدة بملاحقة المسروقات حتى لا تتسرب لأسواق المتاحف العالمية .

فضلاً عن هذا فقد انتقد وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل الكويتي النظام العراقي للحالة المتردية التي أحال هذا النظام الوضع الاقتصادي الكويتي إليها .

وقد أكد وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل الكويتي عيسى ياسين يوم ٦/١٨ أن النظام العراقي في غزوه لدولة الكويت انتهك كل المبادىء والأهداف والقيم التي تسعى إلى تحقيقها منظمة العمل الدولية حين تسبب في تشريد ٧١٨٣٥٠ عاملا.

وذكر ياسين في كلمة أمام الدورة الـ٧٨ لمؤتمر العمل الدولي الذي واصل جلساته يوم ١٩٩١/٦/١٩أن الكويت تعود حرة مستقلة لتشارك في أعمال هذه الدورة بعد أن من الله عليها بنعمة الحرية لتواصل دورها الفعال بإخلاص وصدق لتحقيق أهداف ومبادىء وتطلعات منظمة العمل الدولي واستشهد المسؤول الكويتي بدراسة منظمة العمل الدولية حول العمال المهاجرين في الكويت قبل الثاني من أغسطس وبعـده .

وقال أن النظام العراقي في تشريده للعمال الأجانب الذين كانوا يعملون في الكويت قد خلق مشكلة للبلدان المصدرة للعمل .

وأوضح أن عودة هؤلاء العمال قد أضاف عبئا آخر على اقتصاديات هذه الدول مشيرا إلى أن العمال العائدين سيواجهون مشكلة البطالة وستواجه هذه الدول مشكلة استيعاب هذه الأعداد الهائلة في أسواق العمل لديها ومؤكداً أن القطاع غير النظامي سيكون هو الملجأ الرئيسي لهم مما سيضيف عبئا فرض على هذا القطاع وسيزيد مشكلاته .

وأشار وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل إلى أن النظام العراقي الغاشم دمر ونهب وسرق كل موجودات المؤسسات والمنشآت الاقتصادية في الكويت موضحاً

أن أصحابها الكويتيين وغير الكويتيين فقدوا كل ما لديهم وأصبحوا في حالة إعسار تام .

وطالب أعضاء منظمة العمل الدولية الضغط على النظام العراقي بإلزامه بتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي المتعلقة بهذا الشأن .

وقال عيسى ياسين أن النظام العراقي في غزوه للكويت قد انتهك بشكل صارخ كل المواثيق والمبادىء والاتفاقيات الدولية ومبادىء حقوق الإنسان موضحا أن الغزاة مارسوا شتى أنواع التعذيب للكويتيين وغير الكويتيين .

ودعا المنظمة إلى اتخاذ اجراءات حاسمة ضد النظام العراقي باعتبارها مسؤولة عن تحقيق مبادىء وقيم معينة ولكي تؤكد مصداقيتها فيما تدعو إليه من عدالة اجتماعية وضمان حقوق الإنسان وحماية مصالح العمال وأصحاب الأعمال وتحقيق كرامة الإنسان ، كما طالب وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل الكويتي منظمة العمل الدولية لإطلاق سراح المعتقلين الأسرى الكويتيين وغير الكويتيين والذين مازالوا في معتقلات وسجون النظام العراقي الذي يمارس ضدهم كل صنوف التعذيب والإرهاب ويعيشون في ظروف صحية ونفسية سيئة جدا .

هذا وقد أصدر المجلس التنفيذي لمنظمة الأمم المتحدة والتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» يوم ١٩٩١/٦/١١م قرارا يدعو المدير العام للمنظمة الدولية لطرح خطط تستهدف ترميم الأنظمة التعليمية والثقافية في الكويت .

وذكر القرار الذي تقدمت به قطر ومصر بقرار سابق صادر عن المجلس التنفيذي لليونسكو ندد بتدمير المؤسسات الثقافية والتعليمية والعلمية في الكويت على يد قوات النظام العراقي خلال فترة الاحتلال التي استمرت سبعة أشهر .

ودعا القرار مدير عام منظمة اليونسكو إلى تقديم تقرير شامل عن تدمير هذه

المؤسسات الكويتية رفعه مبعوثه الخاص للمجلس التنفيذي في دورته التي عقدت في الخريف الماضي .

كما نص القرار على تقديم مدير عام منظمة اليونسكو خططا تنفيذية تستطيع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة تنفيذها لاستعادة الممتلكات الثقافية لدولة الكويت التي سرقها النظام العراقي خلال فترة الاحتلال .

وأعلنت أنها ستزود البوليس الدولي «الانتربول» بقائمة مفصلة بالقطع الأثرية التي سرقها النظام العراقي من متحف الكويت الوطني ودار الآثار الإسلامية لقطع الطريق أمام بيعها في أسواق التحف الدولية .

وأقر المجلس التنفيذي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة هذا القرار بالإجماع رغم وجود العراق في المجلس خلال جلسة التصويت .

وكان المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو قد أعرب في الدورة السابقة التي عقدت في الخريف عن تضامنه مع الشعب الكويتي الرازح تحت الاحتلال ندد بالإجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال لتشويه الهوية الوطنية للشعب الكويتي وانتهاكات حقوق الإنسان .

هذا ولقد شهدت الساحة السياسية في الكويت تحركات دبلوماسية عديدة ، منها زيارة العديد من رؤساء الدول إلى الإمارة بعد التحرير ، بهدف استثمار فرص التعمير لصالح دولهم ، وكان من بين هؤلاء الرئيس المصري / حسني مبارك ففي يوم ١٧ ، ١٩٩١/٦/١٨م وفي أول زيارة يقوم بها للكويت بعد تحريرها وعودة الشرعية إليها ، أجرى الرئيس حسني مبارك مباحثات مع الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت ، تناولت الأوضاع العربية الراهنة ، وتحقيق التضامن على أسس قوية ومتينة وسليمة ، في ضوء الدروس المستفادة من أزمة الخليج .

وعبر أمير الكويت عن شكره وتقديرة ، وتقدير الكويت حكومة وشعبا للموقف المشرف للرئيس مبارك وشعب مصر طوال الأزمة وشدد الأمير على أن الرئيس مبارك اتخذ القرار ، وقوفا بجانب الحق والمبادىء .

وعقب إنتهاء زيارته للكويت وصل الرئيس حسني مبارك ظهر يوم ١٩٩١/٦/١٨ إلى المنامة في زيارة قصيرة لدولة البحرين ، أجرى خلالها مباحثات مع الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين . وهو أول لقاء يتم بين الرئيس مبارك وأمير دولة البحرين الذي كان قد أجرى عملية جراحية في وقت سابق .

وخلال جلسة المباحثات التي استغرقت ساعة كاملة وعقدت بقاعة كبارالزوار بمطار المنامة بحث الرئيس حسني مبارك والشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة المستجدات على الساحة العربية والخليجية ومنطقة الشرق الأوسط ودعم التضامن العربي وتأكيد وتطوير التعاون الثنائي بين مصر والبحرين .

وقد أشاد الرئيس حسني مبارك بعمق العلاقات التي تربط مصر بالبحرين وقال أن هناك مجالات تعاون كبيرة بين الجانبين في مختلف الميادين .

وأضاف الرئيس مبارك أنه أجرى مباحثات مع الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين خلال زيارته حول الموقف الراهن في المنطقة بعد تحرير دولة الكويت وعودة الشرعية إليها وما يمكن العمل به بعد حرب الخليج .

وأوضح الرئيس مبارك أنه تم خلال جلسة المباحثات استعراض شامل لعدد من القضايا السياسية وتقييم الموقف عبر المحنة التي مرت بها منطقة الخليج .

وفي تصريحاته للوفد الصحفي المرافق له على الطائرة خلال رحلته من القاهرة إلى الكويت ، أعلن الرئيس حسني مبارك أن علاقات مصر مع العرب ، علاقات

مبادىء ، وليست مصالح ، مؤكدا أن علاقات مصر الرسمية مبنية على سياسات طويلة المدى وليست وليدة أحداث عابرة .

وقال الرئيس ، إن زيارتي للكويت تأتي من نفس المنطلق ، وهي سياسة مصر المبدئية ، ولكني أهنىء الكويت أميرا ، وحكومة ، وشعبا بتحرير الكويت وعودتها لأهلها وكذلك لتأكيد مساندة مصر لدولة الكويت ومساعدتها على الوقوف وحل مشاكلها في أعقاب ما تعرضت له من محنة .

وأكد الرئيس – ردا على سؤال – أن دور مصر في المشاركة في تعمير الكويت قائم ، ونحن لا نتأخر عن تلبية أي طلب للأشقاء الكويتيين .

وبالنسبة لمشاركة القوات المصرية في المرحلة المقبلة ، قال الرئيس مبارك :

« إننا نبحث في الاحتياجات التي يطلبها الأشقاء العرب ، ونأخذ القرارات المناسبة بناء على ذلك ، ولكننا نوافق من حيث المبدأ – على المشاركة في هذه القوات.

وأشار الرئيس إلى أن عودة التضامن العربي ولم الشمل لما كان عليه قبل الغزو العراقي للكويت يحتاج إلى وقت .

وأضاف أن القوات التي كانت قد أرسلت ذات طبيعة خاصة وحين يتم الاتفاق على ترتيبات الأمن فسوف يتم إرسال قوات أخرى لأننا لا نستطيع أن نتخلى عن التزاماتنا العربية تجاه الكويت وغيرها من دول الخليج .

وحول الجهود المبذولة لإحلال السلام في الشرق الأوسط ، أوضح الرئيس أن جولته الحالية تأتي في إطار الاتصالات والتشاور ، والمهم أن تتقدم القضية تجاه الحل، وليس الاتصال ، أو الحوار مع شخص من الأشخاص .

وأضاف الرئيس أنه ليس أمامنا إلا أن نحافظ على قوة الدفع لعملية السلام وإبقائها حية ، وهناك اقتراحات عديدة حول التسوية السليمة يجرى مناقشتها .

## أوضاع جديدة بعد التحرير :

هذا ولقد واكب التحولات الاقتصادية والسياسية في الكويت تحولات أخرى على مستوى (الداخل الكويتي) حيث جرت محاكمة المتهمين بالتواطوء مع النظام العراقي أثناء «احتلال الكويت» ولقد صدر العديد من البيانات الدولية حول هذه المحاكمات ، وتذكر الأنباء أن الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ، ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الكويتي قد أكد يوم ١٩٩١/٥/٢٥م خلال اجتماع لجنة الشؤون الأمنية والسياسية الأولوية المطلقة لتعزيز الأمن وتحقيق الاستقرار في الكـويت .

وأعلنت المحكمة العرفية تأجيل النطق بالحكم على ٣٩ متهما بالتواطوء والتعاون مع سلطات النظام العراقي اثناء احتلاله للكويت وذلك إلى يوم ٨ يونيو وقضت ببراءة تركي والسجن مع وقف التنفيذ لمتهم أردني ، وتقرر أن تمثل يوم الأربعاء ١٩٩١/٦/٥ أمام المحكمة العرفية مجموعة من الفنانين الذين وجهت إليهم التهمة نفسها ، على حين تحاكم مجموعة أخرى غيابيا .

وقد تم في الاجتماع الذي عقد بحث عدد من الشؤون الأمنية حيث شدد ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الكويتي على ضرورة اتباع الحزم في تطبيق القانون ووجوب اتخاذ التدابير اللازمة لتعزيز الأمن وتوفير الطمأنينة الكاملة للجميع وتحقيق الاستقرار في البلاد باعتبار ذلك من الأولويات التي تحرص الحكومة الكويتية عليها ولن تتهاون في تحقيقها .

كما أكد الشيخ سعد العبد الله تقديره للمسؤلية الجسيمة الملقاه على عاتق أجهزة الأمن الكويتية في هذه المرحلة الدقيقة من المسيرة الوطنية والظروف الاستثنائية التي تعيشها الكويت داعيا الجميع إلى مضاعفة الجهود لتأمين سلامة الكويت والكويتيين .

وعلى صعيد آخر أعلن أمس أنه من المقرر أن تنظر الدائرة العرفية الثالثة يوم الأربعاء المقبل القضية التي اتهمت فيها مجموعة من الفنانين بالتواطوء مع النظام «العراقي» يمثل منهم أمام المحكمة ثلاثة فقط والباقون هاربون وهم :

زنوبه عبد الخضر عاشور وشهرتها «زينب الضاحي» – عراقية محبوسة ، خلف علوان المالكي – عراقي محبوس ، قاسم صالح عبدالله – عراقي محبوس ، احسان صبري سوادي – عراقي هارب ، سنار جبار علي – عراقي هارب ، حسين جمعه عبد الكريم – عراقي هارب ، عادل عفانه – أردني هارب ، يوسف عبد الرازق– أردني هارب ، عزيز صقر العامري – عراقي هارب ، ناجي عبد الله الجبوري – عراقي هارب ، صالح حمد وشهرته (البيرك) – عراقي هارب ، عمر محمد فاضل – عراقي هارب .

ومن ناحية أخرى حكمت المحكمة العرفية المكلفة بمحاكمة الأشخاص المتهمين بالتواطوء والتعاون مع سلطات الاحتلال (النظام العراقي) أثناء احتلاله للكويت بستة أشهر مع وقف التنفيد علي مواطن أردني وبرأت مواطنا تركيا .

وأصدرت المحكمة حكما ببراءة رجب يعقوب الباص وهو تركي الجنسية فيما حكمت بستة أشهر مع وقف التنفيذ على المواطن الأردني ياسر محمد محمود السمهوري وإلزامه بتعهد كتابي دون كفالة بحسن السيرة لمدة ستة أشهر ومصادرة الطلقة النارية التي بحوزته .

وأجلت المحكمة العرفية في الكويت النطق بالحكم على ٣٩ متهما آخرين إلى يوم ٨ يونيو استجابة لطلب من محامي الدفاع عن الشهود .

وفيما يلي أسماء المتهمين وجنسياتهم الذين عرضوا علي المحكمة :

حسام راشد عطية فرح – أردني – سميه محمد سلمان المرضي – عراقية ،

رمزي محمد محمود – أردني ، عماد سامي داري ، رائد عبد الرؤوف حامد ، أردني، سائر مفيد عزت – أردني – رائد مفيد عزت – أردني ، محمد عبد الرؤوف الحامد – أردني ، مفيد عزت طه – أردني ، صباح محمد حسن – عراقي ، عبد الأمير محمد حسن – عراقي ، يوسف محمد غلوم دشتى – كويتي ، ماجد علي حسين راضي – عراقي ، عبد الستار جبار حمد – عراقي ، فهد نعيم ريكان – عراقي ، علاء غازي حسن – عراقي ، محمود علي محمد – أردني ، خيران أحمد هيدان – بدون ، سلامه سليم عصور – أردني ، زهير موسى دياب – أردني ، جابس موسى دياب – أردني، خالد جمال منصور – أردني ، أحمد جبار محسن – عراقي ، شاكر جبارمحسن – عراقي ، فاخر جبار محسن ، عراقي ، خليل ابراهيم عبد اللطيف – عراقي ، فتحي جبار حسين حسين – بدون و رجب يعقوب الماص – تركي ، ياسر محمد محمود – أردني ، ستار جبار علي – عراقي ، أنور جمعه محمد – أردني ، علي سيف ردعان سيف – سعودي ، أحمد راشد ناهض – بدون ، مطر راضي عوده – بدون ، ريحب عبد الكريم عبد الرحيم عبد الجبار – أردني ، مرجان ماجد خلف – بدون ، فضل موسى الظفيري – أردني ، كمال عوده موسى – أردني ، محمد عباس خلال – بدوي .

هذا وقد أكد الشيخ سعد العبد الله الصباح ولي عهد الكويت ورئيس الوزراء وقوع عمليات اختطاف للمقيمين بالكويت من الشوارع والمنازل ، حيث يتم تعذيبهم في أقسام الشرطة ، وذلك أول اعتراف رسمي علني من جانب الحكومة الكويتية في هذا الصدد .

وقد أدان ولي عهد الكويت في خطاب اذاعه التليفزيون في يونيو ١٩٩٠م هذه الممارسات بشدة ، مؤكد أنها غير مقبولة ولا يمكن أن تستمر .

وكشف الشيخ سعد الصباح عن تورط عدد من الكويتيين بوزارة الداخلية

«العاملين بها» في موجة الإجرام الحالية ، حيث طالب الشيخ أحمد محمود الجابر وزير الداخلية بضبط المتورطين في وزارته لتقديمهم للمحاكمة .

واعترف رئيس وزراء الكويت بأن موجة الجريمة تجتاح الكويت منذ تحريرها من الاحتلال العراقي منذ ثلاثة أشهر ، مشيرا إلى ضرورة استعادة الأمن والقانون والنظام ، إذا ما رغبت الكويت في استمرار تأييد حلفائها .

وفي مؤشر واضح لقلق الحكومة إزاء الكميات الكبيرة للأسلحة غير الشرعية في أيدي المواطنين ، طالب رئيس الوزراء مجددا بتسليم جميع الأسلحة والذخائر غير الشرعية إلى السلطات .

وقال الشيخ سعد أنه ليس صحيحاً أنه ليس هناك شخص فوق القانون حتى وإن كان ابنه هو شخصياً وذلك لما تردد حول قيام أبناء بعض أمراء الأسرة الحاكمة بتكوين ميلشيات مسلحة وأشار إلى أن الكويت لا يمكن أن تسمح لهؤلاء الذين يضمرون نوايا خبيثة لتسيير أمن البلاد ، مؤكدا ضرورة اعتقال واستجواب ومحاكمة هذه العناصر .

ومن جانبه أكد عبد الله النبياري أحد زعماء المعارضة الكويتية أنه كان من الضروري أن يتم اتخاذ هذه الاجراءات وأن يتم مثل هذا الإعلان منذ ثلاثة أشهر عقب تحرير الكويت ، ووصف زعيم المعارضة الكويتية خطاب رئيس الوزراء بأنه كلام طيب إلا أنه قال إننا في العالم العربي معتادون على مثل هذا الكلام مشيراً إلى ضرورة تعزيزه بالعمل الجدي لوقف الانتهاكات .

وكانت تقارير دبلوماسية غربية وتقارير لجماعات حقوق الإنسان قد أكدت وقوع انتهاكات خطيرة من جانب الكويتيين وبعض الأفراد من العائلة الحاكمة ضد المقيمين تحت زعم تعاونهم مع السلطات العراقية وأشارت التقارير إلى أن معظم الانتهاكات

كانت ضد المقيمين من الفلسطينيين حيث تم اعتقال وتعذيب وقتل عدد منهم ، كما أن معظم المقدمين للمحاكمة بتهمة التعاون مع السلطات العراقية من الفلسطينيين .

وقد أعربت هذه الجهات عن قلقها إزاء عدالة هذه المحاكمات السريعة وخاصة بعد أن أكد محامو معظم المتهمين أن اعترافات موكليهم انتزعت بعد تعذيبهم .

ويقول شهود العيان أن أعدادا كبيرة من الكويتيين المتطوعين ينتشرون في الزي العسكري في جميع الشوارع وأمام المباني الحكومية حاملين أسلحتهم حيث من الصعب تمييزهم عن الجنود النظاميين ،

هذا وفي ١٩٩١/٦/١٦م وأصدرت المحكمة العرفية في الكويت ثلاثة أحكام جديدة بالإعدام غيابيا ضد متهمين تعاونوا مع القوات العراقية أثناء احتلالها الكويت ، وبهذا يصل عدد اللذين صدرت ضدهم أحكام بالإعدام ١٢متهماً منهم ستة صحفيين.

وفي يوم ١٩٩١/٦/١٩ أصدرت المحكمة العرفية - الدائرة الثالثة - والتي انعقدت صباح أمس حكمها على الفنانة زنوبة عبد الخضر عاشور والمشهورة بزينب الضاحي بالحبس المؤيد مع الشغل والنفاذ والابعاد ، وعلى الفنان صالح أحمد علي «مبيريك »بالحبس مدة ١٥ سنة مع الشغل والنفاذ والابعاد بعد تنفيذ العقوبة .

ففي الجلسة المنعقدة علنا للمحكمة العرفية برئاسة القاضي جواد العبد الله وعضوية كل من علي الدريع وحسين الرمضان والقضاة العسكريين العقيد محمد العفاسي والمقدم عبد المحسن الدرامي وحضور وكيل النيابة العرفية عبيد العجمي ، نطقت المحكمة باحكامها في القضية رقم ٩١/٧٣٠ والتي تضم مجموعة من الفنانيين الذين وجهت لهم تهم التعاون مع سلطات الاحتلال العراقي وإقامة مقر لنقابة الفنانيين العراقيين في الكويت وتحريض الفنانيين الكويتيين للانخراط في أنشطة النقابة ، والقيام بالدعاية لصالح النظام المحتل وإحباط معنويات الشعب الكويتي .

وقد جاءت الأحكام حسب التهم وأسماء المتهمين والفنانين الآخرين ومنهم زنوبة عبد الخضر عاشور «زينب الضاحي» وخلف علوان جلود وقاسم صالح بشير وعادل عفانه ويوسف عبد الرازق الصقر ، وعزيز صقر العامري ، وعمر محمد فاضل بالحبس المؤبد مع الشغل والنفاذ والابعاد.

وبالحبس خمس سنوات مع الشغل والنفاذ والابعاد للمتهمين :

احسان صبري سواري ، وحسين جمعه كريم وبحبس المتهم ناجي عبد الله الجبوري ١٠ سنوات مع الشغل والنفاذ والابعاد .

وبراءة المتهم ستار جبار علي وحبس المتهم صالح احمد علي.

وردا على هذه المحاكمات أصدرت منظمة العفو الدولية من مقرها في لندن بيانا صحفيا في يونيو ١٩٩١م قالت فيه أن اجراءات محاكمات المتهمين بالتعاون مع سلطات الاحتلال العراقية الجارية في الكويت غير عادلة ولابد من ايقافها إلى أن تصبح متمشية مع المعايير الدولية .

وقالت المنظمة أن المحاكمات كانت حتى الآن معيبة سواء في الفترة السابقة للمحاكمة أو خلال جلسات المحاكمة نفسها وكذلك فيما بعد حيث لم يكن للمتهمين الحق في استئناف الاحكام أمام محكمة أعلى وناشدت السلطات الكويتية أن تأمر بوقف المحاكمات إلى أن تكفل لجميع المتهمين محاكمة عادلة .

وتأتي مناشدة العفو الدولية في أعقاب تقرير أرسله مبعوثها الذي حضر المحاكمات وعقب دور أول حكم من قبل المحكمة العرفية في نهاية الأسبوع قبل الماضي.

ودعت المنظمة إلى تخفيف الحكم قائلة « إن المحاكمات الجائرة أمر بالغ السوء في الحالات التي يواجه فيها المعتقلون عقوبة السجن ، أما حين تكون العقوبة هي الموت فمثل هذه المحاكمات أمر لا يطاق .

وقد أرسلت المنظمة رسالة إلى الحكومة الكويتية أوضحت فيها « أن الانتهاكات الواسعة النطاق لا تزال مستمرة في الكويت وأن السلطات الكويتية لم تتخذ فيما يبدو أي خطوة فعالة من أجل وضع حد للاعتقالات التعسفية أو حالات الاختفاء أو التعذيب أو حوادث الوفاة في الحجز » .

وقال مبعوث المنظمة الذي حضر المحاكمات أنه رأى بنفسه سجينين يبدو أنهما تعرضا للتعذيب إذ رأى رجلا مسنا مصابا بكدمات في عنقه وتمزقات في صدره وكأنه قد جلد بالسياط مرارا أما الرجل الثاني فقد كان مصابا بجروح في فخذيه وحروق على شكل ثقوب في بطن قدميه وقال العاملون بالمستشفي أن هذه الحروق تم احداثها بواسطة ولاعة سجائر .

وقد أوردت المنظمة صورا بشعة للهزل الذي احاط بالمحاكمات حيث ذكر «مبعوث المنظمة» حالة سباك وكهربائي كانا بين المتهمين في قضية (النداء) وهي جريدة سلطات الاحتلال العراقي إذ قيل أن السلطات العراقية طلبت من الكهربائي إصلاح خزان مرحاض فاستدعى سباكا ليقوم بتلك المهمة ويعلق المبعوث على أن هذه الواقعة مثل هذه الأفعال قد يواجه الرجلان الآن عقوبة الاعدام بتهم تتعلق بالأمن الخارجي !

ويضيف المبعوث ، وبعد أن تحاكمهما المحكمة العرفية وتدينهما لا يكون من حقهما الاستئناف أمام محكمة أعلى وهو حق تقره المعايير الدولية وبدلا من ذلك يصبح مصيرهما مرهونا بقرار من ولي العهد الذي يحق له تخفيض العقوبة أو التصديق عليها أو حتى زيادتها .

وختمت منظمة العفو الدولية بيانها الصحفي قائله أنها «لا تعترض على حق السلطات في محاكمة أشخاص على جرائم ارتكبت إبان الاحتلال العراقي ولكن لابد أن يحاكم هؤلاء الاشخاص محاكمة عادلة تمشيا مع المعايير المقبولة دوليا وهذا لا يحدث الآن .

فضلا عن هذا السبب فقد تواصلت في شتى أنحاء العالم حملات الاحتجاج والادانة ضد الحكومة الكويتية بسبب اصدارها احكاما بالاعدام على ٢٩ مواطنا ومواطنة عربية اتهمتهم بالتعاون مع القوات العراقية التي احتلت الكويت .

ففي القاهرة اصدرت المنظمة العربية لحقوق الإنسان بيانا أعربت فيه عن قلقها من أحكام الاعدام بالجملة التي تصدرها المحاكم العرفية بالكويت ضد المتهمين بالتعاون مع الاحتلال العراقي .

وأكدت المنظمة في بيانها أن أحكام الاعدام التي صدرت بحق تسعة وعشرين متهما ومتهمة لم تتوافر فيها مقتضيات العدالة كما لم تتوافر للمتهمين فرص الاستئناف أمام محكمة أعلى .

وناشدت المنظمة الشيخ سعد العبد الصباح العسكري عدم التصديق على أحكام الإعدام ووقف المحاكمات كما طالبت بإعادة محاكمة من سبق إدانتهم في ظروف لم تتوافر فيها هذه الضمانات .

كما ناشدت لجنة الحريات باتحاد المحامين العرب السلطات الكويتية وقف تنفيذ أحكام الإعدام والسماح لوفد المحامين العرب بدخول الكويت لمراقبة المحاكمات .

وأعربت اللجنة في بيان أصدرته في القاهرة عن قلقها الشديد من المحاكمات التي تجري والأحكام التي صدرت بإعدام بعض الصحفيين والمواطنيين الآخرين .

وفي نيويورك نددت كل من لجنة حماية الصحفيين ورابطة المراسلين الصحفيين التابعة للأمم المتحدة ومنظمة مراقبة احترام حقوق الإنسان بهذه المحاكمات الأمر الذي دفع الحكومة الكويتية لإيقاف هذه المحاكمات وذلك يوم ١٩٩١/٦/٢٥م وفقا لما تناقلته وكالات الأنباء .

وفي يوم ١٩٩١/٦/٢٦م أكد بيان صدر عن مجلس الوزراء البريطاني أن

الشيخ سعد العبد الله الصباح ولي عهد الكويت ورئيس الوزراء - الذي زار بريطانيا أبلغ رئيس وزراء بريطانيا جون ميجور أنه قام بتخفيف جميع أحكام الإعدام التي أصدرتها المحاكم العسكرية في البلاد مؤخرا ضد المتهمين بالتعاون مع سلطات الاحتلال العراقية .

وأضاف البيان - الذي صدر عقب اجتماع رئيس وزراء البلدين - أن الشيخ سعد قال أن بيانا بهذا الشأن سيصدر في وقت لاحق من وزارة العدل الكويتية .

وفي نيويورك ، أبلغ السفير الكويتي في الأمم المتحدة محمد أبو الحسن بيريز دي كويار السكرتير العام للمنظمة الدولية بقرار تخفيف عقوبات الإعدام إلى السجن المؤبد .

وكانت المحاكم العرفية الكويتية قد أصدرت احكاما بالإعدام على ٢٩ شخصا - الغالبية العظمى منهم غير كويتيين - بتهمة التعاون مع السلطات العراقية خلال فترة الاحتلال .

والمعروف أن الكويت قد أعلنت وقف العمل بالأحكام العرفية وتحويل المتهمين بالتعاون مع سلطات الاحتلال من محاكم عسكرية إلى أخرى مدنية اعتبارا من٢٦/٦/١٩٩١.

وفي الوقت نفسه رحبت الولايات المتحدة بقرار الحكومة الكويتية إلغاء الاحكام العرفية في الكويت الذي صدر مؤخرا .

# المحور الثاني

## العراق في تقرير دولي مثير

## ( حالة المجتمع العراقي بعد الحرب )

في تقرير ، هو الأول من نوعه ، وفي أهميته ، قام مساعد الأمين العام للأمم المتحدة بوضعه وتقديمه ، إلى تلك الهيئة الدولية التي ترعى مصالح الدول الكبرى .

في هذا التقرير الذي قدم في ١٩٩١/٣/٢٠ ، جاءت الحقائق التالية عن المجتمع العراقي بعد الحرب والتي نوردها دون تدخل كبير وضعاً للأمور في نصابها الصحيح ..

يقول التقرير :

أطلعت أنا وأعضاء البعثة على التقارير الصحفية المتعلقة بالوضع في العراق ، وبالطبع على التقرير الأخير لمنظمة الصحة العالمية واليونيسيف حول ظروف المياه والتلوث في منطقة بغداد الكبرى ، مع ذلك يجب القول على الفور أن شيئاً مما رأيناه أو قرأناه لا يعبر بشكل كامل عن الحقيقة وعموما لقد جعلنا ذلك مهيئين لتقبل شكل الدمار الذي حل على البلاد الآن ، إن الصراع الأخير قد جلب نتائج تقترب من الفناء التام على البنية التحتية الاقتصادية لما كان حتى يناير ١٩٩١م ، مجتمعاً أكثر تحضراً وميكنة ، الآن معظم وسائل دعم الحياة الحديثة دمرت أو أصبحت عاطلة ، لقد عادت العراق ، ولبعض الوقت في المستقبل ، لعصر ما قبل الصناعي ، لكن مع كل معوقات العصر الصناعي من الاعتماد على الاستخدام المكثف للطاقة والتكنولوجيا .

وراء كل تحليل هناك الحقيقة الجلية وهي أنه نتيجة للحرب فإن كل مصادر

الطاقة التي كانت متاحة عملياً من قبل ( باستثناء عدد محدود من المولدات المتنقلة ) ووسائل الاتصال الحديثة هي الآن معطلة تماماً ، إن الآثار الكبيرة ، لفراغ الطاقة والاتصالات بالإضافة للدعم الإنساني العاجل تعد ذات أهمية حرجة لطبيعة وفعالية الاستجابة الدولية .

هذه الظروف – بالإضافة للاضطرابات المدنية الأخيرة في بعض أجزاء البلاد– تعني أن السلطات ما زالت قادرة حتى على تحديد أبعاد الكارثة ، ناهيكم عن الاستجابة لمترتباتها ، لأنه لا يمكن الحصول على بيانات دقيقة .بالإضافة إلى ذلك لا يوجد حتى الحد الأدنى من الوقود اللازم لتوفير الطاقة المطلوبة للحركة والنقل أو الري أو مولدات الطاقة لضخ المياه والمجاري ، على سبيل المثال ، لا يمكن نقل الامدادات الطبية الطارئة للمراكز الصحية إلا بصعوبة كبيرة وبعد تأخير كبير في الغالب ، والمعلومات المتعلقة بالاحتياجات المحلية بطيئة ومتناثرة ومعظم الموظفين لا يستطيعون الذهاب للعمل وتقدر كل من السلطات والنقابات أن حوالي ٩٠٪ من العمال الصناعيين تم خفضهم بسبب وقف النشاط وسوف يحرمون من الدخل في نهاية مارس وفي الوزارات الحكومية إلا حضور هامشي للجمهور ، فيما قبل الأحداث الأخيرة ، كان العراق يستورد حوالي ٧٠٪ من احتياجاته الغذائية والآن ، وبسبب نقص الوقود ، وعدم القدرة على النقل والانهيار الفعلي لنظام التوزيع فإن توافر الغذاء عبر القطاع الخاص قد انخفض إلى حد الندرة مع تزايد ارتفاع التكلفة وأسعار العديد من الأغذية هي بالفعل أعلى بكثير من القدرة الشرائية لمعظم الأسر العراقية الإنتاج الزراعي يعتمد على الميكنة وتعتمد كثير من الأراضي على الري بضخ المياه وإذا تأثر موسم الحصاد في يونيو ١٩٩١م بسبب نقص الطاقة اللازمة للآلات وضخ المياه ، فإن الوضع السيء الحالي سوف يزداد سوءاً وكما هو موضح فيما بعد ، فإن التوقعات لمحصول عام ١٩٩٢م ولاسباب مركبة ، يمكن أن تكون مهدده بشكل مطلق وبالنظر

لطبيعة المجتمع والاقتصاد العراقي فإن الطاقة هي عقبة ملحة أمام نجاح أي جهد ولو قصير المدى للحفاظ على ظروف البقاء في أي منطقة ذات احتياجات إنسانية .

عقد أعضاء البعثة جلسات عمل مع نظرائهم من الوزارات المعنية وزاروا المراكز الاجتماعية حيث يتم رعاية مختلف المجموعات الضعيفة ومناطق الإنتاج الزراعي ، ومراكز إنتاج البذور ، ومركز الطب البيطري، ووحدة إنتاج ألبان .

ولاحظت البعثة أن العراق كانت معتمده بكثافة على واردات الغذاء التي وصلت إلى ما لا يقل عن ٧٠٪ من احتياجات الاستهلاك وقد أثرت العقوبات التي فرضها مجلس الأمن بشكل سلبي جداً على قدرة البلد على إطعام شعبها وتم تدبير طرق جديدة تتعلق بضبط الاستهلاك وزيادة الإنتاج في سبتمبر ١٩٩٠م ، وتأثرت هذه التدابير بدورها بشكل سلبي من جراء العدوان الذي طال معظم مناطق الإنتاج والتوزيع الزراعي .

يتوفر الغذاء الآن للسكان عن طريق المخصصات والوجبات الحكومية ، ومن خلال السوق ، وقد انخفضت مخصصات وزارة التجارة للسكان من المواد الغذائية الأساسية من ٣٤٣ ألف طن في سبتمبر ١٩٩١ م إلى ١٨٢ ألف طن ، حين طبقت تدابير التقشف ، وانخفضت بعد ذلك إلى ٣٥ ألف طن في يناير ١٩٩١م (٣٩٪ من مستوى ما قبل العقوبات) ، وفيما لم تتمكن البعثة من تحديد الكميات التي لا زالت موجودة في مخازن الحكومة ، فإن الدلائل تشير بأن الدقيق الآن أصبح عند مستوى حرج من الانخفاض وأن إمدادات السكر والأرز والشاي وزيت الخضروات ولبن البودرة والحبوب عند مستوى انخفاض حاد أو نفذت الآن ، وعلى سبيل المثال فإن توزيع لبن البودرة محجوزة الآن بشكل مطلق للأطفال المرضى ويصرف بأمر الطبيب .

لقد تأثرت تربية الثروة الحيوانية بشكل خطير بالعقوبات المفروضة ، لأن معظم

منتجات الغذاء كان يتم استيرادها ، والمعمل الوحيد الذي ينتج أمصالاً بيطرية دمر أثناء الصراع ، كما اكتشفت البعثة ولم تعد السلطات قادرة على دعم مربى الثروة الحيوانية في مقاومة الأمراض حيث أن كل مخزون الأمصال تم تدميره نتيجة قصف هذا المركز والذي كان أحد المشروعات الإقليمية للفاو (منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة) .

محصول الحبوب هذا العام في يونيو متأثر بشدة لعدة أسباب منها فشل الري والصرف (لا توجد طاقة للضخ ، ونقص قطع الغيار) ونقص المبيدات الحشرية والأسمدة ( التي كانت تستورد سابقاً ) ونقص الوقود وقطع الغيار ، لآلات الحصاد عالية الميكنة والمعتمدة على الوقود ، إذا فشل هذا الحصاد ، أو كان أقل من المتوسط بكثر ، بما يعني تحولاً سريعاً في الوضع ، فإن ظروف مجاعة كبيرة ستصبح إحتمالية حقيقية .

البرامج الحكومية لدعم المجموعات المعتمدة اجتماعياً من السكان (كبار السن والمعوقين\، والآلات والأطفال ومرضى المستشفيات واليتامى واللاجئين ،.. ألخ) تتأثر بشدة بالنقص الشديد في مواد التغذية عامة .

أتيح للبعثة فرصة إجراء بحث مستقبلي يتعلق بنفقات البيت ومستويات المعيشة في بغداد وقد انحدرت تلك المستويات بسرعة في الأشهر الأخيرة بينما قفزت أسعار الغذاء والوقود بشكل درامي ، وتعكس زيادات الأسعار في الفترة من أغسطس إلى يناير نقص الإمداد (العرض) ولكن منذ يناير هناك زيادة متسارعة في الأسعار تعكس كلا من نقص المعروض وتدمير جهاز النقل وكشف المقابلات مع موزعي أغذية الجملة قطاع خاص أن مخزونهم على وشك النفاذ وأنه لم يعد لديهم قدرات نقل خاصة منظمة بسبب نقص الوقود . ويهدف نظام الوجبات الحكومي لإمداد الأسر بجزء من ضرورياتهم الأساسية بأسعار توازي ما كان قبل أغسطس ويسمح النظام للأسر بـ ٥

كيلو جرامات من الدقيق للشخص شهرياً أو ٣ أرغفة من الخبز و ١٠ كيلو جرامات للأسر شهرياً من غاز الوقود السائل ، وقطعة صابون للشخص شهرياً .. ألخ مع ذلك، أوضحت الأبحاث المستقلة التي أجرتها البعثة في مناطق عديدة مختلفة من بغداد أن العديد من الأسر لا يمكنها الحصول على كل وجباتها حيث أن مراكز التوزيع تكون خاوية غالباً ويكون لديهم صعوبة في السفر لمراكز أخرى ، وحتى نوعية الغذاء الذي يتم توزيعه تدهورت في حد ذاته إلى درجة أنها تسبب مشاكل صحية .

كذلك أفادت العديد من الأسر أنه لا يمكنها تلبية احتياجاتها من السوق الخاص وعلى الرغم من التحكم الرسمي في الأسعار ، فإن الأبحاث المستقلة التي قامت بها البعثة أوضحت زيادة التضخم منذ أغسطس ، لقد زادت أسعار الضروريات الأساسية بنسبة ١٠٠٠٪ أو أكثر . على سبيل المثال سعر الدقيق الآن ٥ إلى ٦ دنانير للكيلو جرام (ويبدو أنه لا زال يتزايد) وارتفع الأرز إلى ٦ دينار للكيلو جرام والسكر إلى ٥ دينار للكيلو والعدس إلى ٤ دينار للكيلو واللبن الحليب إلى ٢١٠ دينار للكيلو وفي مقابل زيادة التضخم هذه انهارت العديد من الدخول ، ولا يستطيع العديد من العاملين الحصول على مرتبات وقد أغلق النظام المصرفي إلى حد كبير وسقف السحب تم تحديده بـ ١٠٠ دينار في الشهر الحد الأدنى للأجر الشهري ، ٥٤ دينار ومتوسط المرتب الشهري للموظف المدني كان ٧٠ ديناراً . باختصار تفتقر معظم الأسر إلى توفير الوجبات الكافية أو القوة الشرائية لتلبية الحد الأدنى من المعدلات الطبيعية .

توصي البعثة في الظروف الحالية من الصعوبات القاسية مع اعتبار التطورات السيئة للحالة بأنه يجب رفع العقوبات على الفور فيما يتعلق بإمدادات الغذاء بالإضافة إلى ما يتعلق باستيراد إمدادات ومعدات الزراعة وتوصي بشدة بالإمداد العاجل بالسلع الأساسية لحماية المجموعات الضعيفة ، وتوفير البنود التالية لكل السكان : اللبن ، الدقيق والأرز والسكر ، والخضروات والشاي .

تلاحظ البعثة أنه بدون استعادة إعدادات الطاقة لقطاعي الإنتاج والتوزيع الزراعي ، فإن تنفيذ العديد من التوصيات السابقة أعلاه سيكون صعباً جداً ، والأكثر إلحاحاً اجراءات دولية قوية في كل قطاع الزراعة .

## المياه والصحة والوقاية :

فيما يتعلق بالمياه فقبل الأزمة كانت بغداد تتلقى ٤٥٠ لترالكل شخص يوميا توفرها سبع محطات معالجة مياه تنقي المياه من نهر دجلة وفي بقية البلاد يحصل الفرد على ٢٠٠ - ٢٥٠ لترايومياً تنقيها وتوفرها ٢٣٨ محطة معالجة مياه مركزية و١١٣٤ مشروع مياه صغير و ١١٣٤ مشروع مياه صغير ، وكل المحطات كانت تدار بالطاقة الكهربائية ، وحوالي ٧٥٪ منها بمولدات ديزل احتياطي ، وقيمة معالجة الصرف إلى معدلات مقبولة قبل إعادته إلى الأنهار .

مع تدمير مصانع الطاقة ، ومعامل تكرير البترول ومنشآت تخزين البترول الرئيسية ومصانع الكيماويات المتعلقة بالمياه ، فإن المنشآت المدارة بالكهرباء قد توقفت عن العمل ، وتم تحديد عمل المولدات التي تعمل بالديزل على أسس صارمة فعملها يتأثر بنقص الوقود . ونقص الصيانة ، ونقص قطع الغيار وعدم حضور العمال ، وانخفض إمداد المياه إلى بغداد إلى أقل من ١٠ لترات يومياً لكنه تحسن الآن إلى حوالي ٣٠ - ٤٠ لتراً في ٧٠ ٪ من المنطقة ( أقل من ١٠٪ من إجمالي الاستخدام السابق ، وقدرات التوليد الاحتياطية معطلة في العديد من محطات الفتح ، وسوف يقل الإمداد وبالتالي إذا تعطلت الآلات لأي سبب (وقطع الغيار غير متوفرة بسبب العقوبات) وبالنسبة لجودة المياه في بغداد ، فإن الصرف يضخ الآن مباشرة في النهر - الذي يعد مصدر إمداد المياه - وتستخدم كل محطات مياه الشرب هناك وفي كل البلاد مياه الأنهار ذات نسبة التلوث العالية بالصرف الصحي . مؤخرا بدأت محطات المياه تتمكن من تحسين مياه الشرب بإضافة الكثير من مخزون الشبه

والكلور المتبقي بعد تأكيدات اليونسيف والصليب الأحمر أن دعماً طارئاً سيتوفر . وتتم الآن اختبارات كيمائية في المحطات ولكن لا يمكن اتمام اختبارات بكتريولوجية بسبب نقص الكهرباء اللازمة لتشغيل العامل ، ونقص الكيماويات الضرورية ونقص لجمع العينات ولا تتم اختبارات كلور بسبب نقص الوقود لجميع العينات وبينما قررت هيئة المياه أنه يجب غلي الماء، فإنه لا يوجد وقود يكفي لذلك ، وما هو موجود ينفذ .

لا تتوافر سوى معلومات محدودة للسلطات حول الوضع في بقية البلاد لأن كل أنظمة الاتصال الحديثة قد دمرت ويتم نقل وتلقي المعلومات ( في هذا القطاع كما في غيره ) بواسطة الاتصال الشخصي .

وفي المناطق التي لا يوجد بها مولدات ، أو تعطلت فيها المولدات أو نفذ الوقود الموجود بها ، يسحب السكان المياه مباشرة من الأنهار والترع الملوثة وهذا واضح جداً في المناطق الريفية ، حيث يمكن رؤية النساء ، والأطفال يغسلون ويملأون حاويات المياه وكمية ونوعية المياه التي تنتجها مراكز المعالجة متباينة تماماً ، وفي العديد من المواقع لا تتوفر كيماويات للتنقية ، ولا يتم القيام بأي مراقبة جودة ، اختبار كلور ، اختبارات كيماوية أو بكتريولوجية .

حددت البعثة مختلف المشاكل المذكورة أعلاه تلوث موارد المياه الشديد بالصرف الصحي غياب أو نقص شديد في كيماويات معالجة المياه خاصة كبريتات الألومنيوم والكلور ، نقص الطاقة لتشغيل المعدات نقص أو انعدام الديزل لإدارة المولدات ، عدم القدرة على إصلاح المولدات بسبب نقص قطع الغيار ، وفي بعض الحالات عدم توفر المولدات بالمرة ، وتدمير بعض المحطات ، وغياب اختبارات المياه ، وعدم وجود نظام مراقبة المياه خاصة بالنسبة للأمراض المعدية والتي تنقلها المياه ، مشكلة كبرى أخرى قريبة جداً الآن ، هي المناخ ، ففي العراق صيف طويل حار جداً وأحياناً تصل الحرارة إلى ٥٠ درجة ولذلك تأثيران رئيسيان :

(١) يجب زيادة كمية المياه ويجب توفير حز أدنى ٥٠ لترا للفرد يوميا (ويعني ذلك ناتج إجمالي ٦٥ لترا للفرد من المنبع .

(٢) سوف تزيد الحرارة من حضانة البكتريا ومن ثم سوف تتضاعف المخاطر الصحية المرتبطة بجودة المياه (وهي بالفعل عند مستوى غير مقبول ) – خاصة بالنظر إلى الظروف الصحية العامة التي أدت إلى زيادة نوبات مرض الإسهال أربعة أضعاف بين الأطفال تحت سن خمس سنوات وتأثير ذلك على وضعهم الغذائي الحرج .

فيما يتعلق بالظروف الصحية ، راجعت البعثة الوضع منذ البعثة المشتركة لمنظمة الصحة العالمية واليونسيف الخاصة في فبراير ١٩٩١ ، ووجدت أن التوصيات المذكورة في التقرير ( س / ٢٢٣٢٨ ) ، والتي وافقت عليها لجنة مجلس الأمن المشكلة بالقرار ٦٦١ (١٩٩٠م) والمتعلقة بالوضع بين العراق والكويت ، كانت صحيحة تماماً ، وحددت البعثة كذلك عدة مشاكل صحية فورية إضافية تحتاج للتصدي لها في الأشهر القادمة كما أوضحت القيود التي تعيق التوصيات التي ووفق عليها بالفعل من قبل البعثة المشتركة وقد وجدت آن الظروف الصحية في بغداد وفي كل البلاد تظل خطره والعامل الرئيسي هو وضع المياه والوقاية الموصوف أعلاه بالإضافة إلى ذلك فإن إنعدام الاتصالات التليفونية تماماً وانخفاض إمكانات النقل يطرح مشاكل أخرى للنظام الصحي حيث لا يمكن جمع معلومات أساسية عن الأمراض المعدية وتحليلها ولا يمكن توزيع الأدوية الأساسية والأمصال والإمدادات الطبية بكفاءة في البلاد ، ومن ثم ركز خبراء الصحة في البعثة على الوقاية ومقاومة الأمراض المعدية ومراقبة جودة المياه ، والدعم اللوجستيكي لنظام توزيع كفء للأمصال والأدوية والإمدادات الطبية من بغداد إلي المناطق الذاتية .

وفيما يلي توصيات البعثة المتعلقة بالمياه والوقاية والصحة ، على أسس إنسانية عاجلة :

(أ) بالنسبة للمياه ، تحتاج لحسابها بما يسمح بحد أدنى من المياه النقية في الفصل الحار من إبريل حتى سبتمبر ويجب تقديم مساعدة مشابهة لما أقر مسبقاً للمدن خارج بغداد بما في ذلك الكميات الضرورية من الوقود للمولدات والنقل والشحومات للمحركات وكبريتات الألومنيوم والكلور والمولدات لمحطات المياه ومحطات مياه الأنهار وكلوريات غازية وأجهزة ضخ وقطع غيار ووصلات لمواسير المياه وكيماويات للاختبارات الكيماوية .

(ب) بالنسبة لاحتياجات الوقاية ، فتشمل وقود وقطع غيار السيارات وجمع القمامة ، بالإضافة للمبيدات الحشرية ، ووقود غيار لأنظمةالتخلص من القمامة ( كلها آلية ومستوردة) وخراطيم لسحب المياه بواسطة سيارات الفناطيس .

(جـ) بالنسبة للاحتياجات الطبية ، خلصت البعثة إلى أن عددا من البنود ضروري للتعامل مع الاحتياجات الإنسانية العاجلة وتلبية المتطلبات وتشمل توفير الأدوية والأمصال الضرورية كما سبق الإشارة على نطاق أوسع والكيماويات والمولدات والحضانات التي تعمل بالبطاريات ووسائل اتصالات ومتطلبات استعادة الحاويات الباردة للأمصال وبعض السيارات .

(د) بدون وقود وطاقة اتصالات فإن الإجراءات المطلوبة المذكورة أعلاه يمكن ، مع ذلك ، أن تكون في غاية الصعوبة ، وقد قدرت البعثة متطليات الوقود المتعلقة بالأفراد .

## اللاجئون والمجموعات الضعيفة الأخرى :

تؤثر الظروف السابقة أعلاه على سكان العراق وبشكل خاص ، المجموعات منخفضة الدخل وقد أولت البعثة اهتماماً خاصاً لمشكلة المجموعات الضعيفة سواء العراقية أو غير العراقية ، ومن ثم وجدت أن العناية باليتامى وكبار السن والمعوقين قد

تدهورت في العديد من الحالات مع الحاجة لنقل نزلاء المؤسسات وإعادة تجميعهم في مواقع مختلفة وتوصي بالتطبيق العاجل لبرنامج إنساني يهدف إلي تمكين حوالي ٢٥ ملجأ أيتام و٧١ مركز رعاية اجتماعية آخرين من استعادة نشاطها الطبيعي وإمداد المنتفعين منها بمتطلبات العناية الضرورية وتخصيص مدخلات أساسية لهذا الغرض .

فيما يخص النازحين والمشردين ، فلم تتمكن السلطات ذاتها كلية من تقييم آثار الاعتداء الأخير ، ومع ذلك فقد قدروا أن حوالي ٨ آلاف منزل دمرت أو أصيبت بما لا يمكن إصلاحه خلال العدوان ، منها ٢٥٠٠ في بغداد و ١٩٠٠ في البصرة وقد خلق ذلك كما من المشردين يصل إلى ٧٢ ألف شخص ، ويعوق المساعدة الحكومة الآن الظروف التي وصفناها سابقاً ، خاصة التوقف الفعلي في إنتاج مواد البناء وعدم إمكانية الاستيراد ، ويجب السماح بدخول المواد الأساسية .

عاينت البعثة النقل والاتصالات ومنشآت الطاقة واتضح بشكل متزايد أن الحاجة ماسة وضروية لتوفير قدر ملائم من الإمدادات والطاقة لدعم المساعدات الإنسانية العاجلة وزيادة فاعليتها .

فيما يتعلق بالنقل فإن استمرار العراق في حالة حرب دائمة منذ ١٩٨٠ تقريباً ، قد دمر قدرتها تماماً – وفي الوقت الحالي فإن خط المواصلات البري الوحيد الذي يربط العراق بالعالم الخارجي هو خط عمان العقبة ( يذكر أن جسراً دمر مؤخراً على طريق الاسكندرية – مورسين المار بين العراق وتركيا وأن مينائي البصرة وأم قصر لا يستخدمان في الوقت الحالي ، كما أنه لا يوجد منذ عدة سنوات أي خط شاحنات مباشر إلى العراق عبر الجمهورية العربية السورية) وقد تأثر النقل البري الداخلي بشدة الآن بنقص قطع الغيار والإطارات وفوق كل ذلك نقص الوقود ولا تزال هناك بعض وسائط السكك الحديدية الداخلية على خط بغداد – الموصل وعلمت البعثة أن ٨٣ جسراً برياً قد تم تدميرها وقد تفقدنا عدداً منها .

فيما يتعلق بالاتصالات علمت البعثة أن كافة خطوط التليفونات الداخلية والخارجية قد دمرت فيما عذا خطامحلياً محدودا في مدينة واحدة ، وكان لدى البعثة فرصة معاينة المنشآت التي دمرتها الحرب أو أتلفتها تماماً وعايشت بنفسها الوضع في بغداد الكبرى وغيرها من المناطق الحضرية ويتم الاتصال في بغداد الآن بشكل شخصي ، كما انهارت الخدمة البريدية .

ينطوي دور الطاقة في العراق على أهمية خاصة نظرا لمعدل التحضر « حوالي ٧٢ ٪ من السكان يعيشون في المدن » ...

وبسبب التصنيع والصيف الطويل شديد الحرارة .

كان استهلاك الطاقة قبل الحرب يعتمد على البترول ومنتجات التكرير ٨٥٪ ، الكهرباء ١٤.٨ ٪ ومصادر أخرى ٠.٢٪ وقد أصاب القصف قطاعات الكهرباء والبترول بالشلل شبه التام .

أن نتاج الطاقة ومنتجات معامل التكرير منعدمة ولن تستأنف حتى تتم المرحلة الأولى من الإصلاح .

أما إمدادات الطاقة المحدودة المتناثرة من بعض المناطق المأهولة والخاصة بالخدمات الصحية فتستخدم المولدات الكهربائية المتنقلة .

ومنذ فبراير الماضي توقف نهائياً ورسمياً بيع الجازولين لعامة المستهلكين وعلمت البعثة أن منتجات البترول والوقود والشحوم المتاحة حالياً هي وقود التدفئة ٦٠ لتراً لكل أسرة شهرياً وغاز البترول السائل اسطوانة واحدة لكل أسرة شهرياً .

وذكرت السلطات أن احتياطي هذين المنتجين قارب النفاذ وأن توزيعها من

المتوقع أن يتوقف خلال الفترة المقبلة وبينما يمضي العمل لتطهير المواقع وتحديد الخسائر يعوق نقص الاتصالات والمواصلات هذه الأنشطة .

## « ملاحظات » :

يصف التقرير - المقدم سابقا بكل الدقة التي تمكنت البعثة من تحقيقها باستخدام كل المصادر بما فيها الملاحظة المستقلة للتحقق من الموقف ، وفي إطار الوقت المتاح وقيود السفر المشار إليها - الموجود بالفعل فيما يتعلق بالحاجات الإنسانية العاجلة للعراق في الأسبوع من ١٠ إلى ١٧ مارس ، إنني مع كل زملائي مقتنعون تماماً بأنه يجب أن يكون هناك تعبئة كبرى وتحريك للموارد للتعامل مع جوانب هذه الأزمة العميقة في مجالات الزراعة والغذاء والمياه والوقاية والصحة ويطرح الموقف بشكل حاد مشاكل أخرى لأنه سيكون من الصعب إذا لم يكن من المستحيل ، توفير هذه الحاجات الإنسانية الفورية بدون التعامل مع الحاجة التابعة للطاقة على أسس عاجلة مماثلة ويعني الحاجة للطاقة وبشكل مبدئي واردات بترولية طارئة مع إمدادات أساسية من دول أخرى ، وإلا فإن الغذاء المستورد لم يمكن حفظه وتوزيعه ولا يمكن ضخ ومعالجة الصرف الصحي ، ولا يمكن ري المحاصيل ، ولا يمكن نقل المواد الطبية إلى حيث هي مطلوبة ولا يمكن تقييم فعالية الاحتياجات و وليس من الخطأ أن الشعب العراقي قد يواجه عاجلاً كارثة أخرى وشيكة قد تشمل الوباء والمجاعة إذا لم يتم تلبية الحاجات المكثفة لدعم البقاء والصيف الطويل مع درجات حرارته ما بين ٤٥ إلى ٥٠ درجة لا يبعد أسابيع والوقت قصير .

## تقرير دولي آخر :

### ( العراق : كيف يعيش بعد ٤٢ يوماً من الحرب )

إن هذا التقرير الدولي الهام نشرته ( صحيفة الجارديان البريطانية ) خلال شهر مايو ١٩٩١ م ، وهو يكشف حقائق هامة عن العراق من الداخل بعد هذه الحرب الشرسة وهو يكمل ما سبق ذكره في التقرير السابق .

### فماذا يقول ؟

يبدأ التقرير من المركز الصحي في الزبير على مشارف مدينة البصرة » المركز أعيد افتتاحه بعد أن أضطر إلي أن يغلق أبوابه عقب أن لحق به الدمار من جراء قصف الولايات المتحدة وحلفائها ثم التمرد المسلح ثم القمع الوحشي الذي واجهت قوات الحرس الجمهوري هذا التمرد ، أما المستشفى المحلي بالزبير فقد لحق بها دمار شامل من جراء القصف الأمريكي .

والآن يتوافد على المركز الصحي كل صباح أكثر من ٥٠٠ امرأة يحملن أطفالهن كي يعرضوا على طبيب واحد ليعالج الأطفال من مقدمات الكوليرا فضلاً عن التيفويد ووسط الضوضاء الصادرة عن مئات النساء والأطفال الذين يحيطون بالمبنى حيث تختلط أصوات الألم بالآمال اليائسة .. فجأة ارتفع عويل أكثر شدة وكأنه صفارة إنذار تنبيء عن رعب غير مرئي وانشق الزحام عن سيارة لوري اندفعت منها ثلاثة أجساد محمولة من الشارع رأساً إلى المركز .. لقد كانت لفلاحين تعثروا في أحد الألغام بقريتهم .. أحدهم جرى سحبه من خلف اللوري وكان رخو الجسد ولا تبدو عليه أية إمارات للحياة وقد طوقت ذراعاه جسده الممزق والملطخ بالدماء أما الآخران فقد استقرا على نقالتين احدهما يئن فزعا بينما انتشرت جروح قطعية في وجهه وساقيه وبقية جسده أما الآخر فقد كان فاقد الوعي وقد تحول الجسد إلى شيء أقرب

إلى قطعة لحم معلقة في واجهة محل جزارة .وينتقل التقرير إلى اتهام السلطات العراقية بإهمال خط الجنوب من التنمية والخدمات مشيراً إلى أن إحدى المنظمات الدولية العاملة في مجال مقاومة الأمراض هناك قد اكتشفت أن العديد من المولدات الكهربائية المسئولة عن إمداد المراكز الصحية حول مدينة البصرة قد جرى إعادتها إلى بغداد كي تكون بالقرب من مقعد السلطة .

إلا أنه أشار إلى آثار القصف الوحشي والعشوائي الذي قامت به الطائرات الأميركية والحليفة للأحياء والحواضر القريبة من البصرة ويقول أن آثار هذا القصف لا تزال واضحة على الجسور التي تربط ضفتي نهر الفرات في الجنوب ويضيف أن السلاح الجوي الملكي البريطاني من اليسير عليه أن يدمر تلك الجسور بكفاءة نظراً لأن المهندسين البريطانيين كانوا قد ساهموا في تشييدها في السابق بل أن أحد قذائف الطائرات قد أصابت واحداً من اللوريات التي كانت تعبر جسراً بمدينة العمارة وقد بقى اللوري متفحماً وغارقاً إلى منتصفه في المياه في حين قام الجيش بالمرور العراقي عبر جسم معدني عائم بجواره لإستئناف حركة العبور .

وجنوبي العمارة لم تسلم من القصف حتى أفران حريق الطين لتحويله إلى طوب يبني الفقراء به مساكنهم والآن ينهمك الناس في بيوت من القش في حين يشاهد بالقرب من هذه الأفران مصنع للسكر وقد تحول إلى كتلة من المعدن المنصهر المتشابك الخيوط .

أما عن مدينة البصرة ذاتها فان المشهد العام والذي ينقله التقرير يسوده لونا (الحطام) و (الفقر المدقع) ولقد جرى تدمير شبكة الكباري التي تربط ضفاف نهري دجلة والفرات على نحو تام .. في حين بدأت تنشأ أسواق لبيع مخلفات الحرب ووسط الخرائب تتحرك مجموعة من التلاميذ كالأشباح ذاهبة .. أو عائدة من مدارسها تحمل الكتب وترتدي الأزرق والأبيض .

وخلف هذا المشهد العام تتحرك كارثة الحرمان من مياه صالحة للشرب والاستخدام الآدمي .. ولكن قبل التطرق إلى تفاصيل هذه الكارثة يشير التقرير إلى أن المدينة تختزن تحت السطح كذلك سنوات من القصف الإيراني خلال حرب استمرت ثماني سنوات وسرعان مالحقت بها الأيام الصعبة التي شهدت غارات الأمريكيين والحلفاء المكثفة وليعقب ذلك قصف برى تناوب عليه المتمردون الشيعة .. الذين حاصروها ثم القوات العراقية التي استعادتها .. ولذا لم يكن مستغربا أن ينخفض سكان المدينة والتي تعد تاريخياً أقدم ميناء في الخليج من مليون ونصف نسمة عام ١٩٧٧ إلى ٨٥٠ ألفاً حالياً .

ويؤكد التقرير أن البصرة كانت هدفاً سهلاً وقريباً لأسراب طائرات الحلفاء خلال الحرب الأخيرة ، وأن القصف كان شاملاً وبدون تمييز ويشير التقرير إلى أن المتنقل على قدميه في أنحاء المدينة يمكنه ببساطة التمييز بين االتخريب الذي تسبب فيه القصف الجوي وذلك الناجم عن المعارك البرية بين المتمردين والجيش التي أعقبت ذلك ولكن الأكيد أن الطائرات الأمريكية والحليفة لم تستثن منازل المدنيين أو المدارس أو المستشفيات أو المساجد أو الكثير من المنشآت المدنية في وسط المدينة .

وبعد أن يستعرض التقرير مشاهد الدمار بفضل كثافة الغارات الأمريكية سواء من مرافق الميناء التي سويت بالأرض أو المصانع أو مكاتب مشروعات النفط ينتقل إلى جذور الكارثة الصحية التي تواجهها المدينة محطات الكهرباء والمياه المدمرة ولم يقتصر الضرب على محولات التيار الكهربائي في محطات المياه بل مولدات الطاقة اليابانية العملاقة التي لا يمكن إصلاحها مع استمرار الحظر الاقتصادي المفروض على العراق حاليا وينقل التقرير عن الدكتور (الدوبنين ) الذي يقود فريقاً للإغاثة تابعاللصليب الأحمر الدولي للحرب قوله أن نظام شبكة المياه قد انهار تماما من جراء الضرب في المراحل الأولى للحرب وباتت أعداد كبيرة من السكان محرومة من المياه الصالحة للشرب .

ويرصد التقرير قيام الأهالي خلف خزانات المياه المدمرة هي الأخرى والتي تلي واجهة الميناء بحفر بئر في الشارع لتلبية حاجاتهم وتجري عمليات الحفر بوسائل شديدة البدائية (الدلو) ومن الطبيعي أن تكون المياه المستخرجة ملوثة وعفنة فحفرة البئر ذاتها لا تتعدى مستوى قدمين عن المجاري التي تأخذ طريقها إلى النهر مباشرة بعد أن جرى تدمير شبكة الصرف الصحي هي الأخرى. وينقل التقرير عن المواطن العراقي نجم أحمد والذي كان يعمل من قبل فنيا في محطة كهرباء قوله : .. نعم نستخدم هذه المياه في كل شيء .. في الشرب ،في الطهي في الغسيل .. في الاستحمام نعم نحن نعرف إنها ليست جيدة وليست صالحة .ولكن ماذا نفعل .. لا يوجد مصدر آخر للحياة فكان يجب أن نغلي هذه المياه قبل إستعمالها لكن لا يوجد عندنا كهرباء أو غاز .(!)

ويقول الدكتور أبو أحمد عن الهلال الأحمر أنه على ثقة بأن ٩٠٪ من المياه التي تدخل البئر هي مياه تسربت من المجاري ويحذر الطبيب من أن الأمور ستزداد سوءا في المدينة مع تزايد درجات حرارة الصيف .

ويشير الطبيب ذاته إلى أن الوضع الصحي خطير ، المستشفيات تفتقر إلى المستلزمات الطبية وإلى الكهرباء والمياه النقية .. ويضيف أن العديد من الأطفال الذين يفدون إلى المستشفى التي يعمل بها في حالة صحية خطيرة من جراء استعمال المياه الملوثة ويكشف المصدر ذاته أنه يستقبل يومياً ٦٠ حالة لأطفال فاقدي الوزن وبين الموت والحياة وأن كل واحد أو اثنين يلقون حتفهم من بين تلك الحالات كل يوم .

ويضيف .. كل ما تملكه إزاء ذلك هو بعض المياه النقية وأملاح معالجة الجفاف الواردة من الصليب الأحمر ، ويمكن لهذا العلاج إذا ما أسميناه علاجاً أن يرفع قليلاً من المعنويات المنخفضة للناس إلا أن حالات (التيفويد) تتزايد ويؤكد طبيب آخر : لا حيلة لنا في مواجهة التيفويد .

ويصل التقرير إلى القول : .

الآن تنتظر البصرة بفزع كارثة وباء الكوليرا وإذا كان الأطباء لا يمكنهم بعد أن يؤكدوا أن الوباء يقف وراء سقوط هذا العدد من الضحايا فإن السبب في ذلك لا يعود إلا لغياب إمكانات حفظ البكتريا والأنسجة الحاضنة لها تمهيداً لإجراء التحاليل عليها .

وفي مركز الزبير الصحي تقول الدكتورة هناء أحمد :مع أنه لا يمكن أن أقوم بالتحاليل اللازمة فإنني على يقين من أنها (الكوليرا) ولقد تولدت لديَّ شكوك قوية أخيراً .. في الأسبوع الواحد يموت خمسة أطفال هنا من أعراض هذا الوباء .. ونحن ننتظر أياماً صعبة بل شديدة الصعوبة .

# الجزء الثاني

## (النص الأصلي للكتاب)

## القادة

# مدخل إلى الكتاب

## محاذير عربية قبل قراءة كتاب (القادة):

بداية .. من المهم .. ومن المهم جداً أن نعرف ماذا نقرأ ولمن نقرأ ؟ إننا نقرأ الرؤية الأمريكية الرسمية لأزمة عربية ذاتية ، وهي رؤية منحازة أصلاً ؟

ولمن نقرأ ؟ لأحد رجال المخابرات الأمريكية وإن بدا أنه صحفي بارز ولكنه رجل مخابرات ذكي ومن الطراز الأول ، ومن هنا وجب التحذير .

بل وجب أن نفهم جيداً أن هذا أحد أوجه الصورة وليس (كل الوجوه) . ونتفق مع (عادل فهمي) في قراءته التحذيرية بصحيفة الأهالي يوم ١٩٩١/٦/١٢م ، لهذا العمل الوثائقي الأمريكي وهي القراءة التي جاء فيها نفس التحذير مع إضافات أخرى وذلك لأنه منذ أن لعب بوب (روبرت) ودوورد الصحفي الأمريكي الدور الرئيسي مع زميل له في صحيفة «واشنطن بوست» في كشف فضيحة «ووترجيت» الشهيرة قبل ١٩عاماً ، وكل كتاب أصدره «بوب» يحاط باهتمام غير عادي ، ويصعد إلى قائمة أكثر الكتب مبيعاً ، وتتسابق الصحف والمجلات إلى نشر فصول منه ويتسابق المتخصصون في عرض الكتب في الكتابة عنه باختصار يصبح الكتاب موضوعاً إخبارياً بحد ذاته .. وهو أمر نادرا ما يحدث لغيره من الصحفيين وقد يحدث للكتاب أن يصدره مسئول كبير سابق ، رئيس أو جنرال أو وزير يحكي فيه مذكراته أو تجاربه في الحكم والسياسة أما أن الكاتب صحفي فإن هذه الظاهرة تكاد تخص بوب ودوورد وحده في الوسط الصحفي الأمريكي.

ومن الواضح أن بوب يجيد توقيت إصدار كتبه بالقدر نفسه الذي يجيد به الحصول على المعلومات الخاصة والاستثنائية من مصادر في « المناصب العليا » ولقد أجاد أكثر من أي شيء آخر القيام بدور قناة التوصيل لأشياء كثيرة تريد أجهزة معينة في النخبة الحاكمة الأمريكية نقلها إلى الرأي العام الأمريكي وأحياناً نقلها الى ما وراء ذلك .

وعلى سبيل المثال فإن « بوب » لعب دور «الموصل» للمعلومات الرسمية إلى العالم الخارجي عن مخطط المخابرات المركزية لإثارة الحرب بين مصر وليبيا ولعل كثيرين صفقوا لشطارة هذا الصحفي الذي تمكن من الوصول إلى قدس الأقداس الحكام الجهنمية وعرض هذا النوع من الأسرار ونشره وقليلون للغاية هم الذين تساءلوا ، كيف ؟ وأقل بكثير هم الذين تشككوا ألا يمكن أن تكون المخابرات الأمريكية هي التي تسرب المعلومات لأغراض تهدف إليها ؟ .

ومن المؤكد أن كتاب « القادة » مثل كتب وبوورد السابقة يحتوي على كثير من المعلومات المثيرة ، والصحيحة فهو يكشف أن الجنرال « كولين باول» رئيس هيئة أركان الحرب الأمريكية كان من المعارضين لشن الحرب على العراق ، وأن وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر كان بدوره في بدايات الأزمة على الأقل – أكثر ميلاً إلى ترك العقوبات الاقتصادية ضد العراق تلعب دورها .. كما أنه يكشف عن الطريقة غير الديمقراطية التي تدور فيها المناقشات بين الرئيس الأمريكي ومستشاريه ومساعديه أي «القادة» ولعل أهم ما يصوره كتاب «القادة» هو مدى تأثير الرئيس بوش في أسلوب تناوله لقضايا السياسية الخارجية بوجه خاص وبطريقة العمل في المخابرات المركزية التي كان مديراً لها في منتصف السبعينات .

لكن الأثر الإجمالي لكتاب وبوورد يبقى متعلقاً في الأساس بالدور المهم والحيوي الذي تلعبه المخابرات الأمريكية ، ولابد من أن نشير هنا إلى أن إحدى

التفسيرات التي تساق في الأوساط الأمريكية بشأن الدور الذي تلعبه كتابات هذا الصحفي الأمريكي اللامع هو دور لحساب قطاعات معينة في المخابرات من قطاعات أخرى لحساب كتلة في النخبة الحاكمة الأمريكية ضد كتلة أخرى ولابد هنا أن نشير إلى أن كتاب «القادة» ليس كتاباً عن حرب الخليج كما قد يتبادر إلى الذهن من المقالات العديدة بالمئات التي كتبت عنه أن كتاب «القادة» هو بالأحرى المجلد الثاني من كتاب ودوورد السابق الذي أحدث ضجة هائلة وقت صدوره والذي كان يحمل عنوان «القناع» أو النقاب وكان عن تاريخ الحروب السرية لوكالة المخابرات المركزية من ١٩٨١ - ١٩٨٧ .

ولان كتاب القناع صدر في أعقاب فضيحة «إيران جيت» فقد ظن كثيرون في وقت صدوره أنه يتعلق بهذه الفضيحة دون غيرها وبالمثل ظن كثيرون أن كتاب «القادة» يتعلق بحرب الخليج ، مع أنه يتناول أيضاً الغزو لبنما . ومع أنه يتعلق بشخصيات القادة الأميركيين وأدوارهم بمعنى أنه يرسم صورة «بيوجرافية» لكل منهم. في حياته داخل منصبه أكثر مما يتعلق بالسياسة الأمريكية إزاء الخليج أو العراق أو الشرق الأوسط إنه كتاب عن شخصيات جورج بوش وجيمس بيكر وديك تشيني وبرنت سكوكرافت وكولين باول أكثر مما هو عن أحداث أزمة الخليج أو هو عن هذه الشخصيات وطريقة عملها والفروق الشخصية والسياسية والاجتماعية والذهنية بينها وهي تخوض أزمة الخليج وقبلها وهي تخوض أزمة بنما .

والحقيقة التي لا يعرفها إلا قليلون هي أن ودوورد كان خلال العامين الماضيين مشغولاً بوضع كتاب عن البنتاجون - وزارة الدفاع الأمريكية - وعندما حدثت التطورات الأخيرة في الخليج وجه شأنه وجهده باتجاهها ، ولكن دون أن يخسر المادة التي كان قد جمعها في العمل على كتابه عن البنتاجون ولهذا يؤكد عدد من زملائه أن كثيراً من الأحاديث والمقابلات التي أجراها مع مصادر معينة بينها شخصيات بارزة

مثل وزير الدفاع ديك تشيني ورئيس الأركان الجنرال باول ومستشار الرئيس للأمن القومي برنت سكوكرافت – والتي نشرها في كتابه القاده كانت قد أجريت قبل أزمة الخليج في سياق آخر تماماً .

مع ذلك فالأمر الذي يحتاج إلى تأكيد هو أن كتاب « القادة » يحتوي على عدد غير قليل من الحقائق .. فهذه أفضل الطرق لكسب ثقة القاريء – الأمريكي وغير الأمريكي على السواء – ليستوعب ويتمثل بسهولة كل ما في الكتاب ومن المؤكد أن أبرز الحقائق في الكتاب تلك التي تتعلق بموقف الجنرال باول رئيس الأركان ، وكونه معارضاً صريحاً للحرب ، قال رأيه بشجاعة للرئيس بوش .. بينما جبن غيره ومعظم المعلومات عن موقف الجنرال باول – أبرز السود في أمريكا هذه الأيام والذي لقبته الصحافة بعد دوره في حرب الخليج إيزنهاور الأسود « ورشحته الشائعات ليصبح نائباً للرئيس في فترة بوش الثانية – مستخدمة باول نفسه في لقاءات اجراها معه المؤلف قبل الأزمة وبعدها ، مع ذلك فإن الاستنتاج الأساسي الذي يخرج به عدد من الكتاب السياسيين من قراءاتهم لكتاب «القادة» هو أن إحدى النتائج العملية التي يفضي إليها نشره هي إزاحة الجنرال باول من طريق المنافسة في انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة .. سواء كمرشح لمنصب نائب الرئيس أو كمرشح منافساً لبوش على الجانب الديمقراطي من المعركة ويفسرون ذلك بأن الكتاب قد فضح شجاعة باول في مواجهة بوش .

هذا يبعده عن معسكر الحزب الجمهوري وخاصة أنصار المحافظة فيه التي تريد أن تجد سبباً غير لونه الأسود لاستبعاده وفضح معارضته أيضاً للحرب .. الأمر الذي يضعه في إطار واحد مع مناهضي الحرب الذين تظاهروا في شوارع المدن الأمريكية ضدها وهو شيء يخيف الحزب الديمقراطي منه ، فالحزب يريد أن يبتعد عن صورة الحزب اليساري المناهض للحرب أعتقاداً منه بأنها الصورة التي أدت إلى

هزيمته في انتخابات الرئاسة المتعاقبة منذ عام ١٩٦٨م باستثناء المهمة الوحيدة التي نجح فيها المرشح الديمقراطي جيمي كارتر في انتخابات ١٩٧٦م ولم يتمكن حتى من الفوز لفترة رئاسة ثانية .

هذا مثال واحد على الكيفية التي يمكن أن تستخدم بها الحقائق لتحقيق نتائج سياسية وليست قريبة من الحقائق في شيء .

لهذا لم يكن غريباً أن يذكر السؤال في واشنطن بعد نشر هذا الكتاب - خاصة في الدوائر السياسية المحيطة بها - على :

ترى من هم أولئك الذين أمدوا وبوورد بالمعلومات ؟

ذلك أن المؤلف لم ينسب أية معلومات أو عبارة إلى مصدرها أو قائلها واكتفى في البدايةبالقول بأنه أجرى ٤٠٠ مقابلة مع المسئولين من مستويات عديدة في الحكومة ورأى كثيرون أن تصريحات هذه المصادر لوبوورد تأتي كلها أو معظمها في «إطار «تصفية» الحسابات» مع مسئولين حاليين (وسابقين) أكثر مما تأتي في إطار تسجيل الحقائق للتاريخ أو في إطار تحسين صورة سياسات أو قرارات معينة ، أو في شخصيات معينة وفي هذا الإطار الثاني فإن الكتاب يعد شهادة قوية في صف وزير الدفاع تشيني ، تجعله يكتسب حظوة أكثر لدى الجناح اليميني المتطرف في الحزب الجمهوري الذي يفرض سيطرته على بوش في السياسة الداخلية والخارجية على السواء .

وبالتالي فإن الرد التفصيلي لكتاب «القادة» عن الاتصالات والاجتماعات التي جرت - مثلاً - بين المسئولين الأمريكيين والقادة العرب (السعودية) - بشكل خاص - منذ بداية الأزمة وقبل أيام من وقوع الغزو العراقي للكويت ، لا يخدم هدفاً يتعلق بفهم العلاقات الأمريكية العربية ، بقدر ما يتعلق برسم صورة عن كيفية صنع القرار ، في أوقات الأزمات داخل المستويات العليا من الإدارة الأمريكية .

لنأخذ على سبيل المثال ما يذكره وبوورد عن الاتصالات التي سبقت الغزو

العراقي للكويت وكل ما يقوله عن فهم إدارة بوش لمواقف القادة العرب، فنحن نرى صدام حسين بعيني ديفيد نيوتين سفير أميركا السابق في العراق (٨٤-١٩٨٨) لأن وزير الدفاع تشيني استدعى نيوتن ومجموعة من الخبراء بشئون العراق ليعطوهم درساً سريعاً عن العراق والسياسة العراقية وصدام حسين ، وخلال نصف ساعة تحدث فيها نيوتن عن صدام وجيشه كان تشيني قد كون فكرة تقول أن الجيش العراقي على قدر كبير من القوة والمقدرة يستطيع الوصول بسهولة إلى الظهران ، وأن صدام حسين لا يهوش لأنه يؤمن باستخدام القوة ، ولا يعنيه شيء عن معاناة الآخرين .. وإذا كان القادة العرب الآخرون قد صدقوا الرئيس العراقي في تأكيداته بأنه لن يغزو الكويت ذلك لأن القادة العرب اعتادوا أن يصدق كل منهم تعهدات الآخرين وبياناتهم خاصة إذا كانت موجهة إليه ، ويضيف نيوتن ، وأخشى أن تقع (أي الولايات المتحدة ضحية الاعتقاد بأن القادة العرب أشخاص عقلانيون في طريقتهم في صنع القرارات ) .

وخلال النصف ساعة نفسها نعرف من نيوتن وبعض خبراء وكالة المخابرات المركزية الذين استدعاهم تشيني يتعلم منهم الحقائق عن العراق وعن صدام حسين - أن صدام حسين فظ - عنيد ، ذكي ، وقائد قاس معتاد على أن لا يدع شيئاً يعترض سبيله وأنه أيضاً لا يعاني من ميول انتحارية ويعتقد أنه أكثر صلابة من الولايات المتحدة ولا يحترم النظم الديمقراطية .

مثل آخر - يصف وودورد - على لسان أحد مصادره في إدارة الجيش - دور الأمير بندر بن سلطان سفير السعودية في واشنطن في أيام التوقع السعودي من احتمالات غزو عراقي للسعودية بأنه كان يعمل من أجل البلدين (السعودية أمريكا) وأنه سافر مع الوفد الأمريكي إلى السعودية ليقنع الملك بقبول وجود قوات أمريكية في المملكة.. وقبل ذلك كان الأمير بندر قد لعب الدور الرئيسي في نقل تأكيدات صدام حسين - عبر الملك فهد - إلى الرئيس بوش بأن تهديداته بحرق نصف إسرائيل إذا

هوجمت أية منشأة عراقية لا يعني فعلاً أنه ينوي مهاجمة إسرائيل وهو « تعهد » حصل مقابله بوش على تعهد إسرائيل بعدم مهاجمة العراق وأن العراق لا تنوي مهاجمتها ونقل هذا التعهد - عن طريق بندر أيضاً إلى بغداد .

والكتاب يحتوي على تراكمات كثيرة من هذا النوع من المعلومات لعل أكثرها دلالة على العقلية الأمريكية وما تنطوي عليها من تناقضات قرار اتخذه بوش يوم ٣ يناير - أي قبل الحملة الجوية على العراق - بأبعاد تماثيل صدام حسين والأنصبة التذكارية في بغداد والمدن العراقية الأخرى من قائمة الأهداف التي ستدمرها الطائرات الأمريكية .. باعتبارها رموز ذات أهداف نفسية كبيرة للعراقيين بينما بقية الأهداف التي سحقت فيها حياة آلاف من المدنيين العراقيين على القائمة .

إن ودوورد نفسه يصف كتابه بأنه يقع في مكان ما بين صحافة الجريدة الإخبارية والتاريخ وهو وصف يعني شيئين في وقت واحد أنه لا يريد أن يعامل الكتاب معاملة الكتابة الصحفية الخفيفة باعتبار أن فيه أيضاً من التاريخ حقيقة وموضوعية .. لكنه في الوقت نفسه لا يريد أن يعامل كتابه على أنه تاريخ حتى لا يسأل عن مصادره ولا يطلب منه توثيق أحداثه لكن الأهم ما يقوله ودوورد نفسه عن كتابه هو أنه - أي الكتاب لا يحوي على رأي واحد للمؤلف وهو أمر يثير الدهشة ويثير علامات استفهام كثيرة ، عن السبب الذي يجعل صحيفة واشنطن بوست التي يشغل فيها ودوورد منصب مدير تحرير للشئون الإخبارية تقبل أن يحجب عنها ودوورد هذا القدر الكبير من المعلومات لينشرها بعد ذلك في كتاب وهذا السؤال يلقى ظلا من الشك بشأن علاقة الصحيفة الكبرى مع أجهزة الحكم .. وخاصة وكالة المخابرات المركزية .

على هذه الخلفية ينبغي أن تكون القراءة الحذرة لكتاب « القادة» خاصة إذا عنيت القراءة بالتركيز على ما يهم الجانب العربي - بالأحرى الأطراف العربية - في الأحداث والقرارات والشخصيات والمواقف التي تشكل نسيج هذا الكتاب الصحفي - التاريخي وفقاً لقول عادل فهمي في (الأهالي) يوم ١٢/٦/١٩٩١م .

## تصدير الكتاب

إن اللاعبين الأساسيين – أبطال اللعبة – كما تقول مقدمة في هذا الكتاب(١) – وبالصدفة هم أيضاً ثلاثي الأحداث الكبرى التي تسمى « حرب الخليج» ثلاثة :

(١) الرئيس الأمريكي جورج بوش .

(٢) وزير الدفاع الأمريكي ديك تشيني .

(٣) رئيس الأركان الأمريكي الجنرال باول .

وإذا كان وصول جورج بوش إلى مكتب الرئاسة البيضاوي في البيت الأبيض معروفاً وتابعه الناس على الشاشات الفضية الصغيرة خلال معارك انتخابات الرئاسة ضد خصمه دوكاكيس – فإن وصول كل من تشيني وباول إلى منصبه الخطير كان أمراً سريعاً ومفاجئاً في بعض الأحيان .

– لقد رفض الكونجرس أول اسم رشحه بوش ليكون وزيراً للدفاع ، وكان ذلك في أوائل عام ١٩٨٩ م ، ويومها استدعى بوش عضواً مغموراً في مجلس النواب عمره ٤٨ سنه لم ير في حياته الجيش ولا أية مؤسسة عسكرية ، وطرح أسمه على أعضاء الكونجرس ، وفي أقل من أسبوع وافق البرلمان على التعيين وسط دهشة الجميع ، وأصبح ديك تشيني وزيراً للدفاع ، أي رئيساً لأكبر ترسانة حربية ومسؤولاً عن أكبر مجمع عسكري متقدم عرفه التاريخ ثم أصبح مثار الإعجاب لأدائه المتميز الهادىء إلى حد البرود أحياناً أثناء وقائع حرب الخليج .

وبعد تعيين تشيني بأشهر قليلة .. عقد يومها اجتماعاً روتينياً لجنرالات الجيش في مكتبه في البنتاجون ، وبعد ٧٢ ساعة من هذا الاجتماع ، سلطت الكاميرات على بوش وتشيني ، وإلى جوارهما الجنرال كولين باول الذي عين رئيساً لأركان الجيش الأمريكي .

إلى جانب هذا الثلاثي لا تكتمل حلقة القرار الأمريكي إلا برجلين اثنين يمارسان حرفتيهما من الناحية الأخرى – ناحية السياسة الخارجية والأمن القومي وهما :

---

(١) من المهم أن يلاحظ القارىء أننا لم نتبع التقسيم العام الذي قدمه (ود وورد) في كتابه ، وذلك لأنه خصص نصف الكتاب تقريبا لأحداث بنما ، والنصف الآخر لأزمة الخليج ولقد أوردنا هنا النصف الثاني المتعلق بأزمة الخليج والذي ورد أغلبه في الباب الثاني من الكتاب . ولمزيد من التفصيل قسمنا هذا الجزء إلى بابين متصلين كما سيلاحظ القارىء وذلك تسهيلا وتأصيلا للمعلومات الواردة بهما .. (معدو الكتاب) .

(١) جيمس بيكر وزير الخارجية .

(٢) برنت سكاوكروفت مستشار الأمن القومي .

هذه الحلقة الخماسية يتم في إطارها رسم السياسات الخارجية - الدولية للولايات المتحدة التي تستخدم القوات المسلحة لتحقيق أهدافها على نحو ما حدث أيضاً على مسرح الخليج .

(ملاحظة) (الكتاب كبير الحجم ، يقترب من ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسطة، ويستهله المؤلف مع خلاف التقليد المتبع بعدد كبير من الصور على امتداد أكثر من ١٥ صفحة تحوي لقطات مكبرة ومعبرة أيضاً للرجال - القادة الذين يتناولهم الكتاب- بقسمين مفكرين متجاورين ، مجتمعين ، متأملين .. ألخ وكأنما يومىء المؤلف بهذا إلى الطابع «الشخصاني» لمادة الكتاب ، بعد ذلك بوجه المؤلف ملاحظة إلى القاريء على امتداد خمس صفحات يوضح له فيها أنه أمام تقرير يصف عملية صنع القرار العسكري في الولايات المتحدة خلال الأيام الثمانمائة التي بدأت من ٨ نوفمبر ١٩٨٨م يوم انتخابات جورج بوش لرئاسة أمريكا وحتى يوم ١٩٩١/١/١٦م يوم بدء حرب الخليج ) .

(ثم يوضح المؤلف أيضاً كيف أنه ، وقد خدم في البنتاجون ذاته في عام ١٩٦٩م - ١٩٧٠ إلا أنه لا يزال يعجب من أمر هذه المؤسسة العسكرية الاقتصادية العملاقة ، ولذلك فقد آثر وهو يجمع مادة الكتاب أن يجتمع بعدد من وزراء الدفاع الذين تتابعوا طيلة السنوات الثلاثين الأخيرة على قيادة البنتاجون) .

بعد ذلك يقول المؤلف أن حرب الخليج جاءت لتؤكد أن المثقفين كانوا على خطأ حين تصوروا أن دور العسكريين في مجتمعاتهم ، وبالتالي في تشكيل سياسة العالم المعاصر قد أذن إلى الإنتهاء ، ويذكر المؤلف كذلك أنه التقى لتأليف كتابه بأكثر من ٤٠٠ مصدر على امتداد ٢٧ شهراً ، وأنه احتاج إلى أن يقابل مصدراً مهماً بعينه حوالي ٤٠مرة ولذلك فهو يصف كتابه بأنه عمل فكري يصنف في الخانة الوسط بين فرعين :

- الكتابة الصحفية .
- علم التاريخ .

ويستطرد المؤلف موضحاً أنه كلما ازدادت معرفته بدقائق الأمور في

البنتاجون، ازداد يقينه من واقع البحث بأن القرارات العسكرية الاستراتيجية المهمة التي لم تكن تصاغ في مكاتب رجال وزارة الدفاع سواء كانوا مدنيين أو عسكريين ، وإنما هي تصاغ بالدرجة الأولى في مكاتب القيادة السياسية في البيت الرئيسي الأبيض .. صحيح أن حرب بنما وضعت خططها في وزارة الدفاع ثم أحيط بها الرئيس بوش لكي يتخذفي النهاية قرار الغزو بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة ..

– لكن أزمة الخليج كانت مختلفة تماماً (والكلام لمؤلف الكتاب) أن الرئيس بوش وهيئة موظفيه في البيت الأبيض كرسوا اهتماماً كبيراً لمعالجتها منذ بدايتها حيث كانوا يديرون الأزمة من بنسلفانيا – افنيو- شارع البيت الأبيض في واشنطن العاصمة وعندما يشارك الرئيس ومستشاره في الأمر .. فإنهم يتولون بأنفسهم أداة العرض .. ) .

ثم ينتقل المؤلف بعد هذه الرسالة الموجهة إلى القارىء لكي يكتب تصديراً لموضوع الكتاب ويستغرق التصدير عشر صفحات بعدها يدخل مباشرة في صلب كتابنا الذي قسمه مؤلفه إلى بابين رئيسيين فقط لا يحمل أي منهما أي عنوان .

– ماذا يقول التصدير ؟

– إنه يحكي أولاً اللقاء الذي دار بين الجنرال باول رئيس الأركان وهو بالمناسبة أصغر وأول جنرال أسود يتقلد هذا المنصب الخطير في تاريخ الولايات المتحدة – وبين رئيس الأركان الأسبق ويليام كرو ، كان ذلك في ٢٧ نوفمبر عام ١٩٩٠ م ويومها كرر الجنرال كرو اعتراضاته التي كانت تتهم البيت الأبيض باستعجال الحرب ونفاذ الصبر إزاء العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة ، على نحو غير مسبوق ، ضد النظام العراقي ، أوضح الجنرال كرو أن الصبر ليس حيلة العاجزين فقد أفاد في رأيه طيلة أربعين عاماً من الحرب الباردة ضد المعسكر الشرقي ، ثم قال كرو « إن حرباً تخوضها أمريكا في الشرق الأوسط ويقتل فيها آلاف من العرب سوف يكون لها رد فعل يرتد على الولايات المتحدة في المستقبل » .

– ماذا كان رأي الجنرال باول فيما كان يقوله سلفه في المنصب الخطير ؟ ..

يجيب مؤلفنا قائلاً : « لم يكن باول يبدي موافقة ولا عدم موافقة ، كان يصغي ويومىء برأسه ويبدو مشجعاً للجنرال «كرو» حتى يواصل حديثه ، وعندما سأل «كرو»

خليفته عن موقف وزير الدفاع تشيني من هذا الذي يجرى لم يفد باول بجواب مقنع - بل قال أن رئيسه تشيني كان يحتفظ بأوراق اللعبة لنفسه ولا يفضي بأسراره لأحد .. ساعتها تعجب «كرو» من وزير الدفاع لا يشرح موقفه من مسألة في غاية الخطورة إلى مساعده المباشر رئيس أركان القوات المسلحة ، وعندما ألح «كرو» أن يسمع موقف باول عن مسألة نشر القوات في الخليج قال رئيس الأركان الأسود :

- « كنت مويداً لإتباع استرتيجية احتواء وتطويق .. ولكن رأيي هذا لم يقدر له من يشتريه هناك .. عبر النهر » .

وعندما أشار باول إلى النافذة فهم «كرو» ما يعنيه لأن الأوامر والقرارات السياسية التي توجه حياة رئيس الأركان تأتي عبر ذلك النهر وهو تعبير يقصد به البيت الأبيض ذاته .

وبالنسبة لرجل عسكري مثل الجنرال «كرو» كانت سياسة الاحتواء تعني الوقوف بثبات لمقاومة أي تحرك آخر من جانب الخصم وكان معناها بالتالي الوقوف بوجه النظام العراقي وترك العقوبات تفعل فعلها وكذلك الضغط الديبلوماسي دون مواجهة العراق أملاً في أن يفضي الأمر إلى إنسحاب صدام حسين من الكويت وكان هذا مختلفاً للغاية عن قرار الرئيس بوش بمضاعفة حجم القوات لإتاحة فرصة خيار الهجوم العسكري .

من هنا تعين على «باول» أن ينسى تماماً حكاية «الاحتواء» وأن يعد قواته لخيار الهجوم العسكري الذي قرره رئيسه الأعلى جورج بوش مع ذلك فإن الجنرال باول لا يزال يتذكر جهوده التي عرض فيها كل الخيارات التي رآها متاحة على مسرح الحرب في الخليج .بما في ذلك تطويق واحتواء العراق وكان ذلك من باب التأكد أن الرئيس قد طرحت على مسامعه كل الاحتمالات ، ويتذكر ، «باول» أيضاً عدداً من الملاحظات التي دونها ، والمذكرات المختصرة التي سجلها بقلمه طيلة شهر أكتوبر ، وكان يطرح فيها فكرة «الاحتواء» ويردد أكثر من مرة تعبير«الخنق» بوصفه كلمة أشد وقعاً من مجرد «الاحتواء» وكلها كانت تشير إلى عقوبات الأمم المتحدة ، الاقتصادية لتضييق الخناق على صدام حسين ويذكر «باول» أيضاً أنه أخذ هذه المذكرات إلى «تشيني» وزير الدفاع و«بيكر» وزير الخارجية و«سكاوكروفت» مستشار الرئيس للأمن

القومي .. وبعدها استدعوه إلى اجتماع مع الرئيس بوش لمناقشة الأمر ، حيث عرض رئيس الأركان تصوراته للحلول على أساس ثمة طريقين للعمل على إجبار صدام حسين الخروج من الكويت أولهما تعبئة القوات لخيار الهجوم ، وثانيهما الاحتواء والتطويق الذي يستغرق وقتاً أطول – ولكن السبيلين كفيلان بتحقيق النجاح للسياسة الموضوعة .

وكان تعليق الرئيس بوش ما يلي :

« هذا الخيار له مزاياه وقد يفيد يوماً ما .. إلا أنه يستغرق سنه .. بل سنتين ، ومع ذلك فهو مفيد بغير شك » ..

بيد أن الجنرال «باول» شعر من جو القاعة ، ومن مواقف الجالسين حول الرئيس – وزير الدفاع والخارجية ومستشار الأمن القومي أن لا أحد يحبذ حكاية الاحتواء هذه – إذ لم يسأله أحد ، ولم يستوضحه أحد .. وبعد فترة صمت اضطر رئيس الأركان أن يعرف بالضبط ما يريده القائد الأعلى فقال :

– إلى أين تريد أن تذهب يا سيادة الرئيس ؟ كل أسبوع يمضي يجعلني أزيد عدد القوات التي أرسلها .

وجاء رد الرئيس بوش مشيراً إلى خيار الاحتواء :

– لا أعتقد أن ثمة وقتاً لتلك الاستراتيجية .

مع ذلك شعر باول أن الرئيس لم يبت في الأمر كله بعد ، أي أنه لم يطلق النار بعد على خيار الاحتواء .. وإياً كان الأمر .. فقد أحس الجنرال «باول» بعد ذلك أن ضميره قد استراح ، فقد عرض جميع النتائج المترتبة على كل الخيارات وكان هذا أقصى ما في وسعه أن يفعله » .

بهذه العبارات أنهى «بوب ودوورد» تصديره للكتاب ، وبعدها ننطلق لنقلب صفحات الباب الأول والثاني الحافلين بالوقائع والأسرار.

# الباب الأول

## (١)

بعد أقل من ٤٨ ساعة من الغزو العراقي للكويت كان برنت سكوكروفت مستشار الأمن القومي يرحب بمكتبه في البيت الأبيض بالأمير بندر بن سلطان سفير السعودية لدى واشنطن .

سكوكروفت يدرك جيداً أن الأمير له اتصال مباشر بالملك فهد ويمكنه أن يعرف جيداً ما يدور في ذهن الملك .. في تلك اللحظات كانت بعض قوات صدام حسين تتحرك في اتجاه حدود السعودية .. وكانت لدى سكوكروفت رسالة هامة يريدها أن تصل إلى الملك فهد شخصياً .. قال سكوكروفت لبندر أنه يتحدث إليه باسم الرئيس بوش .. وموقف الرئيس هو أن الولايات المتحدة «تميل» إلى مساعدة السعودية بكل وسيلة ممكنة كي تتيح لها الدفاع عن بلادها ، ولكن بندر بحذره بادر على الفور بتذكير سكوكروفت عما حدث من الرئيس الأسبق جيمي كارتر منذ نحو عشر سنوات عندما سقط شاه إيران .. يومها قال كارتر للسعوديين سأبعث إليكم أثنين من أسراب طائرات (ف-١٥) كدلالة على مساندتنا .. ووافق الملك فهد .. وعندما كانت الطائرات في الجو تقطع الطريق إلى السعودية أعلن كارتر أنها طائرات غير مسلحة .

قال بندر نحن ما زلنا نتذكر ذلك ولا نريد منكم أن تقدموا يداً ثم تسحبونها وتتركونا نواجه هذا الرجل على حدودنا وقد تصاعد جنونه !

قال سكوكروفت : لن يحدث ذلك .. نحن جادون فعلاً وسنفعل كل ما هو ممكن لحماية السعودية .. ثم قال : على أن تكونوا أنتم أيضاجادين في تقبل وجود قوات أمريكية .

عند هذا الحد دخل الرئيس بوش إلى مكتب سكوكروفت .. وقال بوش إنه مستاء لأن الكويت لم تطلب من الولايات المتحدة حمايتها إلا في اللحظات الأخيرة من غزو العراق لها .

وأبدى بوش خوفه أن تكون السعودية هي - الثالثة - على قائمة صدام حسين ثم لا تطلب العون إلا بعد فوات الأوان !

هنا سأله بندر : أي مساعدة يمكن أن تقدموها لنا ؟ كم من الطائرات .. وأي الأسلحة ؟ فإن الملك يريد أن يعرف ذلك بالتحديد .

بوش وسكوكروفت ردا بأن الإجابة ليست جاهزة الآن لأن ريتشارد تشيني وزير الدفاع وجنرال كولن باول رئيس الأركان هما اللذان يستطيعان تقديم هذه الإجابة .

كان تشيني يعرف الأمير بندر منذ أعوام ويعجب به .. كان يبهره أن يجد سفيراً في واشنطن يستطيع أن يكون له هذا التأثير على حكومة الولايات المتحدة وعلى غيرها أيضاً .. فقد كان بندر يؤدي دور الحلقة السعودية مع كل مع السيدة مارجريت تاتشر ومع السوفيت ومع الصينيين .

وعندما وصل بندر إلى مكتب تشيني في الدور الثالث بمبنى البنتاجون بعد ظهر نفس اليوم .. اتخذ مقعداً على الفور حول مائدة اجتماعات مستديرة جلس حولها معه كل من تشيني وباول وشاركهم بول دولوتيز وكيل وزارة الدفاع للشئون السياسية وريتشارد هاس خبير الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي .

وبدأ تشيني قائلاً : أصدر الرئيس تعليماته بأن أحيطك علماً بما يمكن أن

تفعله الولايات المتحدة من أجل الدفاع عن المملكة السعودية ، وكان تشيني يعلم أن بندر يستعد للسفر إلى السعودية لمقابلة الملك فهد لذا أراد أن يتأكد من أن الأمير بندر قد أبلغ الرسالة بكل وضوح .

قال له تشيني : بإمكان الولايات المتحدة أن تبعث بفرقة حاملة طائرات ترمي بضع قنابل فوق رأس صدام وهذا سيطير عقله ولكن لن يحل المشكلة ... فإن مفتاح الحل هو القوات التي على الأرض .. وتقدم تشيني وباول إلى بندر بصور للفرق العراقية الثلاث المدرعة التي كانت في مقدمة الغزو في الكويت .. وظهرت في الصور إحداها وهي مكونة من عشرة آلاف مقاتل وعدة مئات من المدرعات وقد أخذت تتحرك من داخل الكويت إلى اتجاه حدود السعودية . هذا بينما فرق عراقية أخرى تتخذ مواقعها وراء الوحدات المسلحة تماماً كما فعلوا قبل غزو الكويت بيومين أثنين .

كان اتجاه التحرك أشبه بخط السيف رأسه متجه إلى ضرب الهدف .. وهو المملكة السعودية .

وانطلق باول في تلخيص خطة العمليات رقم (١٠٠٢-٩٠) في عشر دقائق .. وذكر أنها تتضمن أكثر من أربع فرق وثلاث حاملات طائرات وأسراب مقاتلات جوية .. وسرح بندر بنظره في الكتاب الضخم الذي يحوي الخطة « الغاية في السرية » - مع الخرائط التي تبين كيفية نشر القوات على الأرض .. وقال باول أن المقصود أنها كانت قوات كبيرة العدد .. فسأله بندر: من حيث الكم تقدرها بماذا ؟

قال باول من ١٠٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف .

هناك تنفس بندر الصعداء وقال « حسن على الأقل هذا يدل على الجدية .. ثم قال : لو كانت مثل هذه القوات في السعودية الآن لأمكننا أن نتخذ ردود فعل عنيفة مثل إغلاق خط أنابيب بترول العراق .. وإنما بدون قوة دفاع من هذا الحجم فإن أيدينا

تكون مربوطة لأن صدام يستطيع أن يدخل السعودية .. ثم استطرد قائلاً إنه يحبذ هذه الخطة ووعد بأن ينقل كل ما رآه وما سمعه إلى الملك فهد وإلى الأمير سلطان ووزير الدفاع (أبيه) وعندما انصرف بندر أيد وولوتيز دهشته من دلائل الجدية الشديدة التي سادت الاجتماع .

وعندما قابل بندر الملك فهد أخبره عن صور الأقمار الصناعية التي شاهدها وقال للملك : « التهديد حقيقي » .

- فسأله الملك : هل شاهدتها ورايتها بعينك ؟ قال بندر : نعم .

صباح اليوم التالي السبت ٤ أغسطس .

تشيني وباول وسكوكروفت وولفوتيز وجنرال نورمان شوارزكوف قائد القوات الأمريكية في الخليج يطيرون معاً بطائرة هليكوبتر إلى كامب دافيد لإطلاع الرئيس على الخيارات العسكرية .

وجلس بوش ومن حوله مستشاروه العسكريون حول مائدة الاجتماعات بينما عرض شوارزكوف أمامهم للإمكانيات القتالية للعراق .. وما الذي يحتاج إليه للدفاع عن السعودية . قال شوارزكوف أنه يحتاج إلى ١٧ أسبوعاً كي يحقق المطلوب « للردع » .. إذ يتطلب ذلك ما بين ٢٠٠ألف إلى ٢٥٠ ألفاً من الجيش والبحرية والطيران والمارينز وسوف يستغرق ذلك حتى شهر ديسمبر .. وقال شوارزكوف أن السعوديون ينتابهم القلق حول مدى جديتنا في الموضوع .. وهنا تدخل بوش في المناقشة قائلاً : إن ما يقلقه هو احتمال أن يتراجع السعوديون في آخر دقيقة ويقبلون نظاماً في الكويت يكون دمية في يد صدام حسين .. لذلك لابد أن نسألهم من الآن : إلى أي مدى هم ملتزمون ؟

قال سكوكروفت : هذه أقرب إلى مشكلة الدجاجة أم البيضة .. فهم بدورهم لن

يقدموا قبل أن يتأكدوا تماماً أن بإمكانهم الاعتماد علينا .. فرد بوش : ولكن عندما يكون الوطن مهدداً بالغزو فليس على المرء إلا أن يأخذ في يده أي شيء ولو كان مدراة – ويجري إلى حدوده يحميها .

قال سكوكروفت : ولكن هذا هو الشرق الأوسط .. ولا تنسوا أن الكويتيين لم يعلنوا التعبئة عندما شعروا بالتهديد .ثم عادت المناقشة إلى الأسئلة التي لم تجد إجابات .. ماذا يريد صدام في الحقيقة ؟ .. وما هي خطواته التكتيكية ؟ .. وما هي أهدافه النهائية ؟ .

قال باول : حتى ولو عاد العراقيون فالموقف في الكويت وفي غيرها من دول المنطقة قد تغير إلى الأبد !

فرد سكوكروفت : كل هذا الوضع قد تم تصحيحه بحيث يجتذب تماماً اهتمامات الجامعة العربية .. فاجتماعات الجامعة هدفها إظهار الوحدة العربية .. القبلات والمصالحات .

ثم أضاف : الكويت ليست محبوبة بين العرب .

ثم أنهى بوش المناقشة هكذا : لابد وأن يكون تركيزنا هو الدفاع عن السعودية.

* * *

عند انتهاء الاجتماع كان التشاؤم يسود المجموعة حول التصرفات العربية عموماً .. فالعرب لديهم ميل إلى أن يشتروا أرواحهم بالثمن المطلوب .. فاللص الذي يهدد بخنقهم ممكن أن يدفعوا له ليمضي ..

وتقرر أن يتحدث الرئيس بوش تليفونياً إلى الملك فهد .. وبعد الظهر طلب الرئيس الملك فهد الذي قال لبوش أن السعودية ليست بحاجة إلى قوات على الأرض

للدفاع عنها وإنما تحتاج فقط لقوات جوية وربما بعض المعدات . وقال الملك أيضاً أن الأمير بندر أخطره بالجلسة في البنتاجون .. وذكر الملك أنه بانتظار الوفد الذي ستبعث به واشنطن إليه ليطلعوه على الإمكانيات التي سيقدمونها للسعودية لكي تدافع عن أراضيها .

ولكن بوش قال للملك أنه ليس لديه أي فكرة عن هذا الوفد ومع ذلك فهو على استعداد لتشكيله وإرساله إليه ..

وبعد أن انتهت المكالمة تبين لبوش وسكوكروفت أن مسألة الوفد المسافر إلى السعودية هي كل ما اتفقا عليه في المكالمة .. ولم يكن بوش يعرف حتى ذلك الحين (من) الذي يبعث به ولأي هدف بالتحديد .. وقال بوش ليكن مبعوثاً شخصياً وعلى مستوى عال بحيث يكون مفهوماً بألا يعود بدون قرارات تتخذ .. وفكر بوش في البداية أن يبعث سكوكروفت ..

وبعد أن غادروا جميعاً كامب ديفيد حاول تشيني وبقية المجموعة أن يستقصوا عن فكرة الوفد المسافر ومن أين جاءت بالضبط .. تشيني قال أن كل ما عرضه على بندر في اليوم السابق هو إرسال شوارزكوف للتنسيق في حالة ما إذا تقرر دعوة القوات الأمريكية إلى السعودية وحتى يختار مواقعها ويرتبها معهم .

أما جنرال باول فإنه أول ما سمع بمسألة الوفد الذي يسافر السعودية أدرك على الفور أن وراءها بندر .. وأن الأمير اشتغل فترة إضافية وترجم استعدادات بوش وتصميمه على مساعدة السعودية مع اقتراح تشيني بإرسال شوارزكوف للتنسيق بأنه وفد يسافر ليطلع الملك .. وهكذا استطاع بندر بذكاء ولباقة أن يحرك دولتين للقاء معاً بأذرع مفتوحة .

وخشى سكوكروفت أن تنتهي مهمة الوفد المسافر بالفشل .. وقام بسلسلة

محادثات في هذا الشأن مع بندر .. وقال له إذا كان يتوقع للمهمة أن تفشل فسوف يبعث الرئيس بمسئولين على مستوى أدنى .. أما إذا كانت المهمة تبدو ناجحة فسوف يبعث بمسئول على مستوى عال ..

كان سكوكروفت يريد أن يطمئن إلى أن الملك سوف يقبل وجود قوات أمريكية قبل أن يختار بوش الشخصية التي يبعث بها للمهمة ..

وقال بندر أن الملك فهد ليس على استعداد بعد أن يرتبط بأي التزامات .. وأن هناك مناقشات مكثفة تجري حالياً داخل دائرة العائلة المالكة .. وأنه أي بندر سيسافر إلى السعودية بعد ظهر اليوم لينضم إليهم . ووعد سكوكروفت أن يتصل به تليفونياً بعد أن يقابل الملك .

قرر الرئيس بوش أن يرأس تشيني الوفد المسافر لمقابلة فهد فهو غير أنه شخصية رفيعة المستوى فهو باعتباره وزير للدفاع يمكن أن يتحدث ويعرض من وجهة اختصاصه في المسائل الدفاعية ..

وقام سكوكروفت وطلب تشيني في بيته تليفونياً وأوضح له كيف استطاع بندر أن ينسج قماشة جيدة من المقابلات والمحادثات التي جرت وتكليفه بالسفر إلى السعودية .

أثناء ذلك تحدث الرئيس مع أمير الكويت الشيخ جابر أحمد الصباح وهو رجل قليل الكلام ورأس هذه العائلة الحاكمة كبيرة العدد منذ عام ١٩٧٨ .. وقد هرب الأمير بسيارة إلى السعودية قبل دقائق من اقتحام الجنود العراقيين لقصره ليأخذوه سجيناً أوليقتلوه).

وكان بوش متعاطفاً بكل مشاعره مع الأمير «واقسم» بوش لأمير الكويت أن الولايات المتحدة سوف تساعده على استعادة بلاده وتضمن إعادته إلى السلطة .

وعندما قابل الأمير بندر الملك فهد في السعودية وكان ذلك يوم الأحد ٥ أغسطس طرح مرة أخرى ما شاهده من صور الأقمار الصناعية .. وحدثت مناقشة بين مستشاري الملك فهد .. وقال الأمير بندر للملك أنه شاهد بنفسه الصور مع تشيني ووافق الملك في النهاية ..

ولم يعرف الجنرال كول باول بنبأ سفر تشيني إلى السعودية إلا بعد أن كان في الجو طائراً إلى هناك .. وعندما استرجع رئيس الأركان أحداث الأيام الأخيرة لم يتمكن من تحديد (متى) استقر الرئيس على مسألة الانتشار وإنها هي المطلوب للموقف .. فلم تستخدم خلال ذلك ورقة ولا طرحت خيارات أخرى ولا الاحتمالات التي يمكن أن تترتب على ذلك ..بل ولم يكن هناك تحديد واضح للأهداف وإنما الشيء الوحيد الواضح كان قلق «الرئيس» وانشغاله العميق حول مصير السعودية .

* * *

بعد ظهر ذلك اليوم الأحد كان باول يشاهد محطة (سي . إن . إن ) وظهر بوش على الشاشة وهو ينزل من الطائرة الهليكوبتر في فناء البيت الأبيض عائداً من كامب دايفيد فسأله أحد الصحفيين : هل ستتحرك عسكرياً؟

فرد بوش بغضب ظاهر : لن أناقش معكم خياراتي .. وكلها مفتوحة .. والعراق كذب للمرة الثانية .. قالوا سوف يتحركون اليوم عائدين .. وليس لدينا أي دليل على نيتهم في الخروج من الكويت .

وكانَ بوش يحركِ أصبع الإبهام وقد ازدادت لهجته سخونة وهو يقول : «إنني أنظر بكل جدية وتصميم لإنهاء هذا العدوان . ولن يستمر .. هذا العدوان لن يستمر ».

قال باول مخاطباً نفسه (أوهووه) : الواضح أن الرئيس قد حدد هجوم هدف جديد .. ليست المسألة درع هجوم على السعودية وإنما « إبطال » العدوان على

الكـويت .. وكان باول مذهولاً .. فلم يستشره أحد .. وهو لم يتحدث إلى بوش منذ اجتماع كامب ديفيد في صباح اليوم السابق .. ولم يعقد اجتماعاً لمجلس الأمن القومي ولا جرت أي مناقشة .. حقيقة أن بوش قال في أول يوم للعدوان أنه سوف يبطله ولكن ها هو يعلنها الآن على الملأ .. فإن منع صدام من التقدم إلى دول أخرى مثل السعودية شيء .. وإبطال غزوه للسعودية والذي حدث بالفعل إنما هو شيء آخر.. في المفهوم العسكري هذا فارق كما الليل والنهار .. فالدفاع عن السعودية ممكن أن يتم بدون قتال .. وشوارزكوف قال لبوش أن المسألة تستغرق من ثمانية إلى ١٢ شهراً حتى تنتهي من بناء قوة في المستوى المطلوب ويمكنها أن تركل صدام حسين خارج الكويت .. وإبطال الغزو ربما هو أصعب عمل عسكري ممكن تصوره .. بينما باول هو الرجل العسكري الأول الذي لم يعط أي فرصة لتقييم الأمور .

وذهل جنرال باول للمسافة التي قطعها بوش في ثلاثة أيام .

ثم يذهب الكتاب في مواضع أخرى من هذا الفصل إلى كشف حقيقة المقصود بالكوماندوز .

ولكن ما المقصود بالكوماندوز ؟

إن المؤلف يجيب على ذلك بقوله :

الكوماندوز هم خمسة يقررون المصير ..بوش رئيس الجمهورية وبيكر وزير الخارجية وتشيني وزير الدفاع وسكوكروفت مستشار الأمن والجنرال كولن باول رئيس هيئة الأركان المشتركة .

في يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٩٠ م دعا الجنرال كولن باول رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة الأمريكية خلفه الاميرال ويليام كراو لتناول الغذاء في مقر البنتاجون.

وكان الجنرال الجديد أصغر رئيس تولى هذا المنصب في تاريخ القوات المسلحة لم يتعد الثالثة والخمسين هذا فضلاً عن أنه كان أول رئيس ملون .

وكان الجنرال ويليام كراو هو الذي رشحه للمنصب قبل اعتزاله الخدمة .

وعلى مائدة الغذاء بدأ باول الحديث مازحاً وقال تمنيت لو لم احتل هذا المنصب ولا إدري لماذا تحذرني .

ولم يرد وكان يعرف عن يقين طموح باول وأنه لا يعني شيئاً مما يقول .

واستطرد الأول قائلاً : عرفت أنك سوف تدلي غداً بشهادة أمام الكونجرس ورد بالإيجاب وكان كراو قد أعلن موافقته على الإدلاء بشهادته كرئيس سابق لهيئة الأركان حول أزمة الخليج وأمام لجنة القوات المسلحة التي كان يرأسها السيناتور سام نان العضو الديمقراطي عن جورجيا .

وكان السيناتور ممن أيدوا بوش في قرار إرسال القوات الأمريكية لكي تحمي السعودية ولكنه عدل عن رأيه وتحول إلى نقد شديد للرئيس حينما أعلن قراره بمضاعفة القوات وأن تتحول إلى قوة هجومية .

وخلال الأربعة أشهر السابقة كانت الولايات المتحدة قد أرسلت ٢٣٠٠٠٠ جندي ومجندة أمريكية إلى الخليج الفارسي تحت اسم عملية «درع الصحراء» وأشرف باول على ذلك الحشد الذي لم يحدث منذ فيتنام ومنذ ثلاثة أسابيع وقف الرئيس ليعلن عزمه على إعداد القوات من الدفاع إلى الهجوم وبناء قوة قادرة على طرد العراق من الكويت بالقوة إذا لم تقبل الانسحاب وآثار القرار جدلاً بالغ العنف في الدوائر السياسية وبدا أن الاجتماع الذي كان يتباهى به الرئيس حول سياسته قد تداعى .

وكان السيناتورسام نان على رأس الحملة وطالب المستر بوش بأن يشرح

المصلحة الجوهرية والحيوية للولايات المتحدة والتي تحتم عليها أن تقوم بتحرير الكويت ثم تساءل عن أسباب العجلة والاندفاع نحو العمل العسكري ولماذا لا تعطي الفرصة الكافية لاجراءات الحصار الاقتصادي التي اتخذتها الأمم المتحدة لأول مرة على هذا النطاق الذي لم يسبق والتي عزلت العراق عن معظم دول العالم وسد أمامه أبواب التبادلوالتجارة .

وكان واضحاً أن باول بريد أن يختبر نوايا الأميرال ويحاول أن يشم فحوى ما سوف يدلي به وسأله حوله ، وقال الأميرال : أنه كان في جولة في أرجاء البلاد وألقى سلسلة من المحاضرات وأيقن خلالها أن الموقف من أزمة الخليج يثير شكوكاً حقيقية بين الناس وأنه واجه أسئلة كثيرة حول تحرير الكويت وإذا ماكان يستحق إعلان حرب، وعن النتائج والخسائر المحتملة .

وقال باول بصوت منخفض : إنني لا أستطيع أن استشف هذا الأمر .

وخلال السنوات الطويلة التي عمل فيها باول تحت قيادته كان يراقبه عن كثب ، وازداد اهتمامه به حينما وقع عليه الاختيار ليكون مستشار الأمن القومي للرئيس ريجان وكان يعرف جيداً بأن باول من الذين يستطيعون أن يقرأوا ما يدور في رأس محدثه وأن يرد عليه في صيغة عامة وجمل ذات أكثر من معنى وبكل ما يفضل سماعه .

ولكنه استطرد وقال أنه يشعر رغم تصريحات بوش التي يعلن فيها أنه لا يريد الحرب إلا أنه يبدو كأنه حريص كل الحرص على أن يدفع بمئات الآلاف من القوات إلى القتال .

كان من بينهم ابنه الكابتن كراو ، وسوف أقول ذلك في شهادتي وأعرف أن الجميع لن يستريحوا إلى ما سوف أعلنه ، ولكنني :

– أعجب لهذا الاندفاع نحو الحرب ، أن الجميع يبدون وكأن صبرهم قد نفذ أو أنهم لا يستطيعون الانتظار وتبدو القوات المسلحة الأمريكية وكأنها دربت على القتال ومواجهة نيران العدو ولكنها لم تتعلم الصبر أو الانتظار ومضى قائلاً : لقد كان الصبر أفضل أسلحتنا في الحرب الباردة وحققنا به أعظم الانتصارات في كل تاريخنا لقد صبرنا أربعين عاماً على الاتحاد السوفيتي وكان جزاء الصبر نجاحاً هائلاً ولماذا لا نطبق هذا الدرس، لماذا لا نفكر على المدى الطويل ؟ واستمر يقول :

إن الحرب في الشرق الأوسط سوف تعني آلاف الضحايا من العرب ، ومهما كان نبل القضية التي نحارب من أجلها ، فإنها سوف تزرع في نفوسهم عداء مريراً لن يمحى لمدى طويل وسوف ندفع كل مكانتنا ومصالحنا أجيالاً بعيدة إلى الوراء ، هذا فضلاً عن الضحايا الأميركيين الذين سوف يسقطون فلماذا نتعجل الحرب ، إنها دائماً قذرة وغير مأمونة وكان باول يهز رأسه بغير أن يبدو عليه الموافقة أو الاعتراض .

وأدرك كراو أن باول يحاول استدراجه لكي يفض بكل ما عنده ولكي يجد فيه شيئاً يمسكه عليه ولهذا توقف وتحول ليرد له الكرة وسأله أين يقف ديك تشيني من كل هذا وكان ديك تشيني وزير الدفاع والرئيس المباشر لباول ورد « إنه يحيرني لا أعرف وتساءل كراو مستغرباً ماذا تعني ؟

وقال باول : كما نعرف أنه يجيد إخفاء أوراقه .

وتذكر كراو أنه عمل خلال الستة شهور الأخيرة من مدة خدمته تحت رئاسة تشيني الذي كان قد بدأ الستة شهور الأولى من عمله وإنه ضاق بالعمل معه وبإصراره على الصمت والكتمان ، كان يعود من اجتماعات البيت الأبيض وحينما يسأل يصمت أو يصرح بشيء ليس له أهمية فضلاً عن أنه كان لشيء ذي أهمية يحضر اجتماعات خاصة خارج اجتماعات مجلس الأمن القومي مع بوش ولا يخبره بما دار فيها !

واستنكر كراو ، كيف يمكن أن يكون رئيس هيئة أركان القوات المسلحة جاهلاً بموقف وزير الدفاع وحول أهم قرار سياسي عسكري في حياة البلاد الآن ، وربما ولعدة حقب قادمة .

ونظر كراو إلى باول وسأله :

- وأنت أين تقف وما رأيك فيما يجري ؟

فأجاب :

- أنا كنت أحبذ سياسة الاحتواء ولكن لم يتقبلها أحد هنا ، وأشار بأصابعه إلى النافذة .

وتتالت الذكريات على كراو .

كانت الأوامر والقرارات السياسية ترد دائماً من هناك ، والتنفيذ بلا اعتراض واستغرق لحظات وقال :

« الاحتواء بالمعنى العسكري الدقيق والمحدد هو الصمود في وجه الخصم بحيث لا يستطيع أن يتقدم خطوة واحدة وحتى تنهار قواه ويستسلم وفي الوقت الحالي لابد وأن تعني أحكام الحصار الاقتصادي والضغط السياسي والدبلوماسي على صدام حسين حتى يرغم على الإنسحاب وبدون حرب أو هجوم » .

ولكن هذا أمر مختلف عن قرار بوش بمضاعفة القوات لكي تتحول من الدفاع إلى الهجوم ، وأن تكون مستعدة للاختيار العسكري .

ورد باول أنه حاول ما استطاع أن يحد من الاندفاع وأن يبرد من الحماس ولكنه لم ينجح .

ولم يشأ كراو أن يسأل باول سؤالاً ، هل ناقش الأمر مناقشة مستفيضة مع

الرئيس والذي يتباهى كل يوم بأن حكومته متكاملة متناسقة تشق طريقها في وحدة نموذجية .

ولم يسأله إذا ما كان الخلاف بينه وبين بوش يثير في نفسه أي قلق أو أزمة شخصية .

ووفق القانون كان رئيس الأركان هو المستشار الأول لرئيس الجمهورية ولوزير الدفاع ولمجلس الأمن القومي .

وكان عليه حينما يقدم نصيحة بما يراه مناسباً أن يصر عليها وأن يستنفذ كل الطرق لشرحها ومحاولة إقرارها .

وخلال مدة عمل كراو كان يرى أن على رئيس الأركان خاصة في القضايا المصيرية أن يصارح رئيس الجمهورية بأمانة وتفصيل برأيه وأنه الرأي السليم الذي تمليه المصالح العليا وتساءل كراو وهو يتأمل باول: ترى هل صارح بوش بأنه يحبذ الاحتواء وسأل نفسه أيضاً ، هل كان بوش يتسامح مع رئيس أركان يختلف معه اختلافاً سياسياً ، وتذكر إنه خلال التسعة أشهر التي عمل فيها مع بوش كان يذهل للهوس المستبد حول ضرورة الإجماع وإن لا يشذ أحد عن رأي الرئيس وأن معيار الرئيس هو الولاء للرئيس والموافقة على كل ما يريده .

كان كراو يؤمن أن مهمة رئيس الأركان لا يمكن أن تقتصر على مجرد تقديم المشورة والنصيحة ، يجب أن لا تقتصر على الشئون العسكرية لأنها سوف تكون عقيمة خاصة في البيت الأبيض وسوف يتسابق الذين لا يتفقون مع الرأي في أن يهمسوا للرئيس بأن هذه رؤية عسكرية محدودة ضيقة الأفق ، ولهذا لابد لرئيس الأركان أن يكون مطلعاً وأن يتطرق إلى المغزى السياسي والدبلوماسي والاقتصادي لتوصياته ويبقى على رئيس الأركان في نهاية الأمر أن يختار أن تقبل مشورته أو أن

يرفضها ولا يبقى لرئيس الأركان سوى أن يقدم استقالته ، إلا إذا فضل أن يبقى وينفذ قرار لا يؤمن بسلامته .

وخلال عمل كراو مع بوش وريجان لاحظ أن هناك أسلوباً مبتكراً يلجأ إليه بعض الوزراء ويطلقون عليه «الطريق الوسط» وذلك أن يطرحوا عدة نصائح وتوصيات ويطلبون مناقشتها مناقشة وافية ، ويدور الحوار وغالباً ما كان ينتهي إلى شيء وكان كراو يرى أن ذلك مجرد تخلص من المسئولية ومن الحرج لأن على مستشاري الرئيس خاصة المستشار العسكري أن يحمل رأسه على كفه وأن يقامر بمكانته وأن يعلن أن هذا هو رأيه الذي يجب أن يؤخذ به في حدود اختصاصه .

وكان يرى بالطبع أن هذا مطلب صعب وشاق ،لكن لماذا يتقاضى أصحاب المرتبات مرتباتهم أليس ذلك من أجل المصلحة العلياولم يتأكد كراو مما فعله «باول» وبدا له أن هذا ليس المكان أو الوقت الملائم لتوجيه السؤال ولكن كان شديد التعاطف مع باول ويعلق عليه آمالاً ولهذا قرر أن يطمئن إلى أنه سلك السلوك الصحيح وقال كراو لكي يخفف الجو قبل أن يسأل :

كان رأيي دائماً واظنك لا تختلف معي في أن كل رئيس جمهورية يعتقد أنه لابد له من انجازين لكي يدخل بهما التاريخ وأن يصبح رئيساً عظيماً ، ولابد أن تعرفهما ربما فقط :تصبح رئيساً في يوم من الأيام .

وضحك باول وقال : لا ، لا ، لا ، وكان الموضوع قد أثير في بعض الصحف واستمر كراو قائلاً :على أي حال لابد أن تعرفهما وأنه لكي تكون رئيساً عظيماً لابد لك من حرب وإذا استعرضت تاريخ كل رؤسائنا العظام وجدت أن كل منهم قد خاض حربه وضحك باول وقال «صحيح» .

وقال كراو ، ولكن ليس أي حرب ، لابد وأن تكون حرب لا تبدأها ولكن تصدها وتكون الطرف المعتدي عليه وليس المهاجم .

وانتهى الحوار وودع كل منهما الآخر وبدا باول وقد اطمئن إلى أن شهادة كراو في اليوم التالي أمام لجنة شئون القوات المسلحة لن تكون لطمة للحكومة ولكن مجرد لكمة غير موجعة كان الحوار مع كراو مفيداً ولكنة ظل «تجريدياً» كما عرف دائماً عن «كراو» وقد ترك له هيئة أركان تعمل .

كمركز أبحاث وكتيبة مفكرين يستغرقون في الجدل وإعداد أوراق عمل تثير حوارا يدورحول نفسه ولاينتهي وكان أول ما فعله باول أن أعاد تنظيمها وتكوينها لتكون كتيبة فعل وعمل وكان «باول» قد استقر منذ حين على أن يكف عن الدفاع عن استراتيجية الاحتواء بل وأن لا يفكر فيها وقد صدرت له الأوامر واضحة صريحة وأصبح عليه أن ينفذ وأن يصب كل جهده على بناء القوة الهجومية وعلى أقصى حد من الكفاءة كان يرى أنه فعل كل ما استطاع للإقناع «باستراتيجيته» ولكن لم يقنع أحداً ، ولم يعد له سوى أن ينهمك في أداء واجبه .

وكان باول في الشهر الماضي قد أعد «ورقة» ضمنها كل الحجج والذرائع واستبدل منها اصطلاح «الاحتواء» باصطلاح أقوى هو «الخنق» وقال أن قرارات الأمم المتحدة باحكام الحصار حول صدام تستطيع أن تخيفه وأن تعصره بل وأن تطحنه طحناً ، وحمل «باول» ما كتبه وذهب به إلى تشيني أولاً ثم إلى سكوكروفت مستشار الأمن القومي ، ثم إلى بيكر وزير الخارجية .

واستدعاه تشيني بعدها بأيام قليلة وقال له : « لماذا لا تصحبني ونذهب لنعرف رأي الرجل في استراتيجيتك .

واصطحبه إلى البيت الأبيض وسار به نحو الغرفة البيضاوية، كان باول لا يحب تلك الغرفة ويفضل غرفة «المواقف» حيث يكون الرئيس «رسمياً» والجميع في حالة استنفار وإزاء موقف عصيب ،وعلى العكس ففي الغرفة البيضاوية يكون الجميع مسترخين يفكرون أكثر في عطلة الأسبوع ويتقاذفون الكرة وأرجلهم على المناضد .

وأعطيت الكلمة لباول ، ومنذ اللحظة الأولى أحس أن هذا ليس المكان و الزمان الملائم وأنه لن يكون موفقاً ولكنه بدا، أمام الرئيس طريقان لإرغام صدام حسين على الإنسحاب أحدهما إعداد قوة هجومية قادرة على ذلك عسكرياً والثاني ، هو خنقه اقتصادياً وربما يأخذ ذلك وقتاً أطول ولكن كلا الطريقين يؤدي إلى نفس النتيجة وإلى نجاح محقق .

وقال أيضاً "الاحتواء" لن يكلف ما سوف تكلفه الحرب . وسوف يسحق صدام حسين واستمر في الشرح كمحام يدافع عن قضية يؤمن بعدالتها ولكنه حرص على أن يقف عند هذا الحد الذي توقعه كراو ولم يصر على أن الاحتواء هو الاستراتيجية الأفضل والتي يؤمن بها والتي لا يرى لها بديلاً والتي يجب أن تطبق ، وعرض كلا الطريقين عرضاً محايداً أو أنه كان يميل إلى الاحتواء إلا أنه لا يرفض الطريق الآخر إذا ما أجمع الرأي ( وبدأت الملاحظات وألقى بيكر وسكاكروفت وتشيني بعض الأسئلة العابرة ولكن أحداً منهم سواء الرئيس أو وزرائه لم يبد عليهم شيء وكان باول يعتقد أنه لو وجد تأييداً لدى واحد منهم فقط سوف يمضي خطوة بعد خطوة أبعد في التأكيد على رأيه ولكن لم يحدث) وفي النهاية اتجه باول إلى بوش وقال : سيدي الرئيس ، إلى أين تريد أن تذهب ؟ إن كل يوم يمضي يحمل مسئوليات وأعباء أكثر وهناك قوات ضخمة تنتظر القرار لكي تعرف أين تذهب ؟ .

ورد بوش بهدوء : إنني أعتقد أنه لم يعد هناك من الناحية السياسية وقت يسمح باستراتيجيتك . وكان رداً حاسماً .

وخرج باول معتقداً أنه أبرأ ذمته وأرضى ضميره وعرض رأيه بأمانة ولكن لم يكن هناك ما يستطيع أن يفعله ، ولم يبق له كرجل عسكري سوى تنفيذ الأوامر .

وفي مفتتح الباب الأول من البابين اللذين يشملهما كتابنا يلقى المؤلف لمحات

ضوء على رئيس الأركان في الجيش الأميركي الجنرال باول .. والذي عمل في مجلس الأمن القومي في عهد الرئيس السابق ريجان ثم قرر أن يعود إلى صفوف القوات المسلحة في عهد الرئيس الحالي بوش تطلعاً إلى المنصب الخطير الذي ما لبث أن تولاه في رئاسة الأركان . أما الرجل الثاني فهو من أخطر ممارسي لعبة السياسة حالياً في البيت الأبيض وهو مستشار الرئيس بوش للأمن القومي جنرال الجو «برنت سكاكروفت» انعزالي وانطوائي لكنه كان طليق اللسان في انتقاد الرئيس السابق ريجان الذي اتهمه سكاكروفت بأنه حول السياسة الأميركية تجاه الاتحاد السوفياتي إلى ملهاة ساذجة ولعبة حمقاء ، ثم مالبث ريجان أن استدار كالأعمى كي يعانق جورباتشوف ويكيل له صنوف المديح ، وكان هذا برأي «سكاكروفت» تخبطاً في صنع وإدارة السياسة الخارجية ، ناهيك - يقول «سكاكروفت» أيضاً - عن برنامج «حرب النجوم» الذي كان من خرافات ريجان ، وعن اقتراح ريجان «الجنوني» بإزالة جميع االصواريخ التسيارية التي يملكها الطرفان في موسكو وواشنطن على السواء .

إن «سكاكروفت» يرى - بكلمات المؤلف - أن فريق الأمن القومي الذي كان يعمل مع ريجان فشل في التعويض عن قصور رئيسه وأوهامه الرومانسية التي كان يتعامل بها في مضمار الشؤون الخارجية ، لهذا كان تولي سكاكروفت منصب المستشار الأول للرئيس بوش إشارة إلى أن بوش يريد أن يرسم طريقاً جديداً في سياسة الدفاع والشئون الدولية معاً .

وبالنسبة للموقف من الاتحاد السوفياتي يشير المؤلف إلى أن بوش لم يقع في غرام الكراملين ولا أغرق زعماءه بكيل المديح إن المؤلف يتتبع بالتوثيق اللقاء المشهود االذي ضم الزعيم جورباتشوف مع الرئيس ريجان (ونائبه) بوش .

يومها تحدث جورباتشوف ليكسب مستمعيه، عن إعادة البناء «البروسترويكا» وعن سياسة المصارحة والعلانية والوضوح «جلاسنوست» . وكان واضحاً أن ريجان

بدا سعيداً للغاية .. وعندما اتجه جورباتشوف إلى بوش قائلاً أن المهم هو ضمان الاستمرارية في تحسن العلاقات بين الطرفين .. بدأ «بوش» ساعتها صلباً أو جامداً بغير كثير من الحماس ، لماذا؟ إن المؤلف يشير إلى أن بوش رجل عملي لا تهمه الشعارات المرفوعة فوق أسوار الكرملين أو أقبابه الذهبية ، وإنما تهمه مصالح أميركا – الاقتصادية على وجه التحديد . لهذا قطع بوش سيل العواطف وتدفق الأحاديث السياسية ليسأل جورباتشوف سؤالاً مباشراً ومباغتاً في آن واحد :

– مستر جورباتشوف ، ما هو الضمان الذي تعطيه لي لكي أقدمه بدوري إلى رجال الأعمال الأميركان الذين يريدون الاستثمار في الاتحاد السوفياتي – أقصد ضمان نجاح البيروسترويكا .. والجلاسنوست ؟!

ساعتها يذكر المراقبون الوثيقي الصلة بكواليس هذا اللقاء أن الزعيم السوفياتي اعتراه قدر من الارتباك الملحوظ .

ويبدو أن جورج بوش قد دقق في اختيار وزير دفاعه ديك تشيني ليكون رجلاً عملياً على شاكلته ويفهم عليه « ما يقولون .. صحيح أن تشيني رجل مدني حاصل على الليسانس والماجستير في العلوم السياسة ، وكان مسجلاً للدكتوراه في جامعة ويسكونسون (زوجته حصلت من تلك الجامعة على دكتوراه في الأدب الإنجليزي ) – إلا أن«ديك» كان يدرك بحق تبعات المنصب الخطير الذي اختير لكي يتولاه .. في هذا المجال يقول مؤلف كتابنا :

– عندما قبل « ديك تشيني » المنصب الوزاري كان يدرك أنه ينطوي على احتمال استخدام القوة (المسلحة) وإرسال الرجال إلى ساحة الوغي ليموتوا ، وعندما وصل إلى مكتبه بالمبني الثماني الأضلاع – البنتاجون- كان أول ما فعله هو إصدار أمر بموافاته بالتقارير السرية المكتوبة بعد الانتهاء من العمليات المسلحة التي تمت في السابق ، وعن أهم الميادين التي استخدمت فيها القوات الأميركية منذ فيتنام .

ثم أخذ تشيني يقرأ ويراجع مذكراته ويحتكم إلى خبراته المباشرة في هذا الصدد لقد عمل عن قرب في البيت الأبيض في إدارة الرئيس الأسبق فورد ، وعايش فترة الانسحاب من فيتنام وفترات المواجهة الساخنة مع كوريا الشمالية ، ولذلك كان لديه معلومات طازجة موثقة ومباشرة عن اتجاهات الناس المتربعين على القمة إزاء تلك الأحداث – الرئيس ، مستشار الأمن القومي، وزير الدفاع – كانوا يسيئون التصرف عندما يتدخلون بغير ضرورة في العمليات العسكرية فيشيع الخلط والتضارب والارتباك.

نفس الاتجاه استشفه ديك تشيني وهو يقرأ الوجود العسكري الأميركي في بيروت ١٩٨٣م وحوادث غزو جرانادا .

هنالك استقر ديك عند أولى خطوات العلاج :

– قرر – كما يقول مؤلفنا – أن لا يكون هناك سوى سلسلة واضحة محددة من المستويات القيادية تكون قصيرة قدر الإمكان على أن لا يكون هناك أي تدخل من القمة أو فليترك الخبز لخبازيه – كما يقولون .

لم يكن معنى هذا – يضيف مؤلف كتابنا – أن يتباعد وزير الدفاع – المدني – عن التعاطي مع أمور العسكريين ، لقد بادر إلى استدعاء الجنرال «باول» رئيس الأركان ، وشرع يستفهم منه كما يؤكد «باول» نفسه عن كل صغيرة وكبيرة حتى مستوى الفصيلة ومستوى التشكيل .

وكان الاختيار الأول هو عملية بنما التي أفضت إلى اعتقال ديكتاتورها السابق تاجر المخدرات «نوريجا» وكان اختباراً ناجحاً ..

بعدها تصور الجنرال «باول» أن من حقه أن يخلد إلى بعض الراحة وشيء من التأمل أو إلى « ايقاع من السلام » .

## (٢)

كانت عملية بنما هي الأكبر من نوعها منذ حرب فيتنام – ولذلك تصور – «باول» وربما تصور غيره أن عليهم أن يعودوا للتفكير والتركيز حول واجبات مرحلة ما بعد الحرب الباردة .. وشرع يختلف إلى مكتبه ويجتمع إلى مساعديه ومحور تفكيرهم هو كيفية التغيير للتوائم مع الحقبة الجديدة في الساحة الدولية ، من عادة «باول» أن يثق في قدرته على الحدس وفي حاسته السادسة بل وفي غرائزه الفطرية .

ولكن من عادته أيضاً أن يلقي نظره كل صباح على «خريطته السلوكية» ذات الثلاثة عشر بنداً ، واللتي يحرص رئيس الأركان الأميركي على أن يريها لزواره المهمين في مكتبه حيث يضعها تحت زجاج الطاولة والمباديء الثلاثة عشر تجرى على التنسيق التالي :

(١) ليس الأمر على ما تتصوره من سوء .. غداً يوم أفضل .

(٢) أطلق العنان لجنونك .. ثم تغلب عليه !

(٣) لا تربط تماماً بين ذاتك ومنصبك .. ولو فقدت المنصب .. لضاعت منك نفسك .

(٤) كل الصعاب تهون .

(٥) دقق فيما تختار .. فربما يكون من نصيبك يوماً .

(٦) لا تدع الحقائق المعاكسة تقف في طريق القرار الصائب

(٧) إذا لم تستطع الاختيار نيابة عن الآخرين ، فلا تدع الآخرون يختارون نيابة عنك .

(٨) دقق في التفاصيل .

(٩) تقاسم الثناء عليك مع الآخرين .

(١٠) عليك دوماً برباطة الجأش .. ولكن رحيماً .

(١١)عليك الاحتفاظ برؤية خاصة بك ولا تكف عن السعي على ضوئها.

(١٢) لا تصغ إلى مخاوفك ولا تسمح لمثبطي الهمم .

(١٣) التفاؤل الدائم هو القوة الدافعة المتزايدة باستمرار.

ثمة شخصية غريبة مرموقة تطالعنا منذ بداية الأحداث هو الأمير بندر بن سلطان السفير السعودي في واشنطن - ٤١ سنة - (وهو) يتمتع بمركز فريد للغاية في واشنطن ، إن معظم السفراء يقضون أوقاتهم في الاحتفالات وفي محاولة التواصل مع الذين يقعون على حواف السلطة (في العاصمة الأميركية) لكن «بندر» استطاع أن يعقد صداقات طويلة مع رجال من طراز بوش وبيكر وشيني وسكاكروفت وباول ، بحيث

أصبحت صلاته معهم مباشرة وسالكه مما أعطى للسعودية قناة اتصال تفضي إلى الدائرة العليا في الحكومة الأميركية.

أما الأمير «بندر» فقد أصر على التعامل مع القمة وأنشأ علاقات مع القابعين على مستواها ومع عشرات آخرين يحتمل أن يرتقوها في يوم من الأيام : أن هناك علاقة حميمة تربط بين السفير السعودي وواشنطن وبين الرئيس جورج بوش ، وعلى وجه التحديديعود ذلك إلى حصافة ممثل الرياض عندما وضع عينيه على نائب الرئيس ريجان وأقام معه صلة من الصداقة العميقة والحميمة بينما كانوا يتهمونه (أي بوش) في دوائر العاصمة الأميركية بأنه «مجرد ظل» لرئيسه ريجان لا أكثر ولا أقل .

– خلال ولاية ريجان الأولى كان بوش وبندر يتناولان الغداء معاً عدة مرات في السنة . وكان بندر مقتنعاً بأن «بوش» يتمتع برؤية متوازنة عن الشرق الأوسط ، وإنه لم يكن مرتبط بمصالح إسرائيل عاطفياً ولا قطعياً .

ويبدو أن مفتاح العلاقة الطيبة يكمن في أن بندر قد أخذ بوش على محمل الجدية حين كان بوش ينظر إليه بإهمال على أنه الرجل الضعيف رقم ٢ بعد رونالد ريجان .

كانا يذهبان للصيد سوياً وكانا يتشاركان في هوايات الطيران وساعد على ذلك أن الأمير بندر كان يتكلم « إنجليزية كاملة الأوصاف لا تشوبها أي شائبة » .

في بدايات ابريل ١٩٩٠ تلقى السفير السعودي مكالمة هاتفية من حكومته تحيطه علماً بأن الرئيس العراقي صدام حسين طلب من الرياض أن توافيه بصفة عاجلة بمبعوث من طرفها يصلح واسطة بينه وبين أميركا . وكان السفير السعودي في واشنطن مرشحاً لهذه المهمة .

وفي ٥ ابريل ١٩٩٠م كانت طائرة السفير السعودي تحط في مطار بغداد وبعدها قابل صدام حسين الذي قال أنه طلب هذه المقابلة لأن المسؤولين في الولايات المتحدة بالغوا بشدة في رد فعلهم إزاء خطاب ألقاه صدام في أول ابريل وهدد فيه بقصف إسرائيل إذا ما حاولت أن تقدم على عمل ضد العراق ، وألح إلى إمكانية إقدام بغداد على استخدام الأسلحة الكيميائية .

يومها وصفت الخارجية الأميركية هذا الخطاب الصدامي بأنه « تحريضي وغير مسؤول ومهين » وفي نفس اليوم قال الرئيس بوش : «أن ليس هذا وقت للحديث عن استخدام الأسلحة الكيميائية أو البيولوجية أو تصعيد التوتر في الشرق الأوسط .

وفي مقابلة بغداد – ٥ ابريل ١٩٩٠ م أبلغ صدام ضيفه السفير السعودي بأن «كلماته قد اسيء فهمها فأصبحت تعني أنه – صدام – ينوي توجيه ضربة هجومية ضد إسرائيل . ثم اعترف أمام بندر بأنه كان يود لو جاء خطاباً مختلفاً عما حدث لقد كان الخطاب موجها إلى أفراد القوات المسلحة في حفل عام وسط مشاعر ملتهبة وبين تصفيق وهتاف الجماهير.

بعد ذلك تطرق صدام حسين في هذا الاجتماع إلى شرح نواياه تجاه إسرائيل قائلاً : « لو هاجمتني إسرائيل فلن أصمد أكثر من ست ساعات وعندما هاجمتني أول

مرة عام ١٩٨١م كان بوسعي أن أقول إنني كنت في حرب مع إيران لكن لو هوجمت الآن فلن يفهم الناس لماذا يحدث هذا .

أخيراً جاء فحوى رسالة صدام إلى بوش .

قال صدام :

« أريد أن اؤكد للرئيس بوش إنني لن أهاجم إسرائيل - هكذا أكد صدام قائلاً أن الأميريكيين سيتعين عليهم في المقابل أن يتصلوا بإسرائيل لكي يؤكدوا انها لن تهاجم العراق .

- أرجوكم أن تبلغوا الرئيس بوش إنني لن أهاجم إسرائيل طالما لن تهاجمني .

- هكذا قال صدام في اجتماعه مع السفير الوسيط القادم على متن طائرة خاصة من واشنطن إلى بغداد وكان ذلك يوم ٥ ابريل ١٩٩٠ .

في هذه اللحظة في ذلك الاجتماع استمر الحوار بين السفير - الوسيط وبين الرئيس العراقي .

فخامة الرئيس هل تريد ، أن تذكر حديثك من ناحيتنا بوصفه ملاحظتنا التي نبلغها إلى الرئيس بوش ؟

« أنا اريدها رسالة مني إلى الرئيس بوش»

-إذن فسوف أحمل هذه الرسالة لدى عودتي إلى الولايات المتحدة.

ثم يستمر المؤلف في عرض وقائع هذا اللقاء الهام على النحو التالي :

سادت فترة صمت بعد ذلك انطلق الرئيس العراقي بغير تمهيد إلى الإشارة لما أسماه «المؤامرة أو المخطط الاستعماري - الصهيوني» وقال صدام :

- علينا أن نكون حذرين للغاية من هذه المؤامرة لأن القوى الإمبريالية - الصهيونية تؤكد على هذه النظرية التي تدعي بأن لي أطماعاً أو مخططات عند جيراني وهذا ليس صحيحاً .. فأنا لا أضمر أية أطماع في جيراني .

ولم يحدد صدام من هم هؤلاء الجيران .. ولكن محدثه السفير - الأمير بندر قال :

« فخامة الرئيس إن اخوتك وجيرانك لا يساورهم شكوك فيك ، وإذا كنت تقول لي الآن أنه ليس لديك أية مخططات أو مشاريع ، فليس هناك من سبب لأن يقلق كلانا على ذلك .

وغادر الأمير بندر بغداد بعد أربع ساعات وأعد مذكرة من ١٨ صفحة ليحتفظ بها ضمن أورقه . الخاصة ، ومسجلاً فيها حواره مع صدام حسين وجاءته تعليمات من الرياض أن يفيد من علاقاته الشخصية مع المستويات العليا في واشنطن لكي يبلغ الرسالة (الصدامية) مباشرة - تكرر مباشرة - إلى الرئيس بوش .. وكانت التعليمات تقضي بعبارة محورية واحدة .

وبعد ٤ أيام لا تزيد توجه بندر إلى المكتب البيضاوي في البيت الأبيض للاجتماع مع الرئيس بوش ويبلغ رسالة مباشرة من الرئيس العراقي إلى الرئيس الأميركي مضمونها كالتالي :

« صدام يقول إنه سوف يرد إذا هاجمته إسرائل ولكنه لن يكون البادىء بشن هجوم على إسرائيل » ، ساعتها بدا على بوش الاستغراب وقال :

« حسناً إذا لم يكن ينوي ذلك ، فلماذا بحق السماء يتعيين عليه أن يعلن ما أعلنه ؟

وهنا جرى التذكير بواقعة الهجوم الإسرائيلي على المفاعل الذري العراقي عام ١٩٨١ م وأن صدام يتشكك في أن ثمة مؤامرة تحاك ضده ، وقال بوش أنه ليس هناك مؤامرة ضد صدام ، بل أن سلوكه هو الذي يقلق الآخرين .

بعد يومين من لقاء البيت الأبيض توجه السفير العراقي في واشنطن الدكتور محمد المشاط إلى وزارة الخارجية الأميركية عما إذا كان هناك رد من الرئيس بوش.. ذلك لأن الرئيس العراقي بعد أن أعطى تأكيداته بأن لن يهاجم إسرائيل فإنه يريد تأكيدات صريحة من بوش أن إسرائيل لن تضرب العراق .

ودارت اتصالات جديدة ، وبعدها ذكر االرئيس بوش القول التالي « أنا لا أريد من أحد أن يهاجم أحداً أريد أن يخلد الجميع إلى الاستقرار في المنطقة وفي غيرها .. ولسوف أتكلم مع الإسرائيليين وأعود منهم بخبر ، لكن على الجميع أن يتمسكوا بالهدوء».

على أن الرئيس بوش عاود اعرابه عن حيرته إزاء سلوك صدام قائلاً : إذا كان هذا الرجل لم يكن يعني حقيقة ما يقول (يقصد تهديده المعلن بضرب إسرائيل ) فلماذا يذهب هنا وهناك ليقوله ؟

بعد ذلك اتصل البيت الأبيض بالإسرائيليين الذين قالوا أنه إذا لم يبادر العراق إلى توجيه شيء ضدهم فلن تبادر إسرائيل الى توجيه أي شيء ضد العراق . ومن ثم قامت الولايات المتحدة بتمرير التأكيد الإسرائيلي مباشرة إلى صدام .

ومضت ثلاثة أشهر إلى أن جاء يوم ١٦ يوليه ١٩٩٠ م في مكتب الطابق الثاني من البنتاجون - بالأدق في إحدى أهم دوائر وزارة الدفاع الأميركية وجلس رجل حسن الهندام يميل إلى الصلع وإلى الامتلاء معاً كانت مهمته الاتصال مع

نظرائه في وكالة المخابرات الأميركية المركزية بواسطة غاية من التليفونات الحمراء والخضراء التي تحمل شعارات سري للغاية ، كان هذا الرجل - الكولونيل المتقاعد "والتريات لانج" هو مسؤول الاستخبارات العسكرية لمنطقة الشرق الأوسط وجنوب آسيا ، وكان مؤهلاً لهذه المهمة الأخيرة بحكم خبرته الطويلة ، فهو يتكلم العربية بطلاقة وزار العراق عدة مرات وعمل ملحقاً عسكرياً لبلاده في الرياض . في ذلك الصباح ١٦ يوليه ١٩٩٠م كان الكولونيل لانج يتأمل أحدث الصور الملتقطة بالأقمار الصناعية لمنطقة الشرق الأوسط .. وعندما أمعن النظر مستخدماً حاسته العسكرية السادسة ، وكما قد نقول استرعى اهتمامه شيء غريب .

ففي اليوم السابق كانت هناك صحراء خالية في جنوب شرق العراق ، شمال الكويت أما اليوم فهناك علامات طلائع فيلق دبابات عراقية من طراز ت ٠ ٧٢ ، وهي أقوى الدبابات التي تسلمها العراق من الاتحاد السوفياتي. الصور أيضاً أوضحت جميع أنواع الاعتدة والمعدات التي كان يجري تحميلها على قصبات حديدية - معدات لا يمكن أن يمتلكها سوى الحرس الجمهوري المكون من صفوة الوحدات التي يملكها الرئيس (العراقي)صدام حسين ، وهذه الوحدات توجد أساساً لحماية النظام في العاصمة العراقية وعادة ما ترابط على مقربه منها في العراق الأوسط ، فلماذا تم تحريك الدبابات بعيداً مئات الأميال ، كانت الصور من الوضوح لدرجة أن استطاع لانج أن يتعرف على رتب الجنود والضباط ويعرف إنها من فرقة حمورابي المسماه تيمناً بالملك البابلي القديم الذي تنسب إليه أولى شرعة قانونية في التاريخ . وكان لانج يعرف أنه لاتوجد في كل العراق فرقة عسكرية تفوق فرقة حمورابي .

كان هذا أول ملمح إلتقطه مسؤول البنتاجون عن تحركات جيوش صدام في اتجاه الكويت ، بعدها عقدت لقاءات وتمت تبليغات وأجريت تقديرات مختلفة للمواقف ، مع ذلك كان الموقف لا يزال محيراً لكن مع تزايد عدد القوات لتصل إلى ٣٥ألف

جندي وثلاث فرق على بعد ، أو بالأدق على قرب يتراوح بين ١٠ أميال و٣٠ ميلاً من الكـويت – فإن مسؤولي دائرة الاستخبارات والأمن القومي في الولايات المتحدة مالبثوا أن استرجعوا محتويات وتقديرات تقرير معين سبق صدوره .

وفي خريف ١٩٨٩ ، صدر تقرير سري للموقف أعدته دوائر الاستخبارات والمعلومات السرية في الولايات المتحدة ، وتوصل التقرير إلى أنه مع التسليم بأن صدام حسين يرغب في السيطرة على منطقة الخليج ، إلا أنه من المستبعد أن يلجأ إلى استخدام قواته العسكرية لتحقيق ذلك لأن حرب الثماني سنوات التي خاضها (مع إيران ) أنهكت اقتصاد بلاده إلى حد بعيد .

وعندما عرضت التقارير الجديدة عن تحركات القوات العراقية على رئيس الأركان الجنرال باول وصفها بأنها «مقلقة لكنها ليست خطرة» بل ووصفها كبار المحللين الأميريكيين في رئاسة الأركان كأنها تبدو وكأن حاكم العراق يستخدم نشر القوات كورقة ضغط وتهديد خلال المفاوضات الجارية (مع الكويت) بشأن البترول ورجح الجميع أن العراق قد يستولى على حقل واحد من حقول نفط الكويت أو يستولى على الجزيرتين الصغيرتين اللذين يطمع في الحصول عليهما في مدخل الخليج .

ثم كان هناك عامل سياسي أيضاً ففي بداية شهر يوليو كان رئيس الأركان الأميركي قد زار في جولة استمرت ستة أيام كلا من المغرب ومصر والأردن حيث استبعد جميع رؤساء وكبار مسئوليها احتمال اندلاع حرب في الشرق الأوسط في المستقبل القريب .. وعاد «باول» مطمئناً إلى استمرار الاستقرار في المنطقة .

مع ذلك لم يكن الجنرال باول ليقصر كعسكري في اتخاذ كل أسباب الاحتياطات .

دق الجرس وطلب من سكرتيره أن يستدعي أمر القيادة الأميركية المركزية المسؤول عن منطقة الشرق الأوسط وجنوبي شرقي آسيا ، وجاء الجنرال نورمان شوارزكوف (٥٥ سنة) ، وهو جندي متمرس وعلى دراية سابقة بمنطقة الشرق الأوسط حيث أمضى سنتين من صباه الأول في طهران ، وعندما طلب منه تقديره للموقف قال الجنرال شوارزكوف : إن الأمر يبدو وكأن العراق يتهيأ لشن ضربة عقابية ولكن محدودة داخل الكويت لكن باول طلب من شوارزكوف إعداد خطة مزدوجة من شقين استعداداً للرد من جانب الولايات المتحدة على أي تحرك عراقي ضد الكويت التي تحوي ١٠ في المائة من احتياطات البترول في العالم .. الشق الأول حول ما تستطيع أن تفعله قوات الولايات المتحدة للرد الإنتقامي على العراق ، والشق الثاني حول ما يمكن ان تتخذه الولايات المتحدة دفاعياً لوقف أي تحرك عراقي ، وفي نفس اليوم سئل تشيني وزير الدفاع عن موقف أميركا إزاء تهديدات العراق للكويت ونزاع البلدين حول موضوع النفط فقال :

في الحقيقة سوف يأخذ بكل جدية أي تهديد لصالح الولايات المتحدة أو أصدقاء الولايات المتحدة في المنطقة .

كان مكتبه في الطابق الثاني من وزارة الدفاع - في البنتاجون ظل المحلل العسكري لانج يتابع - من خلال صور الأقمار الصناعية - تحركات القوات العراقية نحو الكويت الشقيقة ، حيث كان كل يوم يشهد تحريك فرقة صدامية جديدة ، وفي مدة ١١ يوماً تم تعبئة ١١ فرقة تحركت كل منها ٣٠٠ - ٤٠٠ ميل وحملت الدبابات على متن شاحنات ثقيلة عملاقة لتحمي جنازيرها الرقيقة لاستخدامها في ساحة المعركة ، ومن ثم بلغ مجموع ما حركه صدام على الحدود ١٠٠ ألف جندي ، وكان تحريك هذا العدد من الأفراد والقوات في هذا الوقت القصير يشكل في حدا ذاته إنجازاً عسكرياً لأي دولة .

في بغداد – يوم ٢٥ يوليه أبلغوا السفيرة الأميركية «ابريل جلاسبي» أنها ستقابل «السيد الرئيس» بعد ساعة واحدة ، وعندما وصلت السفيرة خلال الستين دقيقة المتاحة إلى مكتب صدام حسين لم يكن أمامها وقت لتطلب تعليمات من وزارة خارجيتها في هذا الخصوص وجلاسبي(٤٨ سنة) السفيرة منذ عام ١٩٨٨م كانت تراودها الشكوك في صدام حسين ، وادعت لزملائها أنها لا تود أن تبقي «الوغد» في حجمه وفي مكانه.

ومن وقائع المحضر الذي نشره العراقيون – والذي قالت السفيرة أنه لم ينشر سوى ٨٠٪ فقط من وقائع اللقاء – سأل صدام حسين :

« ماذا يمكن أن ترمي إليه أميركا عندما تقول أنها الآن ستحمي أصدقائها ؟ إن هذا لا يعني سوى الانحياز ضد العراق .. ينبغي لأميركا أن يكون لها فهم أفضل للموقف وأن تعلن من الذي تريد إنشاء علاقات معه ومن الذين تعتبرهم أعداء لهم .

فخامة الرئيس : إن لدي تعليمات من الرئيس (بوش) بالسعي نحو علاقات أفضل مع العراق . ثم شرعت السفيرة الأميركية توضح أن الأمر يحتاج إلى مزيد من المحادثات واللقاءات وأشارت إلى أن وسائل الإعلام الأميركية تعيق أحياناً التفاهم بين الجانبين .

وفي أواخر اللقاء قالت السفيرة جلاسبي لصدام حسين : « نحن ليس لنا موقف في الصراعات العربية – مثل خلافكم الحدودي مع الكويت » . ومضت قائلة أن الولايات المتحدة سوف تصر على تسوية بعيداً عن العنف، قائلة : لقد تلقيت تعليمات بأن استفسر عن نواياك بروح الصداقة لا بروح المواجهة .

وقال صدام حسين إنه وافق من خلال تدخل الرئيس المصري حسني مبارك

على إجراء محادثات مع الكويتيين وعلقت السفيرة قائلة :

« هذه أخبار طيبة ولك التهاني » .

وشعر رئيس الأركان باول بالارتياح بعد أن قرأ برقية السفيرة التي بعثت بها إلى واشنطن حول اجتماعها مع صدام حسين فقد بدت البرقية وكأنما توحي أن ثمة فرصة لمفاوضات بين العراق الكويت .

وكان هناك عامل آخر يدعو إلى بعض الارتياح ، فرغم تحريك القوات العراقية بكثافة نحو الكويت - إلا أن شكل الأمور لا ينبيء بأنها كانت تستعد لهجوم ، حيث كان ينقصها أربعة عناصر :

(١) شبكات الاتصال التي لم يكن تم تركيبها .

(٢) اعتدة المدفعية لم تكون في وضع يؤهلها لشن هجوم .

(٣) ذخائر ومعدات أخرى لم تكن متوفرة .

(٤) لم يكن هناك خط سوقيات - إمداد وتموين - كاف وبالتالي قادر على دعم الهجمات التي يمكن أن تشنها قوات المدرعات.

وجاء يوم حاسم آخر .

٢٧ يوليه ١٩٩٠ م .

## (٣)

وصل الملحق العسكري والمعلوماتي «بات لانج» إلى مكتبه في الطابق الثاني من البنتاجون ، وكان عدد من مساعديه في انتظاره في هذه الساعة المبكرة من الصباح ، عرضوا عليه فوراً أحدث الصور الملتقطة بالأقمار الصناعية على الحدود العراقية الكويتية .. شاهد «التشكيلات» وأخر تحركات للقوات ، ونوعية التسليح ، وحجم الأفراد والأعتده ، ساعتها تحقق من أنه كان على خطأ كبير ، كان يتصور أن صدام يحاول المراوغة والمخادعة .. لكن هذا الذي يشاهده يوضح أن صدام حسين كان متعمد أن يقدم على اجتياح الكويت ، وليس مجرد محاولة أن يراوغ أو يأتي بأي حركة «كاموفلاج» .

« وعندما ركضت عينا «لانج» تلهث فوق الصور أدرك أن الوحدات المدرعة كانت تعلن عن مقصدها بأجلى بيان وبغير مواربة بدا الأمر وكأن ثمة بندقية تم حشوها بالذخيرة وتم تصويبها نحو الهدف ، ووضع الأصبع فوق الزناد ، ثم ها هو (لانج) يطالع اللحظة التي تتحرك فيها عضلات اليد ويشدد فيها الأصبع وطأته إذ يتهيأ للضغط والإطلاق .. كان هذا كل ما كان يحدث أمام ناظريه في حركة بطيئة على نحو ما نشهده في أفلام السينما ...

وبادر لانج إلى إرسال برقية تحذير تحمل هذا الشعار المنذر، «فلاش - أسبقية كاملة - سري للغاية».

وكانت تصف الموقف وتتنبأ بوقوع هجوم في المساء نفسه أو الصباح التالي وبناء على رسالة «لانج» تم تعميم نشرة سرية للغاية وعاجلة إلى رؤساء الدوائر في وزارة الدفاع والجيش . وبعدها سرت الهمهمات في أروقة البنتاجون حول هذا الذي يجري في الشرق الأوسط .. ولسان الحال يقول : ستكون ليلة طويلة ليلاء للموظفين المختصين بالشرق الأوسط .

في نفس صباح ١ أغسطس ١٩٩٠ ، قرأ الجنرال «باول» رئيس الأركان تقرير الموقف الذي أجرته وكالة المخابرات المركزية والذي يقول بأن كل الدلائل توضح أن صدام حسين سوف يشن الغزو ، وكان «باول» يدرك أن هذا الرأي له وزنه ولا ينبغي أخذه بسهولة .. لأن الوكالة المركزية حرصت مؤخراً ألا تصدر إنذارات أو تحذيرات إلا بعد روية شديدة وإمعان وإلا كانت تتكرر قصة الراعي وصيحته الشهيرة ، «الذئب! الذئب !» ثم ها هو الجنرال «باول» يتلقى رسالة البنتاجون (التي اصدرها لانج) والتي تفيد بأن صدام حسين لم يكتف بتحريك دباباته إلى خط مواجهة بين عشية وضحاها بل أن كل ما سبق وافتقده الجنرال «باول» نفسه – كل ما سبق وطمأنه على وجه التحديد وأصبح موجوداً على الأرض : وحدات الاتصالات + المدفعية + الذخائر + التعبويات أو الوجستيات + القوة الجوية ، وماذا كان يجدي دراسة النوايا في ظل نطاق ديكتاتوري ؟ في مثل هذا النظام لا نوايا إلا ما يضمره فرد واحد ، رجل بعينه هو الذي يتربع على رأس النظام ولسنا بعرافين نقرأ الطوالع ونستنطق ما في دماغ هذا الفرد بحال .. ولا كان لدينا – لدى الاستخبارات الأميركية بفروعها – مصادر بشرية واصلة إلى صميم الحكم في بغداد ، لكن أياً كان الأمر فلم يعد الموضوع مرتبطاً بالنوايا أو المخططات .. هاهو رئيس أركان الجيش الأمريكي يجلس إلى مكتبه وقد شبت أمامه قدرة عسكرية ضخمة وأين ؟ في الكويت ! يا إلهي ولماذا هذا الجيش الجبار ؟ لقد كان بوسع العراق أن ترسل قوات شرطتها فتستولى على الكويت .

لقد كان هذا حشداً ضخماً للغاية .. أضخم بكثير من مجرد هدف محدود للغاية هنالك استقر رأي الجنرال «باول» على أن توضع الأمور بين يدي القيادة العليا في الولايات المتحدة فاقترح على وزير الدفاع تشيني أن يقرع جرس الإنذار في البيت الأبيض لقد كانت هذه هي لحظة تعبئة الرئيس شخصياً ، وربما يمكن حمل الرئيس على أن يصدر تحذيراً رئاسياً إلى صدام من خلال القنوات الدبلوماسية .. أياً كان الأمر .. فمن واجبنا أن نفعل شيئاً ، هكذا قال الجنرال بول لوزير الدفاع ديك تشيني .

وضغطا الأزرار باتجاه البيت الأبيض .. وعلى حد ما أفاد به الجنرال «باول» فإما كان البيت الأبيض لديه فكرة أخرى لمعالجة المشكلة ، وإما إن اقتراحهما قد تبدد في أروقة البيت الأبيض وسراديبه ».

في التاسعة والثلث من مساء الأول من أغسطس شهدت غرفة «إدارة الأزمات» اجتماعاً خطيراً ترأسه جنرال «كيلي» رئيس عمليات القوات المسلحة الأميركية ، يضم كبار مسؤولي العمليات العسكرية والاستخبارات ، في الغرفة كانت هناك شاشتان تعرض الأولى صوراً حية لتحركات القوات الغازية على مسرح الكويت ، والشاشة الثانية تنقل إرسال محطة «س . إن .إن» الاخبارية لمتابعة التطورات على المسرح الإعلامي .

ثم كان ثمة خط هاتفي سري إلى جوار الجنرال «كيلي» للاتصال المستمر مع قائد القوات المركزية المتواجد في تلك اللحظة في فلوريدا وهو الجنرال «نورمان شوارزكوف» .

كان الموقف يتطور بسرعة وجدية وخطورة أيضاً ، لهذا اتصل الجنرال «كيلي» بالمستشار الرئاسي للأمن القومي وهو أقرب المقربين من رئيس الجمهورية وعندما

تلقى المستشار «سكاوكروفت» هذه المعلومات اعترته الدهشة « على نحو ما » .. كان متأكداً في السابعة أن المسألة برمتها لن تعدو زوبعة في فنجان فطالما ظل صدام حسين يتكلم بخشونة على امتداد أشهر عديدة ، لكن حديثه كان يدور حول البترول( أسعار البترول ) وحول منازعات إقليمية محدودة . وليس حول السيادة الأساسية للكويت ، ولم يكن ثمة ما ينبيء – من واقع الخطب العصماء التي كان يلقيها صدام موخراً – عن أهداف صريحة يتوخاها وتوحي بأن العراق يعامل الكويت على إنها حكومة غير شرعية ، وكان هذا جدير بأن يكون المبرر اللفظي أو التكييف البلاغي والكلامي الذي كان على صدام حسين ، أن يسوقه قبل الإقدام على فعلته المثيرة ، هذه ..أياًكان الأمر – يواصل مؤلفنا حديثه – فقد شعر «سكاكروفت» بأن الأمر كان ينطوي على الكثير من التعريفات التي دفعت بصدام إلى غزو جارته ولسوف يكون رد الفعل العالمي قوياً .

وعاد «سكاكروفت» إلى البيت الأبيض وأبلغ «بوش».. قال الرئيس إنه يريد أن يتم اتخاذ إجراء في الحال .. ودعا «سكاكروفت» إلى اجتماع طاريء للجنة ممثلي الدوائر المختصة (ولم يحضر أحد شخصياً) بل تم الاجتماع عبر شاشات الفيديو فيما ترأس سكاوكورفت نفسه الاجتماع من «غرفة تقدير المواقف» في البيت الأبيض .

وفي الساعة الحادية عشرة والثلث مساء نفس اليوم وافق الرئيس بوش على إصدار بيان يدين الغزو العراقي بقوة ويطالب بما وصفه «انسحاب جميع القوات العراقية فوراً بدون قيد أو شرط ».

وفوراً شرع سكاوكروفت مستشار الأمن القومي ومعه" بويدن جراي" المستشار القانوني وعدد من موظفي وزارة الخزانة في إعداد خطة لتجميد أرصدة العراق في الولايات المتحدة ومنع أي تعامل مع المعتدي ورافقتها خطة أخرى لتجميد الأرصدة الكويتية بحيث لا يتسنى لصدام أن يحصل علي أي جزء من الاستثمارات

الكويتية في الخارج والتي يقدر حجمها بمبلغ ١٠٠مليار دولار ، وتم تحويل الخطتين إلى أمرين تنفيذيين للطوارىء يقوم بتوقيعهما الرئيس بوش .

ثم أن سكاوكروفت ظل يضغط من أجل المزيد من الاجراءات التي من شأنها أن تؤكد بمالا يقبل الشك أن الولايات المتحدة تأخذ الغزو العراقي بكل جدية ، وهنالك طرحوا على سكاوكروفت السؤال :

– ماذا عن القوات البرية ؟ إن ذلك سيكون أقصى دليل على مدى الجدية ورد سكاوكروفت بالنفي ، وقال لمساعديه إنه يريد شيئاً يتصف بالتالي :

(أ) الحركة السريعة للغاية .

(ب) لا يكون له حضور أو تواجد متطور أو ملموس بصورة فورية « سرب من طائرات ١ف – ١٥ يطير إلى الجزيزة العربية مثلاً في حدود ٢٤طائرة ..

ونال هذا الاقتراح موافقة من الجميع .

« من منتصف حوالي الرابعة صباحاً أخلد مستشار الأمن القومي سكاوكروفت إلى النوم ليستيقظ بعد ٤٥ دقيقة ، وفي الخامسة تماماً كان واقفاً على باب غرفة نوم الرئيس بوش في مسكنه ، لكي يتم توقيع الأوامر التنفيذية الخاصة بتجميد الأرصدة .

وفي السادسة وصل الجنرال «باول» إلى البنتاجون – وحوالي السابعة إلا عشر دقائق وافاه الجنرال شوارزكوف ، وعقد الاثنان اجتماعاً صورياً خاصاً استمر حتى السابعة والنصف صباحاً حيث غادراه إلى البيت الأبيض .

التأم عقد مجلس الأمن القومي بكامله في الثامنة وفي قاعة مجلس الوزراء بالإضافة إلى «باول» وشوارزكوف جاء أيضاً تشيني و«فولفوفتش» (ممثل المخابرات والدفاع) وجاء «كيميت» بدلاً من «بيكر» الذي كان يومها في سيبريا مجتمعاً إلى نظيره السوفياتي شيفارنادزه (كانوا بانتظار قدوم الرئيس جورج بوش).

وقبل بدء الاجتماع كان لابد وأن يطلبوا شوارزكوف أن ينحي جانباً خرائطه وشرائحه السرية للغاية ، لأن بوش كان سيرد على بضعة أسئلة لمجموعة من الصحفيين لكي يظهر (كما هو مخططا) على شاشة التليفزيون وهو يبدي قلقه إزاء الغزو.

وقال « بوش » للصحفيين نحن لا نناقش التدخل .

وعاوده الصحفي بالسؤال :

- أنتم لا تفكرون في أي تدخل أو إرسال قوات؟

- أنا لا أفكر في مثل هذه الاجراءات .

(ساعتها) تصور «سكاوكروفت» أن بوش لا يقصد المعنى التي أفادت به عبارته السابقة. لقد كان يتكلم دون تقيد بشيء وكان من الواضح أن من السابق لأوانه تماماً استبعاد أي شيء .

وهذا التصريح سيحتاج إلى تصحيح في وقت لاحق .

ثم قال بوش : أن ليس هناك ما يدل على أن أي بلد آخر في الشرق الأوسط يتعرض لتهديد .. ولكنه قال إنه يريد أن يعود الغزو إلى حيث كان وعليهم أن يخرجوا من الكويت وأضاف قائلاً : أنا على يقين من أن الأمر سيشهد نشاطاً دبلوماسياً كثيراً ومحموماً وأنا أنوي المشاركة في جانب منه بنفسي .

ولاحظ الجنرال «باول» مرة أخرى التناقض الحاد بين بوش وريجان ، لقد أمضى بوش ثماني سنوات يراقب ريجان وهو يعمل ويفوض الآخرين للعمل ، لكن بوش ، على خلاف ريجان يريد التفاصيل كل التفاصيل. يريد أن يكون هو اللاعب ، الرجل الذي يجري أكبر قد من ممكن من المكالمات .. ولم يكن الأمر مجرد سؤال أفضل اختلاف أسلوب عن أسلوب ، وفي بعض الأحيان كان «باول» ما يفتأ يذكر نفسه بأن الناس انتخبوا جورج بوش ولم ينتخبوا مستشاريه ، وخلاصة النتيجة أن «باول» أكبر مستشاري بوش العسكريين بان أن له دور أقل بكثير من دور «باول» إذ كان مستشاراً للأمن القومي للرئيس ريجان .

وعندما غادر الصحفيون القاعة بدأ سكاوكروفت يسرد جدول أعماله محاولاً أن يوجه الأمور بحصافة لكن الرئيس مالبث أن تولى مباشرة قيادة الاجتماع .

استهل الاجتماع بموجز من رئيس المخابرات المركزية «ويستر» ومفاده إنه قد تم غزو الكويت باستخدام أكثر من ١٠٠ ألف جندي أي بأكثر مما كان يحتاجه الغزو، وأن القوات العراقية في الكويت كان يتم إعادة تزويدها وتنظيمها في بعض الحالات على امتداد مسافة لا تبعد بأكثر من ١٠ أميال من حدود السعودية ، وأن بوسعها أن تواصل مسيرها وتقتحم الدفاعات السعودية البسيطة .. ثم صور الموقف على أنه خطير « ولكن ليس قائماً » .

وتلاه بوب كيميت الذي لخص الجانب الدبلوماسي من اجتماع مجلس الأمن معظم الليل وادانته الغزو ، والدعوه لاجتماع الجامعة العربية ، لكن ما من طرف شارك الولايات المتحدة حتى اللحظة في تجميد الأرصدة العراقية والكويتية .

وهنا قال الرئيس بوش أنهم بحاجة إلى التفكير في المزيد من العقوبات الاقتصادية وإنه قد تصرف بسرعة بشأن تجميد الأرصدة .. ثم أشار باعتزاز إلى أنه لا يتصور أنه لا صدام حسين ولا الآخرين الذين تعودوا باستمرار على بطء التحرك من جانب الأجهزة البيروقراطية الأميركية - كانوا سيتوقعون الإقدام على مثل هذه الإجراءات السريعة .

هكذا تكلم بوش .

رئيس الجمهورية كان يتكلم .

لكن كان في داخلة أكثر من صوت وأكثر من خبرة وأكثر من مسار..

كان هناك بوش المندوب السابق في الأمم المتحدة وبوش السفير السابق لدى الصين وبوش رجل البترول القادم من تكساس .

## (٤)

لم يكن هناك «جورج بوش» واحد هو الذي يتولى معالجة أو مواجهة أزمة
يج التي اشتعلت مع لهيب صيف ١٩٩٠م بغزو قوات صدام حسين للكويت .

كان هناك القادة أكثر من جورج بوش يجلس على مقعد الرئاسة في المكتب
لماوي الشهير بالبيت الأميركي «الأبيض» . فالصور المتعددة الزوايا لجورج بوش
ؤ نعرفه ، ويعرفه العالم بداهة بوصفه رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية ، (وقد
ت هذه الزوايا المتعددة في اجتماع مجلس الأمن القومي الأمريكي برئاسة بوش
حة الغزو العراقي) .

أولاً : كان هناك جورج بوش – ممثل الولايات المتحدة السابق لدى الأمم
تدة الذي أراد أن يتأكد من أن الأمم المتحدة تتحرك قدماً باتجاه إتخاذ تدابير
هية (إزاء إقدام صدام حسين على غزو الكويت) لهذا وصل توماس بيكرنج مندوب
يكا الحالي لدى الأمم المتحدة من نيويورك (مقر المنظمة الدولية) إلى واشنطن على
طائرة في السادسة والنصف صباحاً وأبلغ الرئيس بوش ( أو بالأحرى سلفه
ير السابق بوش) أن الأمم المتحدة كانت تتخذ تلك الإجراءات الإضافية ، وكان
س ومستشاره الأمني سكاوكروفت يتكلمان في تلك اللحظة مع وزير الخارجية
(الموجود في الاتحاد السوفياتي) الذي كان يعمل بدوره على التوصل إلى جهد
إك في قضية الخليج مع السوفيات .

ثم كان هناك جورج بوش السفير السابق في الصين ولذلك سأل عما إذا كانت الحكومة الصينية سوف تقوم بتأييده في موقفه من صدام حسين ، وأشار بوش إلى أنه يتوقع مساعدة من جانب بكين .

ولنتذكر جيداً ...

ألم يخفف بوش من انتقاداته لما شهده العام الماضي من مذبحة تعرض لها طلاب الصين ( على يد قوات الحكومة ) في ميدان تيانانين؟ وعليه ، شرع سكاوكروفت ووزارة الخارجية في العمل بشأن هذا الموضوع ، وقال بوش إنه يريد أن يكون الجهد الدبلوماسي مكثفاً ومعمقاً . وأمر بألا تترك شاردة ولا واردة يمكن أن تكفل المزيد من الضغط على العراق أو تساعد على تنظيم الرأي العام العالمي ضد (حاكم) العراق .

في نفس الاجتماع بالبيت الأبيض تكلم وزير الخزانة الأمريكية «نيكولاس برادي» فأوضح أن العراق (لوترك له الاستيلاء على الكويت) سوف يحصل على نحو ٢٠ مليون دولار يومياً من إنتاج الكويت من النفط ، وإياً كان الأمر فقد أصبح العراق الآن (بعد الغزو) يسيطر على ٢٠ في المائة من احتياطي النفط المعروف في العالم . فإذا قدر لصدام حسين أن يستولى على السعودية فلسوف تزيد النسبة إلى ٤٠ في المائة .

( هنا تكلم بوش من جديد ) كان هذا الـ .. جورج بوش هذه المرة هو رجل البترول السابق في تكساس ، بدا بوش لحظتها مرتاعاً من التقدير الذي طرحه وزير خزانته حول احتمال إستيلاء صدام حسين على السعودية ، وشرع في تحليل مطول لأثر هذا الاحتمال على البترول العالمي من حيث إمكانيات توافره ومعدلات أسعاره ، وبدأت تتناثر عبر طاولة اجتماع مجلس الأمن القومي الأميركي أسئلة من قبيل :

* هل تستطيع الولايات المتحدة وآخرون أن يفرضوا حظر على البترول العراقي؟

* هل سيعمل صدام على حجز أو حبس بترول العراق والكويت ؟

* أو أنه سيحاول أن يغرق السوق العالمية بالبترول ؟

* وماذا عساه يكون الأثر على احتياطات الولايات المتحدة نفسها من البترول ؟

إن صدام لو امتلك مجرد ٢٠ في المائة من نفط العالم ، سوف يستطيع أن يتلاعب بالأسعار العالمية ويضع تحت رحمته الولايات المتحدة وحلفاءها على السواء ، ثم أن من شأن ارتفاع أسعار النفط توليد التضخم وتفاقم الأحوال الكئيبة أصلاً التي يشهدها الاقتصاد الأميركي .

وشرع رئيس الأركان الجنرال باول في التفكير : إنه يشهد خيوطاً لا نهاية لها من الحديد المتناثر حول البترول لكنه وحده .. بوش وحده يملك الميزه التي تفوق بها على من سواه إن بوش كان في الأصل رجل بترول وهو يعرف الأسواق جيداً ، واقترح (رئيس ديوان البيت الأبيض العربي الأصلي) «سنونو» العمل على الحيلولة بين العراق وبين بيع البترول الكويتي في السوق المفتوحة ومن ثم لا يحصل العراق على مكاسب فورية من الغزو .

وقال تشيني – وزير الدفاع إنه ليس بالإمكان وقف تسويق النفط بممارسة ضغوط اقتصادية أو سياسية ثم انطلق «تشيني» يشرح الوضع من الناحية العسكرية الراهنة فأبلغهم أن الطائرات الأمريكية من طراز «ك . س – ١٠» وهي ناقلات نفط كبيرة طائرة تستخدم لتموين الطائرات الأخرى في الجو قد تم نقلها إلى السعودية .

ثم أضاف رئيس الأركان «باول» أن الأوامر صدرت بالتأهب بالنسبة لمجموعة هجوم جوي مشيراً إلى سرب طائرات من طراز ف – ١٥ .

وتحدث وزير الطاقة جيمس انكلنز وهو قائد البحرية السابق مشيراً إلى أن العراق ينقل بتروله عبر خطي أنابيب بهران في تركيا والمملكة السعودية وأشار الأميرال المتقاعد إلى أن هذه الأنابيب قد تشكل فرصة طيبة بوصفها أهدافاً (للهجوم) لأنها تشكل أصلاً شرايين الحياة الاقتصادية لصدام حسين ، فهل من سبيل إلى ضربها بهجمات جوية ؟

قال الجنرال «باول» أي نعم ، هذا ممكن .

لكنه لم يكن يعرف حجم النفط العراقي المنقول عبر الأنابيب أو إلى أي حد سوف يستمر إغلاقهما ، لكن المسألة هي أنه من الناحية العسكرية – يواصل «باول» الحديث – فإن الأهداف المستطيلة خطياً ، الخطوط المستقيمة ستمثل مسارات الطرق وخطوط السكة الحديد وخطوط الأنابيب – ليست أهدافاً مستصوبة . وإنما بالإمكان إصلاحها بسهولة وإعادة تشغيلها .

وهنا دار السؤال عن إمكانية إغلاق نشاط ( البترول العراقي المعد للتصدير) لا الاقتصار فقط على خطوط الأنابيب ، ومن ثم يشمل الحديث المصافي وموانىء الشحن ومحطات الضخ ، وقال تشيني إن هذا لن يفيد كثيراً ، إن ما فعله صدام في الكويت كانت محاولة تقصد أهدافاً شتى ، منها التدخل في الإمداد العالمي من البترول ولا تستطيع الولايات المتحدة أن ترد على ذلك بقصف الإمداد العالمي من البترول .

هنا تدخل «سكاوكروفت» معرباً عن قلقه من أن الحوار لا يزال مشتتاً وينقصه التركيز إنهم يكادون يستنزفون طاقاتهم في الحديث دون أن يصلوا إلى اتخاذ إجراء ما ، وقال مستشار الأمن القومي على سبيل التحديد :

– نحن لا نملك الخيار بأن نبدو وكأننا لا نتصرف .

وقال «تشيني» أن الزواج الوشيك بين جيش قوامه مليون رجل وبين ٢٠٪ من

بترول الدنيا يشكل تهديداً ملموساً وعليهم أن يميزوا بين الدفاع عن السعودية وبين طرد العراق من الكويت مشيراً في ذلك أنه يحبذ الحماية ورد«سكاوكروفت» قائلاً : إذن فليست المشكلة غريبة عن عملية النية الصادقة – ارنست ويل – التي بسطت فيها واشنطن حمايتها على الناقلات الكويتية في حرب إيران – العراق .

وبادره «تشيني» لكن المتطلبات العسكرية أفدح في حالتنا هذه .

وقال «باول» : إن العملية العسكرية العراقية قد أنجزت عملاً مرموقاً من الناحية الفنية ، ثم قدم للحاضرين الجنرال «شوارزكوف» الذي وضع على طاولة الاجتماع الخرائط والرسومات التي توضح شكل المنطقة وطرق الهجوم العراقية ، ثم شرح الجنرال المستويين اللذين أعداهما للرد . والمستوى الأول هو توجيه ضربات انتقامية منفردة باعتبار أن الجيش أو الطيران الأميركي لا يملكان قوات في المنطقة للعمل الفوري على المسرح ، ولذلك فإن كل ضربة انتقامية لابد وأن تنطلق من القواعد الجوية الأميركية المحمولة على متن الحاملات المتواجدة في مياه المنطقة ، أما الأهداف التي يمكن أن تقصدها هذه الضربات فيمكن أن تشمل الجيش العراقي في الكويت ثم أهدافاً عسكرية أو استراتيجية داخل العراق نفسه ، وأهدافاً اقتصادية في العراق مثل خطوط أنابيب البترول الممتدة إلى تركيا والسعودية ثم ناقلات النفط العراقية في البحر ، على أنها ستكون ضربات عقابية محددة ومن شأنها أن لا تستمر طويلاً وقد لا تحقق إيذاء الجيش أو الاقتصاد العراقي ، هكذا قال الجنرال شوارزكوف وعاد «سنونو» للضغط على التماس اجراء من الاجراءات الاقتصادية متسائلاً : أما من سبيل لتنظيم الصفوف لمنع العراق لا من منع بيع نفط الكويت فحسب بل بيع نفطه هو أيضاً ؟ ومن أين سيحصل العراق على الشيك مقابل ما يبيع ؟

وقال مدير الميزانية «ريتشارد درامان» أن العقوبات الاقتصادية لم تنجح عبر

التاريخ ، فالنظام التجاري الدولي لا يستجيب للإعلانات الصادرة بفرض عقوبات أو بإغلاق الحدود ، أما السوق فتستجيب للأسعار وفي حالة العقوبات والحظر يرتفع السعر ويزيد معه الحافز على انتهاك الحظر وخرق العقوبات المفروضة .

وقال جورج بوش ، هذا صحيح ، سوف يجد العراق بالضبط وسيطاً جديداً ، فحينما يكون هناك فليس زيادة ، يوجد من يبيع النفط ومن يشتريه .. هذا حال اصدقائي رجال النفط في تكساس .

وتدخل رجل وزارة الخارجية «كيميت» موضحاً اهمية ابقاء المعتدلين العرب في المقدمة خلال هذه الأزمة لكن «درامان» رجل الميزانية قال إن أهدافهم ليست واضحة، ففي ضوء ما عرضه الجنرال شوارزكوف قضي الأمر وتم غزو الكويت ولم يعد يرى كيف يمكن استبعاد بترول العراق من السوق .

بادره الرئيس بوش بالسؤال : ماذا تقصد ؟ ولم يكن واضحاً ما إذا كان الرئيس بوش يشير إلى تعليقه حول تسليمه بإتمام غزو الكويت ، أو باعتزامه أنه لم يعد ممكناً استبعاد بترول العراق من داخل السوق : لكن «درامان» اختار أن يرد على الرئيس من ناحية قضية سوق البترول فقال إنه لو فرض أي حظر نفطي يتطلب أسلوباً أو آليه لتطبيقه ، وهو يدري أن هذا ينطوي على عملية عسكرية من قبيل استخدام الأسطول لفرض حصار بحري وقد تكون خطوة .. أكبر مما يريد الرئيس أن يتخذه .

أما الرئيس بوش فقال : لكن نحن لا نستطيع أن نقبل بما حدث في الكويت لمجرد أن من الصعوبة بمكان أن نتخذ اجراء بشأنه بيد أن الرئيس (الأميركي) لم يشر إلى أنه حريص على استخدام القوة العسكرية لتحقيق هذا الغرض أو لأي غرض آخر .

وعاد رجل الميزانية «دارمان» يقول : أن قطع أنابيب النفط سيكون له أثر اقتصادي ولكن ينبغي لهذا الإجراء أن يتم في القريب العاجل .

هنالك شعر الجنرال «باول» إن كل شيء لا يزال معلقاً بين السماء والأرض ، لذلك طرح السؤال :

* ألسنا نريد بالضبط أن نرسم موقفاً محدداً بالنسبة للسعودية ؟ ، إن هذا البلد يجسد حقيقة مصلحة الولايات المتحدة .

ولاحظ بيكرنج (المندوب بالأمم المتحدة) أن من شأن هذا الخط المحدد أن يترك الكويت على الجانب الآخر ، أي في أيدي العراق .

وانتهى الاجتماع الخطير عند هذه النغمة غير المحسوسة .

بعد الاجتماع شعر بويدن جراي المستشار القانوني للرئيس الأميركي أن الفرصة أصبحت متسعة أكثر أمام العسكريين للتصرف وبدا له أن الرئيس بوش كأنه ولا شك مقدم على اتخاذ إجراء ما ، لقد ظل جراي يرقب رئيسه عبر سنوات وشهده مشحوناً بالحماس عدة مرات .. وقد كان بوش في الليلة الماضية بعيداً عن الحماس .. بطيئاً في الحركة ورد الفعل .. لكن مضى هذا كله الآن ، صحيح أن بوش يمكن أن يظهر أمام المستقبل وكأنه محشور في أزمة لكن جراي يدرك أن هذا الوضع هو الذي يكون فيه الرئيس في أفضل أحواله .

أما رجل الميزانية دارمان فقد كان يأسى لما وصلت إليه الأوضاع ، أنظر إلى مصالح الولايات المتحدة في المنطقة وإلى ماضي صدام حسين في مسلسل العدوان .. ألا يدعو للأسى والارتباك إن المخابرات الأميركية لم يكن بيدها أي مؤشر يدل على أن هذا سيحدث ناهيك عن أن جيشها لا يملك خطة طوارىء تتحسب لمثل هذا الاحتمال ؟! ثم ها هو - دارمان - يرقب القادة أصحاب القبعات الخضراء - باول

وشوارزكوف يصولون ويجولون ، لشد ما يقلقه أن يطالب هؤلاء الجنرالات بوضع قوات برية على الأرض في الشرق الأوسط ..إن هذا من شأنه أن يفضي إلى فيتنام مرة أخرى هكذا كانت خشية رجل الميزانية في البيت الأبيض - ريتشارد ، ج درامــان ! .

أما الجنرال باول فقد كان حريصاً على أن يراقب الرئيس جورج بوش بدقة وإمعان ، لم يكن واضحاً أمامه ما عسى أن يقدم عليه الرئيس من إجراءات ولا ما إذا كان سيقبل أو لا يقبل ضياع الكويت ، كل ما كان يعرفه أن الرئيس بوش كان في طريقه إلى كولورادو وانه سيجتمع عما قريب مع رئيسة الوزراء البريطانية تاتشر التي لها ولا شك ، آراء صلبة في هذا الصدد كما أن لها تأثير قوي على جورج بوش .

«تشيني» أيضاً كانت تنتابه الحيرة حول ما سيفعله الرئيس بوش ، شعر وزير الدفاع إنه جاء إلى اجتماع البيت الأبيض وهو غير مستعد ، لم يكن في حوزته أي خيارات عسكرية يطرحها أمام رئيس الجمهورية .

أما المستشار الأمن القومي سكاوكروفت فقد كان ينتابه شعور بالتخوف الشديد ، كان العراق في تصوره يشكل تهديداً جسيماً للمصالح الحيوية للولايات المتحدة بل إن هذا التهديد أكبر مما كان يخطر بالبال حتى أيام نظرية أو مذهب (الرئيس السابق) كارتر عام ١٩٨٠م الذي سبق وأعلن : «أن أي محاولة من جانب أي قوة خارجية أن تحوز مقاليد السيطرة على منطقة الخليج سوف ينظر عليها على أنها هجوم على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأميركية ، وأن هذا الهجوم سوف يقابل بكل الوسائل اللازمة بما في ذلك القوة العسكرية » . وإذا كان الصدام لا يقل عدوانية أو تهديدا عن أي طرف خارجي ، فإن المبدأ يبدو منطقياً .

ثم أن هناك عقدة فيتنام ، أو متوالية فيتنام ، إنها لا تزال عنصراً له أهميته في الموقف من الكويت .. هكذا تصور مستشار الأمن القومي للرئيس الأميركي بوش ....

## (٥)

صباح يوم الأحد ١٦ سبتمبر ١٩٩٠م استيقظ في السادسة صباحاً وهو علي موعد مبكر بالنسبة ليوم العطلة ، كان يعاني من اضطراب مواعيد النوم واليقظة حيث عاد بالأمس فقط من زيارة للسعودية ، ربما من باب قضاء الوقت فتح الجنرال دوجان التليفزيون ليشاهد عجباً من على شاشة محطة س . إن . إن !

وكل ما فعلته المحطة ساعتها أنها كانت تنقل بأمانة فقرات من تقرير خطير نشرته في الصباح جريدة واشنطن بوست ، وتتضمن بيانات وتصريحات منسوبة إلى الجنرال مايكل دوجلان رئيس أركان سلاح الطيران الأميركي الذي لم يتسلم منصبه إلا منذ أيام قلائل ، قام الجنرال «باول» لفوره يبحث على عتبة منزله عما إذا كانت واشنطن بوست قد وصلت ، ولكنه لم يجدها وظل نهباً للقلق نحو ٤٠ دقيقة حتى جاءت الصحيفة ليقرأ القصة وقد نشرتها الجريدة موسعة ومسهبة واحتلت عناوين المانشيت الرئيسي للجريدة في ذلك الصباح ، قال المانشيت الذي سرعان ما تنقاقلته كل اذاعات العالم:

** الولايات المتحدة ستعتمد على الضربات الجوية في حالة نشوب الحرب .

وتحت المانشيت بدأت تفاصيل الخبر على النحو التالي :

توصل رؤساء أركان الحرب في الولايات المتحدة إلى أن القوة الجوية الأميركية - بما في ذلك حملة قصف مكثفة واسعة النطاق على بغداد تستهدف تحديداً للرئيس العراقي - صدام حسين هي الخيار الفعال الوحيد لإجبار القوات العراقية على الخروج

من الكويت في حالة اندلاع الحرب - صرح بذلك رئيس أركان القوات الجوية الأميركية ، الجنرال مايكل دوجان ! .

في هذه اللحظة راود رئيس أركان الجيش الأميركي «باول» مزيج من مشاعر الدهشة والجزع الشديد عندما قرأ أن دوجان أضاف إن سائر أركان الحرب والجنرال شوارزكوف شخصياً مجمعون على أن القوة الجوية هي الرد الوحيد المتاح لبلدنا بدلاً من حرب برية دموية من المحتمل أن تدمر الكويت نفسها .

ومضى الجنرال باول يقرأ :

في أسبوعين مضيا استطاع مخططو الأهداف الأمركيون إعداد قائمة تقليدية نوعاً ما بالأهداف العراقية التي تشمل حسب الأولوية ، الدفاعات الجوية العراقية والمطارات الحربية ومواقع الصواريخ المتوسطة المدى بما فيها صواريخ سكود أرض/أرض ومراكز الاتصالات والقيادة ومعامل الأسلحة والذخائر الكيميائة والنووية والتشكيلات العراقية المدرعة .

ثم أضاف الجنرال دوجان إلى تصريحاته الصاعقة بقوله : أنه طلب إلى مخططيه أن يجروا مقابلات مع العلماء والصحافيين والعسكريين السابقين والمنشقين العراقيين كي يقرروا ماهو الشيء الفريد الذي يتميز به التراث والفكر العراقي بحيث يوليه العراقيون توقيراً وإعزازاً ، وما هو العامل السيكلوجي الكفيل بأن يخلف أثره على السكان ونظام الحاكم في العراق ؟ وأما الهدف كما قال رئيس أركان الطيران الأميركي فهو تحديد «مراكز الجذب» التي يمكن أن يؤثر عليها ضرب الطيران تأثيراً حاسماً ومبكراً .

ومضى القائد الجوي الأميركي - جنرال دوجان يقول في تصريحاته التي نشرتها واشنطن بوست لقد نصحتنا المصادر الإسرائيلية (!) بأن أفضل طريق لإيذاء

صدام هو أن نجعل من عائلته هدفاً لـنا وكذلك نستـهدف حرسـه الشخصي وعشيقته (!) .

ولأن صدام حسين هو لاعب العرض الرئيسي على مسرح العراق – أضاف دوجان – فإننا إذا اخترنا ، ومتى قررنا اللجوء إلى أسلوب العنف فينبغي أن يكون صدام هو محور جهودنا في هذا الصدد – وتلك استراتيجية عسكرية تعرف باسم «قطع رأس الأفعى» ومضى الجنرال باول يطالع المنشور ويتمعن في تقييم قائد الطيران للقدرات العراقية حين قال :

لم يكشفوا عن أي تفوق ضد إيران فضلاً عن أنهم يمتلكون جيشاً تنقصه الكفاءة . كان الموضوع المنشور – بالأدق كانت تصريحات أركان الطيران الأميركي تدور حول محور أساسي هو توفير السيادة للطيران وهو ما يسمى باسمه « أسلوب تحقيق النصر بسلاح واحد هو الطيران »

ثم استدرك دوجان ليعترف بأن الطيران يعجز عن تحقيق بعض الأهداف .. مثلاً صادف الطيران الأميركي في رأيه صعوبات كأداء في طرد الأهالي من الأدغال في فيتنام لكننا (في مسرح الشرق الأوسط) لا نصادف أدغال أو غابات ، كذلك يمكن في رأي الجنرال دوجان – استخدام مشاة البحرية والقوات البرية لأغراض التشتت والهجمات الجانبية ولإعاقة أي هجوم عراقي مضاد على العربية السعودية .

ثم أن القوات البرية قد تدعو الحاجة إليها بغرض طرد الغزاة من الكويت (يقصد تحريرها طبعاً) لكن ذلك أيضاً لن يتم إلا بعد أن تكون القوات الجوية قد شتتت مقاومة العدو .. بحيث يتسنى للجنود(الأميركيين) أن يسيروا في شوارع المدينة دون أن يتعين عليهم أن يحاربوا من بيت إلى بيت .

ثم اختتم موضوع «الواشنطن بوست» بإيراد تصريح أدلى به الجنرال دوجان

وهو يتفقد عناصر سرب طائرات فـ-١٥ الذي أوفد إلى السعودية حيث سأله الطيارون عن حجم تأييد الشعب الأميركي للعملية فقال رئيس أركان الطيران :

- أعتقد أنهم سيؤيدون العملية لوقت أطول مما تتصورون .. إن الشعب الأميركي سيظل مؤازرا لهذه العملية إلى أن .. تصل إلى الوطن الصناديق التي تحمل أكفان الجنود .. !!

هذا أمر له مضاعفات خطيره .. كان هذا هو تفكير الجنرال «باول» فور قراءته التصريحات التي اعتبرها ضربة مسددة إلى جهوده التي ما برح يبذلها خلال مرحلة خطيرة وحاسمة من نشر وتوزيع القوات التي تسنى له توفيرها دون اتفاق في الآراء من رؤساء الأفرع المختلفة في القوات المسلحة الأميركية .

إن هذا يعني أن دوجان يقدم «تقريرحالة» عن نشر القوات الأميركية في المنطقة وعن استعدادها العام للمعركة بما في ذلك الأعداد والأرقام ونوعيات الطـائرات .. وكلها تفاصيل طالما جهد «باول» حتى يبقيها بمنأى عن أجهزة الإعلام .

ولكن ...

هل خدع الجنرال دوجان بهذا الحديث ؟ هل غرر في الصحافيين الذي صحبوه على متن طائرة خاصة حملته بالأسبوع السابق إلى السعودية وبصحبته خمسة من مساعديه الجنرالات ؟

كانت الحقيقة عكس ذلك تماماً .

إن رئيس الأركان المعين حديثاً لسلاح الطيران في الولايات المتحدة كان رجلا يؤمن بأهمية الإعلام ، ويرى أهمية لسياسة «الانفتاح» على الصحافة والصحافيين بل أن الجنرال «باول» هنأه شخصياً عدة مرات على سياسته الإعلامية هذه وإن كان قد ردد على مسامعه مراراً تحذيره بأن يتذكر دائما ولا ينسى أبداً أن هناك صانع قرار واحد فقط (في الولايات المتحدة) اسمه جورج بوش ...

في السابعة صباحاً ، تخابر الجنرال «باول» مع الوزير تشيني :

– قرأت بوست ؟

– لا

طيب اسمع :

وعندما طلب وزير الدفاع نسخته من الجريدة ، وقرأها استشاط غضباً ، وطلب سكاوكروفت مستشار الرئيس للأمن القومي واتفق معه – كحد أدنى لمعالجة الأضرار التي حدثت – على أن يدلي سكاوكروفت بتصريح في حديثه الوشيك إلى برنامج «واجه الأمة » يقول فيه :

– إن الجنرال دوجان لا يعبر عن رأي الحكومة .

بعـدها انطلق الوزير تشيني يمارس رياضته الوحيدة وهي المشي ساعتين يومياً .

ثم جاءت بقية الصحف الأميركية الكبرى فإذا بها تتناقل جميعها تصريحات رئيس أركان الطيران وتبدد آخر أمل ساور تشيني أن تكون هذه التصريحات مدسوسة على دوجان أو مغلوطة أو محرفة .

رفع تشيني سماعة الهاتف يتصل بكامب ديفيد .

– هالوا – تشيني على الخط – أين الرئيس ؟

– يلعب التنس .

– أرجو أن يتصل بي بمجرد انتهائه ..

عندما اتصل بوش كان قد قرأ القصة كلها في الواشنطن بوست .. وكان تعليقه إنها تبدو شاذة نوعاً ما .. وإذا كان يتصور إنها مقصودة عمداً . ومحاولة مخططة من جانب البنتاجون لتخويف صدام .

- سيادة الرئيس ، المشكلة للأسف أنها ليست عملية تهويش .. وهذه التعليقات وصلت إلى الحد الذي يجعلني مضطراً لاعفاء دوجان من منصبه ألديك رأي مخالف ؟

- لا ، أفعل ما تريد ومعك موافقتي .

قال الراوي .. إن الرئيس بوش لم يبد انزعاجاً إزاء هذه القصة ولكنه أوضح أن تشيني كان مهتاجاً إلى حد الجنون .

وانتهى الأمر إلى ضرورة طرد الجنرال مايكل دوجان رئيس أركان حرب الطيران الأميركي الذي يؤثر عنه قوله : أنا رجل العلاقات العامة الأول لسلاح الطيران الولايات المتحدة .

كيف تم إخراج مسرحية الطرد ؟ .. لقد فكر الوزير تشيني طويلاً ومليأ أن فن إدارة الرتب الكبيرة للجنرالات جزء من المهمة التي يضطلع بها في إدارة المبني (البنتاجون) والجنرال ليس الأول ولن يكون الأخير ممن قطع عليهم الطريق إلى سدة الرئاسة العسكرية .. والوقوف في طريق تفوقه العسكري الطويل سيكون أمراً جسيماً في كل حال .

لكن تعليقات «دوجان» تخطت كل الحدود .. أن الرئيس الجديد لأركان الطيران الأميركي عبارة عن مدفع منطلق بغير ضابط أو روابط .

عمد الوزير تشيني إلى نوتة الأوراق المسطرة الصفراء فملأ ورقتين منها بمقتطفات رئيسية من المقالة المنشورة ثم استخدم الثالثة ليخلص فيها حجته وأسانيده.

تحت عنوان «المشاكل» .. دون وزير الدفاع الأميركي البنود التسعة التالية بحق الجنرال مايكل دوجان :

١ – أظهرت حكماً غير مسؤول .

٢ – مناقشة خطط العمليات وقائمة أهداف ذات أولوية .

٣ – إن هذا يجعلك محدثاً ناطقاً رسمياً عين نفسه بنفسه للتكلم باسم هيئة أركان الحرب وقائد مسرح العمليات .

٤ – نموذج سلبي للآخرين وخاصة في سلاح الطيران .

٥ – توقع احتمال خسائر الأرواح بطريقة غير مكترثة .

٦ – قلت إننا سوف نخرق الأمر الرئاسي الذي يفرض حظراً على المشاركة في عمليات اغتيال (رؤساء الدول والزعماء الأجانب).

٧ – احتمال الكشف عن معلومات سرية حول حجم وأوضاع قواتنا .

٨ – هونت من شأن الدور الذي تضطلع به سائر أفرع القوات المسلحة .

٩ – تثير قضايا حساسة في مجال الدبلوماسية بما في ذلك الحصول على معلومات عن الأهداف من إسرائيل .

قبل الثامنة من صباح اليوم التالي استدعى الوزير تشيني نائبه «دون اتوود» ورئيس الأركان الجنرال «باول» وأبلغهما باعتزامه فصل الجنرال «دوجان» من الخدمة وتلا ذلك مناقشة حول ردود الفعل والآثار المترتبة على ذلك ، فلا شك أن الطرد سوف يلفت النظر إلى بعض تصريحات «دوجان» التي لم تلتقطها بعد وكالات الأنباء والمؤسسات الصحافية الكبرى في ذلك الصباح ، وكم من فضائح حقيقية كانت في طريقها إلى الخمود فأشعل نارها من جديد رد الفعل الرسمي .

وعندما وصل دوجان استعرض أمامه وزير الدفاع الملخص الذي دونه سائلاً الجنرال عن صحة نسبة التصريحات إليه شخصياً .

- أجاب دوجان أنه فعلاً أفضى بفحوى هذه التصريحات .

- قال تشيني أنه مضطر لاعفائه من مسؤولياته كرئيس أركان حرب سلاح الطيران ، وجاء الأمر حاسماً ، لا لبس فيه ، ثم قرأ عليه الوزير النقاط التسع التي تبرر قرار الإعفاء ، ثم قال إن ملاحظات الجنرال واللهجة التي استخدمها إنما تشير إلى استهانة وزارية بمستوى القوات العراقية . وهنا أردف تشيني يقول :

- إذا كنت أنت نفسك بصفتك رئيس أركان الجو لا تأخذ العراقيين على محمل الجد ، فلست إذن بالرجل المناسب لقيادة سلاح الجو في المستقبل .

- أنت مسرح من الخدمة .

ولم يكن دوجان يقول شيئاً .

ولم يستشر في هذا الأمر لا وزير الطيران دونالد راس ولا الجنرال شوارزكوف .

ثم طلب تشيني الرئيس بوش هاتفياً وطلب إلى سكرتير الرئيس إبلاغه أنه تم إعفاء رئيس أركان الطيران . لم يشأ تشيني أن يفاجيء بوش إطلاقاً .

في نفس الصباح توجه «تشيني» ليلقى خطاباً في رابطة الطيران التي تضم في عضويتها ٢٠٠ ألف على المستوى القومي ، وقرر ألا يعلن نبأ الفصل في هذا التجمع، كان يريد إتاحة بضع ساعات للجنرال «دوجان» ليبلغ من يشاء بالنبأ قبل أن يتسرب إلى الخارج .

وعندما وصل وزير الدفاع إلى البيت الأبيض في التاسعة عشرة والنصف لتصريف الأمور انتحى إلى مكتب جانبي يكتب بياناً بالقرار ليذيعه على الصحافة ،

تعمد أن يصوغ أسبابه بدقة دون أن يورد أية ألفاظ خطابية يؤذي «دوجان» بل شاء الوزير أن تكون البلاغة في قرار التسريح نفسه لهذا تعمد تشيني أن يستخدم أربع مرات تعبيراً مائعاً هو غير مناسب ليصف به تصرفات «دوجان» وأكثر من هذا فالبرغم من أن الوزير تشيني قد تحادث في الأمر مع الرئيس بوش وغيره من المسؤولين فقد شاء أن يتحمل مسئولية القرار بمفرده قائلاً :

** إنه قراري ومسؤوليتي ، وقد مارستها .

ورغم أنه لم ترتفع صيحات أو تعبيرات شجب أو استنكار أو لعن للوزير تشيني إلا أن رجال سلاح الطيران الأميركي كانوا يطرحون سؤالاً كبيراً واحداً حول هذه الحادثة ، يقول :

ألم يسفر قرار تشيني بإعفاء رئيس الأركان إلى النيل بصورة ما من جدارة القوة الجوية وقيمتها ؟

# (٦)

في ٢١ سبتمبر ١٩٩٠ .. سمع العالم لأول مرة الاسم المهيب الصادر عن المهيب الركن صدام حسين .. سمع الناس تعبير «أم المعارك» ضمن سطور ملتهبة بالخطابة الطنانة حواها بيان وصف بأنه «عنجهي» صدر عن مجلس قيادة الثورة في بغداد يقول أنه لم تعد تلوح أي فرصة لأي تراجع ويعرف الجميع أن هذه المعركة سوف تكون «أم المعارك» ..

لكن الرئيس الأميركي بوش كان مشغولاً بشأن آخر غير البيانات الحماسية الملتهبة الصادرة عن صدام حسين .

إذ أن صور الأقمار الصناعية وغيرها من معلومات الاستخبار التي قدمت إلى بوش أوضحت أن العراق كان ماضياً في تفكيك الكويت وتجريدها بصورة منظمة اتخذت شكل سلب ونهب الدولة بأكملها . كل شيء له قيمة كان ينقل إلى العراق ، السكان تعرضوا لعمليات الترويع والإرهاب والجوع والضرب والقتل ، كانت الكويت في طريقها كي تصبح بسرعة .. أرضاً مستباحة ، هكذا أبلغوا بوش ، وكان بوسعه أن يرى هذه الحقيقة بأم عينيه .

وادعت المخابرات الأميركية أن صدام حسين كان له ٤٣٠ ألف جندي في الكويت وجنوب العراق ، وكانت قواته تتحصن في خنادقها وتقوي دفاعاتها على نطاق أوسع . وهذا جعل من هجوم يشنه صدام على السعودية أمراً مستبعداً ، فلكي يتم

مثل هذا الهجوم ، كان يتعين على العراقيين أن يتحركوا على امتداد ما يسمى باسم مناطق الهلاك وهي مساحات شاسعة من الصحراء المترامية الأطراف حيث يمكن أن تنشر الولايات المتحدة قواتها ودباباتها في ظل تفوق جوي وفي وجود القوات البرية التابعة للجنرال شوارزكوف .

ورغم أن أمريكا كان لها أقل من نصف قوات العراق على مسرح العمليات إلا أن وزير الدفاع تشيني ورئيس الأركان الجنرال «باول» أبلغا الرئيس بوش أنهما باتا يشعران بالإطمئنان إلى أن القوات الأميركية تستطع أن تدافع عن السعودية .

أما يوم الجمعة ٢١ سبتمبر فقد أسموه في واشنطن «يوم الأمير» وقد شهد هذا اليوم أول زيارة يقوم بها أمير الكويت إلى البيت الأبيض ، حيث اجتمع في المكتب البيضاوي مع الرئيس بوش .

وبعد الزيارة ذكر بوش أن الكويت تسابق الزمن ويكاد يسبقها ، ومن المؤكد – أضاف بوش – إنها لن تعود كسابق عهدها إذا انتظروا العقوبات الاقتصادية المفروضة على صدام حتى تفعل فعلها. على أن تأثير أمير الكويت شخصياً كان واضحاً ، فضلاً عن القصص التي حكيت عن الدمار على نحو ما أكدته تقارير الاستخبارات. الأمر الذي استطاع تشيني وباول أن يطالعاه على وجه الرئيس بوش نفسه كان بوش قد تأثر شخصياً بهذا الأمر وقال سوف يفشل العراق وسوف تصمد الكويت .

لكن ثمة رجلاً ساخطاً كان يرغي ويزبد عبر آلاف الأميال في صحاري الشرق الأوسط .. كان هذا الرجل هو الجنرال شوارزكوف المقيم في مقر قيادته الميدانية ، السعودية والذي كان في حالة الاستفزاز العصبي بشأن حجم التعبئة العسكرية العراقية ومن ثم انهالت اسئلته إلى واشنطن عن الأهداف التي تسعى إليها الولايات المتحدة ، وحجم القوات التي ستحشدها ، ورغم أن الهدف المعلن لدى شوارزكوف

كان لا يزال هو الدفاع عن السعودية ، إلا أن الجنرال كان يتابع باستمرار تصريحات بوش المتوالية التي نقلت المهمة من الدفاع عن السعودية إلى هدف تحرير الكويت ، لهذا ظلت مكالمات شوارزكوف إلى رؤسائه في البنتاجون تسعى إلى استشراق الأفق والتماس المداخل التي تدور حول السؤال المطروح .

ثم ماذا .. بعد ؟

لا عجب إذن أن يأتيه عبر الهاتف صوت الجنرال باول وزيره تشيني قائلاً في أوائل أكتوبر ١٩٩٠م :

علينا أن نسعى لاستصدار قرار .

وكان يقصد أن على الرئيس بوش أن يبلغهم ما إذا كانوا سيواصلون حشد القوات .أو الكف عن ذلك في موعد ملائم قبل حلول يوم أول ديسمبر وهو الموعد المحدد لاستكمال عملية حشد جميع القوات التي طلبت بهدف الدفاع عن المملكة العربية السعودية .

لكن وزير الدفاع لم يبد كثيراً من الاستجابة .

لهذا جلس الجنرال «باول» يدون ملاحظاته الشخصية حول تقدير تطورات الموقف وكان يرى أن سياسة الاحتواء والخنق التي سبق ونادى بها قد بدأت تؤتي ثمارها . فقد أمكن تشكيل تحالف استثنائي غير مسبوق في التاريخ من الناحيتين السياسة والدبلوماسية ضد العراق والذي أصبح أو كاد يصبح وحيداً معزولاً بغير حلفاء - مدانا ومنبوذاً كما لم يحدث لأي بلد من قبل في التاريخ المعاصر ، ثم أن معلومات المخابرات توضح كيف أن العقوبات الاقتصادية أدت إلى قطع ما يصل إلى ٩٥٪ من واردات صدام وإلى وقف جميع صادراته تقريباً . وهكذا يمكن القول أن صدام يكاد يختنق داخل سجن أسمه العراق والكويت .

لكن باول شعر أن نتيجة الحصار لا يمكن قياسها في أسابيع ، وقد تستغرق شهوراً لكنه سيأتي يوم أو لحظة في غضون شهر أو في مدى ستة أشهر وبعدها لا يصبح بحوزة صدام سوى الرطل الأخير من الأرز وبعدها يمكن للعقوبات أن تطلق العنان لرد فعل ما (داخل العراق) .

لكن العقلية السياسية في وزارة الدفاع وهو بول ولفوفتش وكيل الوزارة للشؤون السياسة أبلغ «باول» أنه لا ينبغي تحديد موعد نهائي لسريان مفعول الجزاءات والعقوبات الاقتصادية . إن اتباع سياسة تقول صراحة أو ضمناً بأن العقوبات سوف تؤتي مفعولها مثلاً في سنة أو ١٨ شهراً تعطي لحاكم العراق ذريعة يطلب فيها من شعبه أن يصمد ويتحلى بالصبر مدة كذا من الشهور القادمة .

الغريب أن باول عندما توجه إلى الوزير تشيني ليتكلم عن مفعول ما دعا إليه في بداية الأزمة عن اتباع سياسة الخنق أو الاحتواء – لم يكن قد دون طروحاته في خطة ولا في أي ورق رسمي أو مستند مكتوب ، ومع ذلك ، يواصل المؤلف – قد أوضح باول أنه إلى أن يثبت أن العقوبات السياسية قد فشلت فلسوف يكون من الصعوبة بمكان إعلان الحرب (ضد صدام) ، ثم أضاف رئيس الأركان الأميركي يقول :

أنه لو كانت هناك فرصة واحدة لإمكانية نجاح العقوبات ، فقد يكون من الواجب الملزم مواصلة الانتظار – على الأقل حتى نقطة معينة – وأي إقدام على عمل سابق لأوانه ، بينما لا تزال هناك فرصة لتحقيق الأهداف السياسية عن طريق العقوبات سيكون غلطة فادحة .

لكن وزير الدفاع تشيبني رد على رئيس الأركان بقوله :

لا أدري .. ولا أظن أن الرئيس (بوش) سوف يقتنع بهذا الطرح (نص كلماته

سوف يشتري منك هذه البضاعة ) أما الوزير تشيني نفسه فلم يكن مقتنعاً بأن سياسة الاحتواء كافية ولا بأن العقوبات يمكن أن تحقق النجاح .

إن الرئيس كان ملتزماً بأهداف السياسة في حين أن حكاية الاحتواء معناها ترك الكويت في يد صدام ، وهذا بحد ذاته معناه فشل في السياسة وهو أمر لن يقبله الرئيس بوش . لكن كان في جعبة رئيس الأركان باول سهاما أخرى يصفها مؤلف كتابنا على النحو التالي :

« كان الجنرال باول قلقا لأنه ما من امرىء يطرح بدائل أخرى أمام الرئيس بوش ، ومعنى هذا أن الرئيس يمكن أن يكون محروماً من الاستماع إلى كل ما ينبغي أن يستمع إليه ، بينما ما ينبغي أن يكون هو أن يتوفر أمامه قائمة كاملة بالبدائل والخيارات » .

لهذا قرر «باول» أن يجرب مسلكاً آخر ، هو أن يجتمع إلى وزير الخارجية جيمس بيكر . يضيف مؤلف كتابنا :

كان بيكر وزير الخارجية هو الحليف الرئيسي للجنرال باول في مستوى كبار المسؤلين في الإدارة الأميركية كان الرجلان يتماثلان في التفكير حول عدة قضايا ، فكلاهما كان يفضل إجراء الصفقات وعقد التسويات بدلاً من المجابهة وعنف الصراع. وكلاهما كان يجهد في شرح آرائه للصحافة بحيث تصفها في إطارها المنضبط السليم .

ثم أن وزير الخارجية بيكر لم يكن سعيداً بالحديث عن استخدام أو طرح خيار يقضي بالهجوم العسكري كان يريد الدبلوماسية - ويعني وزير الخارجية - أن يحقق النجاح السياسي المنشود ، ويومها أبلغ باول أنه أشار على موظفيه ليعكفوا على تحليل لمزايا سياسة الاحتواء ، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى إجراء مناقشة أقرب مع المقربين للرئيس بوش حول الاحتواء .

لكن لم يحدث أية مناقشة في البيت الأبيض .. بينما تأكد لدى الجنرال باول أن الرئيس بوش عاقد العزم والإصرار بغير هوادة على ضرورة أن تحرر الكويت .

ولم يستتر فرح بوش رغم الإحباطات التي بدأت تتراكم في البيت الأبيض بعد أن مضى شهران وأكثر دون أن تفلح لا قرارات الأمم المتحدة ولا الدبلوماسية والعقوبات الاقتصادية ولا الخطب العصماء في أن تلوي ذراع صدام .

ثم كانت جولة الجنرال باول الأخيرة مع سكاوكروفت أقرب المقربين إلى الرئيس بوش وصاحب الباع الطويل في البيت الأبيض بصفته مستشار الرئيس للأمن القومي.

في المقابلة التي تمت بين المسئولين الأميركيين شكا سكاوكروفت من الإجهاد الذي بدأ ينتابه لأنه يحاول إدارة شئون رئيس دولة نشط بصورة لا يصدقها عقل ، ولا يكف (بوش) عن الإدلاء ببيانات وعقد مؤتمرات صحفية شبه يومية والسهر حتى الفجر ليجري مكالمات هاتفية (مع رؤساء الدول ومراعاة لفرق التوقيت) ويرتب لعقد اجتماعات .. في أيام العطلة الأسبوعية الويك أند .. فإن الرئيس بوش يجتمع إلى عدد من الناس بأكثر مما يفعل الآخرون في أيام عملهم العادية طيلة الأسبوع .. تصور يا جنرال! لكن عندما طرح الجنرال حكاية اتباع سياسة الاحتواء وانتظار ثمار العقوبات الاقتصادية بادره سكاوكروفت قائلاً في حسم :

إن الرئيس بات مقتنعاً بصورة متزايده بأن العقوبات لن تحدث أثرها ثم أوضح سكاوكروفت إنه يستطيع قراءة أفكار رئيسه فضلاً عن أن بوش لم يخف تصميمه وهو لن يغير من هذا التصميم .

هكذا تسنى للجنرال باول أن يرى كيف أن سكاوكورفت يتفق مع بوش بل ويعزز اتجاهات بوش أيضاً ويفكر باول أيضاً ، إن هذا واجب سكاوكورفت بوصفه مستشاراً للأمن القومي :

أن يكون مرآة للرئيس - لكن ليس من واجب مستشار الأمن القومي وهو ساعد الرئيس الأيمن في إدارة السياسية الخارجية ، أن يطرح عليه دائماً تشكيلة متنوعة من الخيارات ؟

المشكلة أن سكاوكروفت كان لديه مزيدا من الاستعداد لخوض الحرب ، فالحرب في رأسه ماهي إلا أداة من أدوات السياسة ، ولم يكن الجنرال باول مخالفاً لهذا الرأي - لكن المشكلة أن صاحبنا يتحدث عن هذه الأداة بصورة مجردة .. استبعد منها الرجال والنساء البشر الحقيقيين (الذين سيحاربون) وجوه معظمهم تفصح عن أنهم لا يزالون فتية في مطلع الصبا وهي الوجوه التي طالما طالعها الجنرال باول أثناء زياراته للقوات .. وهاهو مستشار الأمن القومي سكاوكروفت جالس في مكتبه بالجناح الغربي من البيت الأبيض بعيداً .. وهاهي القوات بعيدة ونائية بدورها .. وعاد الحوار بين المستشار السياسي والجنرال العسكري يدور متصاعداً على نحو ما عرضه المؤلف .

قال الجنرال باول :

لو كان هناك بديل عن الحرب ، فأنا أريد أن استوثق من أن الأمر خضع لدراسة كاملة ولو كانت هناك أية مهمة لتحقيق الأهداف بغير استعمال القوة فلابد من استكشاف تلك الاحتمالات .

هنا نفذ صبر المستشار فقال :

- إن الرئيس يبذل كل جهد لايمكن لأحد أن يتخيله .

وغادر الجنرال البيت الأبيض ، ولشد ما أصبح يضيق من اجراءات واجتماعات مجلس الأمن القومي ..

لقد بدا سكاوكروفت عاجزاً أو عازفاً عن تنسيق وتعميق جميع عناصر سياسة

الولايات المتحدة في الخليج – العسكرية والدبلوماسية والإعلامية والاقتصادية وتلك المتعلقة بالأمم المتحدة (ويذكر باول) كيف تدور الاجتماعات التي يحضرها كبار المسؤولين ويشهدها الرئيس بوش الذي يحرص على وضع كل من يجلس إلى طاولة الاجتماع في جو من المودة والابتسام .. يروي النكات .. يتحدث بروح الزمالة يبدو في ثياب الصديق العزيز القديم ، هكذا لم يكن يتاح مناقشة كاملة للمواقف والبدائل وكانت المقاطعات أمراً مألوفاً ، ولهذا قلما أسفرت الاجتماعات عن قرارات واضحة ولهذا كان وزير الدفاع تشيني ورئيس الأركان باول يعودان بعد الاجتماع وهما يتساءلان : ماذا يعني كيت ؟ وماذا يقصد بكذا ؟ وماذا ينبغي أن نفعل ؟ وكثيراً ما كانا يتذرعان بالانتظار ريثما يسمعان الإجابة من المستشار سكاوكروفت .... أو .... من .... التليفزيون ! من هنا تركوا الرئيس بوش في زاوية وكأنه أسير تصريحاته المتكررة .. ولقد أصبح الهدف الآن ، أكثر من أي وقت مضى ، هو : تحرير الكويت بأي تكاليف ممكنة .

ومن هنا أيضاً لم تمض سوى أيام حتى أبدى الرئيس بوش رغبته في أن يسمع موجزاً مباشراً حول الشكل الذي يمكن أن تتخذه عملية هجوم ضد قوات صدام حسين في الكويت ولما كان هذا التخطيط يتم ميدانياً بمعرفة الجنرال شوارزكوف فقد طلب إليه أن يستعد لإيفاد كبير ضباطه لتنفيذ المهمة .

وعندما ذهب قائد القوات البرية ليزور شوارزكوف في السعودية يوم ٦ أكتوبر كان قائد عملية درع الصحراء في حال من القلق والتوتر والاستفزاز لدرجة أن جسمه الضخم ، بدا وكأنه على وشك أن ينفجر من لباسه العسكري الصحراوي ..لأن القوم في واشنطن يتحدثون عن عملية هجوم وشيكة والرئيس طلب موجزاً بالعملية ، وجريدة نيويورك تايمز تحدثت عن ١٥ أكتوبر لبدئها ...

كان شوارزكوف يتميز من الغيظ إن القوم في واشنطن كما يرى يهزلون ..

وهو ليس على استعداد لتقديم مثل هذه الخطة فهو لم يتلق إنذاراً بالتأهب وهو لا يريد أن يدفعه أحد دفعاً إلى عمليات هجومية قبل أوانها .. ولكن ها هو الآن وقد بات يخشى أن يستيقظ (في واشنطن) واحد من أولاد ...... ذات صباح يقول هيا فلنبدأ العد التنازلي للهجوم ، إنه يحتاج إلى شهرين على الأقل لأعمال الدفاع وسبق أن أبلغ الرئيس في أغسطس أن الاستعداد للهجوم سوف يستغرق من ٨ إلى ١٢ شهراً وهذا معناه مارس القادم ( ١٩٩١م ) ثم يأتون الآن في أكتوبر يطلبون خطة هجوم يريدون تنفيذها على الفور ؟

يقول قائد الجيش البري الزائر إنه بعد أن استمع لزميله شوارزكوف استطاع أن يعاين كيف أن صديقه القديم كان فريسة شعور بالوحدة والقلق الشديد .

في ١٠ أكتوبر ١٩٩٠م جاء إلى البنتاجون الميجور جنرال جونستون كبير مساعدي شوارزكوف اجتمع مع تشيني وباول وكبار العسكريين في أشد مواقع البنتاجون سرية كي لا يتسرب أي خبر للصحافة .. بدأ الجنرال جونستون بتوضيح إنه جاء يحمل بالفعل خطة للهجوم وضعت بقيادة شوارزكوف في ٣٨ ساعة واشتملت على أربع مراحل رئيسية .

## (٧)

وأخيراً حصل الرئيس الأمريكي بوش على خطة الهجوم التي طلبها بصفة عاجلة ، وعلى غير توقع من مقر قيادة الجنرال شوارزكوف في الظهران ، رغم تبرم قائد عملية «عاصفة الصحراء» واللعنات التي أمطر بها المحيطين به . إلا أن الخطة الهجومية المطلوبة لرئيس الدولة أعدت في ٤٨ ساعة وحملها رئيس أركان الجنرال شوارزكوف وهو الميجور جنرالروبرت جونستون إلى واشنطن حيث جلس عسكريو القمة في الولايات المتحدة في غرفة عمليات فائقة السرية يستعرضون الخطة .

- قسمت الخطاب إلى أربع مراحل على نحو ماشرعه الجنرال جونستون ، المراحل الثلاث الأولى عبارة عن حملة جوية تقتصر فحسب على سلاح الطيران دون غيره ، أما المرحلة الرابعة (الأخيرة) فكانت مرحلة الهجوم البري .

(١) المرحلة رقم واحد كانت هجوما جوياً على مقر القيادة العراقية وعلى مواقع السيطرة والاتصالات للمراقبين في محاولة لعزل صدام حسين في بغداد عن قواته في الكويت وجنوبي العراق .. في الوقت نفسه تكلف القوة الجوية بتدمير سلاح الجو العراقي ونظام الدفاع العراقي ، بالإضافة إلى ذلك تشمل المرحلة الأولى (من خطة الجنرال شوارزكوف) هجوماً جوياً لتدمير مرافق الأسلحة العراقية ، الكيميائية والبيولوجية والنووية على السواء .

(٢) المرحلة الثانية كانت قصفاً جوياً مكثفاً ومتواصلاً بغير هوادة على القواعد

العراقية للإمداد والعتاد ومرافق النقل والطرق ، والهدف منها هو قطع السبل تماماً على إمداد وتموين القوات العراقية .

(٣) المرحلة الثالثة كانت هجوماً برياً وجوياً على القوات البرية العراقية المؤلفة من ٣٤٠ ألف جندي متحصنين في الخنادق ، والاستحكامات ، فضلاً عن قصف جوي لقوات الحرس الجمهوري (الصدامي) .

تقضي الخطة بأن تتداخل هذه المراحل فيما بينها إلى حد ما ، فبعد ما لا يزيد عن أسبوع من بدء المرحلة الجوية الأولى ، تكون المرحلة الرابعة قد بدأت على القوات العراقية في الكويت ، من هنا حمل الجنرال جونستون (مساعد شوارزكوف) شريحة تعرض بالسينما عليها خريطة ذات أسهم كبيرة ثلاثة منها تبين نقاط الهجوم الثلاث التي ستضرب منها قوات التحالف ، السهم الأول يمثل قوات المارينز «مشاة البحرية الأميركية» في هجوم بر مائي ينطلق من الخليج ، والسهم الثاني بين الجيش الأمريكي في هجوم علي الأرض يشن مباشرة على خطوط العدو فيما تحمى (القوة المصرية أيضاً) أحد جانبي أو جناحي القوات الأميركية .

وهنا طرح تشيني وباول وعدد من العسكرين الحاضرين أسئلة متوالية : هل بالمستطاع الإعتماد على المصريين لحماية القوات البرية الأميركية ؟ .. وماذا عن قوات الدعم في المؤخرة إذا ما رد العراقيون بهجوم مضاد ؟ ثم إنهم أرادوا أن يعرفوا مدى إمكانية تحريك القوات الأميركية من منطقة الغرب على طول الحدود العراقية ومن ثم تهاجم الجيش العراقي من الجنب ومن الخلف ، وهل يمكن أن يعاد نشر القوات الأميركية بسرعة تكفي لأن لا يعرف العراقيون بهذه العملية .

وقيل أن التحليل الموقعي الميدني أوضح أن الصحراء العراقية كانت ناعمة ورطبة لدرجة لا تحتمل المعدات اللازمة ، هكذا أجاب الجنرال جونستون .

كان الجنرال «كيلي» رئيس العمليات متأكداً من أن هذه الخطة الأولية لن تصمد للتحليل طويلاً أو التدقيق ، ذلك أن هناك قاعدتين رئيسيتين في الحرب هما :

- لا تهاجم قط مواقع قوة للعدو .

- إذهب إلى حيث لا يذهبون هم .

من هنا كانت الخطة (برأس الجنرال كيلي) بحاجة إلى تحريك .

أما وزير الدفاع تشيني فقد شعر بكثير من الارتياح إزاء المراحل الثلاث للهجوم الجوي التي اشتملتها الخطة، وبدأ التخطيط في رأيه مفصلاً وكاملاً ، وحتى بعد طرد الجنرال دوجان (قائد الطيران المدني ذهب ضحية تصريحاته التي تحدثت عن الهجوم الجوي على بغداد) . فإن سلاح الطيران كان يقول أساساً إنه يستطيع تحمل المسئولية ..وها هو تشيني يدرك أن القوة الجوية ستكون لها مزايا هائلة عديدة في الصحراء .. فضلاً عن أن الخطة تتوقع أن يتم معاودة ضرب الأهداف التي لا يتسنى قصفها في الأطوار الأولى .. مرة ومرات حسب الضرورة .

بيد أن المرحلة الرابعة ، بدت في عين وزير الدفاع تشيني - وهي مرحلة الهجوم البري - بدت قاصرة غير مكتملة ، كان الأمر يقضي بإرسال الوحدات الهجومية من الجيش ومشاة البحرية ضد قوة عراقية دفاعية يمكن أن تفوق الأمركيين عدداً - حسبما سيبقى من قوات صدام بعد القصف الجوي هذا الأمر بدا مفتقراً إلى الحكمة حتى في عين رجل مدني مثل وزير الدفاع ديك تشيني الذي لاحظ أيضاً أن كثيراً من القوات الأميركية مسلحة بأسلحة خفيفة وقد يتعين عليها أن تقاتل دروعاً ودبابات ، ولا يوجد احتياطي للدعم والمساندة ، ثم تساءل أيضاً عن مدى استمرارية تزويد القوات البرية الأمركية بالطعام والوقود والذخيرة ، ثم طرح وزير الدفاع السؤال:

- بالنسبة للقوات البرية التي يتعين عليها أن تهاجم مباشرة في قلب الدفاعات ، والاستحكامات العراقية وهي موطن قوة العراقيين .. لماذا تهاجم في الوسط مباشرة ؟

فكر الجنرال جونستون قليلاً ثم قال أن الخطة مبدئية .. وما أن انتهى جونستون من عرض آخر شريحة فيلمية على المجتمعين حتى كانت مرحلة الهجوم البرية – الرابعة – من الخطة التي حملها – قد أصبحت أشلاء ممزقة (من التنفيذ والانتقاد) وقد خلص وزير الدفاع تشيني إلى أن قال :

– إن قيام القوات الأميركية بهجوم الآن في المواقع التي تقضي عليها بها هذه الخطة سيكون مخاطرة من نوع جسيم .

ورد الجنرال جونستون بقوله أن ثمة فرصة سانحة في حدود ستة أسابيع تبدأ من حوالي أول يناير ١٩٩١م وحتى ١٥ فبراير وهي الفترة التي يستحسن فيها شن الهجوم بعد ذلك يصبح القتال صعباً نظراً لظروف الطقس ولاستعدادات الأعياد والعطلات الإسلامية من جهة أخرى رمضان وما بعده .. ويمكن أن يبدأ المطر الغذير في مارس وتصل درجة الحرارة إلى ١٠٠درجة فهرنهيت أو أكثر (٤٧–٥٠مئوية) .

شعر الوزير تشيني أن من واجبة إبلاغ الرئيس بوش بموجز الخطة – فالرئيس يريد أن يعرف بالضبط إلى أين وصل الجنرال شوارزكوف ؟

وماهي الأوضاع التي اتخذتها القوات على مسرح العمليات ؟ وماذا يمكن أن يحدث لو صدرت الأوامر بعمليات الهجوم المرتقبة ، كان ينبغي أن يوضع في الصورة على الأقل كل من الرئيس بوش ومساعديه سنونو وسكاوكورفت بالنسبة لجسامة المهمة المطلوبة . لم يكن تشيني يريد أن يدخل إلى البيت الأبيض قائلاً :

– هاكم الخطة ، هوب .. هيا للتنفيذ .

الرئيس لابد أن يكون على بينة من المخاطر والتكاليف والمغارم والتوقعات خطوة بخطوة .

ها هو تشيني وقد بات يدرك وقع فيتنام على بوش ، ولقد وعى الرئيس الدرس

واستوعبه جيداً – أرسل من القوات ما يكفي لأداء المهمة ولكن لا تجعل يد القادة مغلولة ، ولقد سبق لوزير الدفاع تشيني أن قال في خطاب ألقاه في كاليفورنيا يوم ١٢ سبتمبر .

– إن الرئيس ينتمي إلى مدرسة اسمها مدرسة «عدم التهويش الفارغ» في مجال الاستراتيجية العسكرية .

ورغم هذا الوصف ، إلا أن تشيني كان متأكداً بأن الرئيس لم يهدف إلى القعقة الطنانة بالسلاح ، وهذا يعني أن الخيار العسكري صار قائماً وأصيلاً .

في اليوم التالي ١١أكتوبر ١٩٩٠م توجه الجنرال جونستون إلى البيت الأبيض، أما رئيسه المباشر ، الجنرال شوارزكوف فكان يحس بالتعاسة حيث لم تتح له الفرصة ليضع الرئيس بوش في صورة تلك المواضيع الشديدة الأهمية ، وكانت مهمة جونستون أن يقدم عرضاً للخطة أمام الرئيس جورج بوش .

تمت المقابلة في قاعة «المواقف» في البيت الأبيض واستغرقت ساعتين قوطع الرئيس فيها عدة مرات .. ورواده أسئلة كثيرة حول الموضوع وكذلك سكاوكروفت وخاصة فيما يتصل بحقول الألغام ونظم الأسلحة ... وكان جونستون يأمل أن يسفر شرحه عن إثبات أن القوات الموضوعة حالياً تحت أمرة شوارزكوف ليست كافية لشن الهجوم .

كان رد فعل بوش مماثلاً لاستجابة وزير الدفاع تشيني وخاصة بالنسبة للمرحلة – الرابعة البرية من الخطة .. وساد الرأي بأن العسكريين ليسوا على استعداد لعملية هجوم – أي لم يكن لديهم القوة الكافية للهجوم ، هنا سأل الرئيس بوش :

– ما الذي يمكن أن يكفيهم ؟

وعد وزيرالدفاع بأن يعود إلى الرئيس بإجابة مفصلة وفي أقرب وقت بغير توان.

ولكن وزير الدفاع توجه في رحلة أسبوع كامل إلى أوربا والاتحاد السوفياتي للاجتماع مع حلفاء الولايات المتحدة ومؤيدي قرارات الأمم المتحدة الصادرة ضد العراق ، لها تركزت الأضواء الإعلامية على رئيس أركان الحرب الجنرال «كولن باول» الذي كان لابد وأن يظهر على الشاشات وفي مناسبات الخطابة ويدلي بالتصريحات الصحافية المعدة للنشر حول أبعاد المواقف المختلفة .

بل إن الرئيس بوش طلب إلى «باول» أن يلقي بدلاً عنه خطبة في الاحتفال بمئوية الرئيس الأسبق داويت ايزنهاور في ولاية كانساس يوم ١٤ أكتوبر ١٩٩٠م . وعندما كان باول يعد خطابه في كانساس اكتشفت أن القائد المقاتل العظيم في الحرب العالمية الثانية كان أيضاً من أخلص مؤيدي فرض الحدود وكبح الجماح فقد كان إيزنهاور لا يثق في السلطة ولا في العسكريين ولذلك اتبع وقت رئاسته (في الخمسينات) سياسة يفضل فيها «الاحتواء» بدلاً من الحرب والقتل.

لهذا وصف باول خطابه في تلك المناسبة بأنه كان من القلب إذ قال فيه :

إن الجنرال إيزنهاور لم يكن داعية للحرب بل كان داعية سلام .

ولما كانت خطة شوارزكوف الهجومية تعتمد في مراحلها الثلاث على الطيران فقد تلقى الجنرال «باول» من كبير مساعديه لشؤون الطيران « ورقة توقف» تطرح الخيارات الجوية الأربعة التالية :

(١) الإبقاء على الوضع الراهن (في مسرح الخليج)الذي يقضي بالردع والدفاع .

(٢) الاستعداد لعملية احتواء طويل الأجل .

(٣) خوض الحرب .

(٤) زيادة وتصعيد الحشد بإضافة قوات تكفي للاشارة إلى إحتمال هجوم حقيقي .

ثم أشار المساعد الطيار لرئيس الأركان أنه كان شخصياً يفضل الخيار رقم (٢) الذي يفضي بسياسة احتواء طويلة الأجل مع زيادة الضغط على صدام خلال العقوبات الاقتصادية .

وساعتها جهد الجنرال باول في أن يخفي الخيارات التي يفضلها قائلاً : أن المسألة حتى الآن في يد رجال السياسة .. وكان «باول» يشعر أن البيت الأبيض ربما تعين عليه أن يخفي الاستنتاجات التي توصل إليها حتى عن أقرب العاملين معه .

وكان وزير الدفاع تشيني يريد تخطيطاً عسكرياً يبعد القوات عن مكان قوة العراقيين من حيث التحصينات والاستحكامات ، لهذا طلب من رئيس الأركان أن يفكر في خطة هجوم بري إلى داخل العراق من نقطة بعيدة إلى الغرب على طول الحدود السعودية على مسافة ٣٠٠ - ٤٠٠ ميل من الكويت وباتجاه الحدود الأردنية ، مثل هذا الهجوم المفاجيء من المشارف الغربية المفضية إلى بغداد الواسعة سيضع القوات البرية الأميركية أو غيرها في مواقع خالية من التحصينات والمقاومة العراقية ثم سيقطع المواصلات بين بغداد والأردن وتسمح بهجوم بري مباشر على المواقع التالية لإطلاق صواريخ «سكود» في غرب العراق التي تهدد إسرائيل . وسرعان ما عاد الجنرال باول بإجابة على طلب وزير الدفاع :

- كلا .. تلك مسافة بعيدة بالنسبة لنقل القوات الأميركية .

في ٢١ أكتوبر سافر رئيس الأركان باول إلى السعودية ليلتقي بالجنرال الميداني شوارزكوف وجنوده .

قال شوارزكوف بصراحة إنه ليس مقتنعاً حتى الآن بأن الحل هو عملية الهجوم - إن إخراج صدام عند هذه المرحلة من الكويت عملية قذرة ودموية .

فهل يعرفون ذلك في واشنطن ؟

رد الجنرال باول :

- أجل إنهم يعرفون .

هنالك بدأ شوارزكوف يعدد طلباته لشن الهجوم المطلوب ، فطلب مضاعفة القوة الجوية وعدد حاملات الطائرات من ثلاث إلى ست حاملات وكذلك مضاعفة مشاة البحرية والقوات البرية .. وأخيراً قال شوارزكوف :

- أريد الفيلق السابع .

ولو كان قد قالها من سنة لأصيب مستمعوه بالذهول ! الفيلق السابع ، كان المحور الجوي للدفاع البري للولايات المتحدة في أوروبا .. لكن شوارزكوف طلبه طالما ابتعدت المواجهة مع السوفيات وعلى ضوء انهيار حلف وارسو وبالتالي الزوال الفعلي لهذا الحلف كخطر أو تهديد - كل هذا جعل الطلب ممكناً .

أجاب الجنرال باول أنه سيدعم هذه الطلبات . وعندما اجتمع بكبار الضباط أوضح لهم أن الرئيس بوش لم يحسم أمره بعد وأن عليهم أن يستعدوا للهجوم وفي الوقت نفسه يواصلون خطة الدفاع .

وعندما اجتمع إلى الجنود خطب فيهم قائلاً :

أعرف أنكم تريدون الإجابة عن سؤالين :

- ماذا سنفعل هنا بعد ذلك ؟

- ومتى نعود إلى الوطن ؟ وليس بوسعي أن أعطيكم إجابة عن السؤالين لأنه يتعين علينا أن نعطي قادتنا السياسيين وقتاً للوصول إلى الأجابه .

وأحس أن الجنود فهموا رأيه .. لكن إلى أي مدى سوف يدوم صبرهم ؟ إن الجنود قد يحاربون من أجل قيم أصيلة في الوطن بقليل من الذود عن أرواح مواطنيهم الأمريكيين .يحاربون في سبيل زعمائهم أو رؤسائهم أو حتى قادتهم . لكن هل سيحاربون من أجل بلد آخر .. مثل الكويت ؟ .. أو لضمان أن لا يكافأ رجل اسمه صدام على عدوانه .. ؟

تلك هي المسألة !

## (٨)

في يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٩٠م تم استدعاء وزير الدفاع الأميركي ديك تشيني إلى البيت الأبيض ، كان الرئيس بوش قد فرغ من مشاكل داخلية منها ميزانية الولايات المتحدة وأصبح لديه الوقت للتركيز على عدد من المسائل والقضايا التي سبق وناقشها مع وزير دفاعه تشيني .. في مقدمتها قضية يلخصها سؤال مباشر ، حسن كم عدد القوات الإضافية المطلوبة في الخليج ؟

قال الرئيس بوش : إنه يتجه نحو إضافة القوات اللازمة لشن هجوم لطرد القوات العراقية من الكويت ، لكن لا ينبغي إعلان أي خبر في هذا الشأن إلا بعد انتهاء الانتخابات البرلمانية في ٦ نوفمبر ، لأن أي خطوة في هذا الصدد قد تفسر على أنها محاولة للتأثير على الانتخابات .

مع ذلك فقد أزمع الوزير تشيني أن يشير إلى هذا الأمر تلميحاً ومن بعيد .. إذ كان يعرف في قرارة نفسه أن ذلك سيسعد الرئيس بوش شخصياً ، كان يشعر أن ثمة مشاكل في شعبية بوش و في الثقة بالإدارة - أي الحكومة - بشكل عام ، وإذا كان تشيني قد شارك وزير الخارجية بيكر في الإدلاء ببيانات موجزة وسرية أمام أعضاء الكونجرس في القاعة السرية رقم «س-٤٠٧» في مبنى الكابيتول في واشنطن إلا أن الوزير يلتزم بعدم الإفصاح عن نية الإدارة إرسال أي تعزيزات عسكرية إلى مسرح الخليج .

لكن كان أمام الوزير تشيني أكثر من ارتباط للإدلاء بأحاديث أمام الشبكات التليفزيونية الكبرى الثلاثة ، وهنا جاءت التلميحات :

** أمام شبكة «أي . بي . سي» صباح ٢٥ أكتوبر ألقى تشيني عمداً وعن قصد أولى البنور على حد تعبير المؤلف .

قال وزير الدفاع :

– لم نصل بعد إلى النقطة التي نعرف عندها أن الأمر لن يقتضي منا إضافة المزيد من القوات .

** وسألوه في شبكة «سي . بي . اس» عما إذا كان البنتاجون يستعد لإرسال ١٠٠ ألف جندي أخرين .

– لن أسافر ثانية قط أنا .. لم أجتمع إلى الرئيس من أجل هذا الأمر .

كان رئيس الأركان يدري أن ثمة نقاشاً يدور ، وإن كانت لم تتخذ – على حد علمه – أية قرارات (بزيادة تعزيزات القوات الأميركية في السعودية) لكن ها هو الأمر يفصح عنه بلغة واضحة علي لسان الوزير «ديك تشيني» – وهو رجل يجيد اختيار ألفاظه بدقة ، إذن – فالرئيس بوش ومساعده سكاوكروفت وسنونو عادوا إلى اتخاذ قراراتهم دون استطلاع كامل وجهات النظر : لشد ما سئم الجنرال باول أن يعلم بالقرارات الكبرى التي تصدر عن الإدارة بعد أن يتم صدورها ، وهاهو يستمع لأول مرة لما يقوله تشيني :

– يمكن أن نتصور أن هذا الأمر سيفضي بنا إلى هذه الزيادة الكبيرة .

وفي شبكة «إن . بي . سي» أعاد تشيني نفس النقطة ثم أضاف أنه سيكون هناك سياسة تبديل واضحة للقوات (حرصاً على الراحة والاستجمام) وأتصور أن الأمر سينتهي في غضون ستة أشهر .

وصلت أصداء وزير الدفاع إلي أسماع رئيس الأركان الجنرال باول العائد من

رحلة للسعودية عن طريق أوروبا فما كان من باول إلا أن سأل أحد معاونيه :

- ماذا يجري بحق السماء ؟

وعندما هدأت خواطره أشار إلى مساعد آخر بقوله :

- إن سنونو ظل يشير على الرئيس ويحثه على أن يتكلم مفصحاً عن آرائه بقوة ومسانداً كلماته بتهديد عسكري .

إذن فقد كسب الجولة سنونو أو من هم على شاكلته .

لكن ثمة شيئاً ينبغي احتراساً أن يقال بحق الرئيس بوش - هكذا يفكر الجنرال باول ، إن الرئيس بوش ما برح يؤكد باستمرار أن غزو الكويت لا يمكن أن يستمر .

على أن باول شعر أن العقوبات الاقتصادية مازالت تشكل علامة استفهام كبرى ! فمتى تحقق آثارها ؟ ومتى يحكمون عليها بأنها فشلت؟

هكذا كان الجنرال متعجلاً للعودة إلى واشنطن .

في السعودية كان الجنرال شوارزكوف في شغل من أمره ! لقد سمع ملاحظات وزير الدفاع تشيني ، وقبل أن يتمالك نفسه من مشاعر الغم والدهشة أمطرته مكالمات هاتفية لا تحصى من السعودية . تطرق ماعه بالأسئلة ، ماذا يجرى يا جنرال ؟ أين المشاورات التي لابد وأن تدور قبل اتخاذ أي قرارات أو إطلاق تصريحات معلنة ؟ هنالك حاول شوارزكوف أن يتمتم بما خطر على باله من إجابات كيفما اتفق ، لهذا كان صدره يغلي كالمرجل من فرض الغضب المكتوم ، ليت الأمر يقتصر على أن يعرف مثل هذا الأمر الجلل من وسائل الإعلام ، بل ها هو يتعين عليه أن يقدم للسعوديين تفسيرات من عندياته بغير توجيهات آتية من واشنطن !

وأدلى شوارزكوف بتعليمات إلى جريدة «اتلانتا» قال فيها :

– لدينا الآن ما يدل على أن العقوبات بدأت تحدث أثرها الموجع ، فلماذا يتعين علينا أن نقول : أوكي ؟ فلنعطيهم شهرين ، وإذا لم يتصلح الحال فلنذهب ولنقتل أكبر عدد من البشر يصادفنا !!

ذلك هو الجنون بعينه !

ثم استعاد شوارزكوف ذكريات فيتنام قائلاً : إن الولايات المتحدة التي كانت تملك التفوق في الجو كانت تعتمد إلى قصف القرى بالقنابل كالمطر ، وبعد ذلك تدخل فإذا بالفيتناميين الشماليين يطلقون عليها ألسنة الجحيم من الشقوق والشعاب وهم يحاربون كالمردة والشياطين ، وخلص شوارزكوف إلى القول أن الحرب عمل غير أخلاقي ..

كان فلولفوفنش وكيل وزارة الدفاع للشؤون السياسة يزور مقر القيادة المركزية في ذلك الحين ، شعر أن شوارزكوف أدلى بهذه التصريحات لصالح قواته لكي يوضح تماماً أنه لو نشبت حرب فلسوف يأكلها في الأساس المدنيون .

علماً أن شوارزكوف أبلغ زائره أنه تناقش مع عدد من خبراء الشرق الأوسط الذين أقنعوه بأنه بينما تشكل الحرب خطراً جسيماً على الولايات المتحدة في المنطقة فإن عدم إقدام الولايات المتحدة على خوض الحرب ، سيلحق دماراً أكبر ، ثم أفصح شوارزكوف عن اعتقاده بأن تطويل الركود القائم في صالح صدام حسين .

عاد رئيس الأركان باول إلى واشنطن يسأل من فوره عن وزير الدفاع تشيني ، فجاءت الإجابة ، أن تشيني ذهب ليصيد السمك مع وزير الخارجية جيمس بيكر .

وجاء دور سلاح الطيران الأميركي ، طلب رئيسه الجديد الجنرال ميريل ماكبيك لقاء رئيس الأركان ليبلغه أنه لو كان الأمر قد استقر على خوض عملية هجوم ، فإن خير البر عاجله بالنسبة لسلاح الطيران ، وأضاف الجنرال ميريل ماكبيك

مؤكداً أن القدرة القتالية التي يتمتع بها سلاح الطيران ستبلغ ذروتها منذ الآن (أواخر أكتوبر) وحتى أول نوفمبر ، وبعد ذلك تتضاءل باضطراد لأن الدفاعات العراقية تقلل منها إذ أن العراقيين يحفرون استحكامات أعمق في الصحراء وينظمون صفوفهم ، كما أنهم استولوا على عدد من صواريخ هوك أرض / جو الأمريكية كانت بحوزة الكويت ويمكنهم استخدامها ضد الطائرات الأميركية ، وفضلاً عند ذلك فلن يتحسن الطقس أفضل مما هو عليه الآن .

وأجاب رئيس الأركان أن المطلوب هو استكمال استعدادات الأفرع الأخرى من القوات المسلحة ولا حاجة لخوض مخاطر غير ضرورية وأفضل السبل هو مضاعفة حجم القوات لأن الرئيس والعسكريين سيكونون في أسوأ وضع إذا لم تنجح العمليات.

قاطعه الجنرال طيار ماكبيك منفعلاً بقوله :

– حنانيك يا جنرال ! ماذا تقول بالله عليك ؟ نحن بإزاء بلد من العالم الثالث ، بلد صغير لا يشمل سوى عاصمة واحدة بحق السماء ! ولكننا نصور الأمر وكأنها الحرب العالمية الثالثة .. ينبغي لنا أن نحاول تصوير الأمر على أنه سهل ميسور بدلاً من تصويره وكأنه صعب وعسير . إن قلقي مرده إلى أننا أطلنا الانتظار وعاد الجنرال باول يشرح زيادة القوات والانتظار حتى يتم نقلها ونشرها في مواقعها ، ثم ركز حديثه فيما أراد أن يتأكد في عقل زائره قائلاً :

نحن نذهب .. لكي نكسب .

ولم يعد الجنرال طيار ماكبيك إلى طرح آرائه لا على وزير الدفاع ولا على الرئيس بوش ، رأى أنه لا يشكل سوى أقلية واحدة وأن الرؤساء الآخرين يتفقون مع باول رئيس الأركان فقد كان هناك إجماع بينهم على شيء واحد لاحظه قائد الطيران ، لم يكن أي من هؤلاء الكبار تواقاً إلى شن الحرب ، لم يكن أي منهم يريد أن يخوض عملية هجومية إذا مالاح مخرج آخر مشرف وكريم بالنسبة للولايات المتحدة .

على شاشة شبكة «إن . بي . سي» شاهد رئيس الأركان الأمريكي حواراً بين المذيعة «ماري أليس ويليامز» والمراسل «آرثر كنت» الموجود مع القوات في السعودية الذي قال في تقريره :

إن الجنود لا ينتظرون إلا أمرين : إما أن يسرحوا أو يقاتلوا – فإن الأعصاب صارت مشدودة في العربية السعودية – إن الجنود الأمركيين ينفقون معظم نشاطهم هنا في عملية قتل .. الوقت وقد أبلغني كثير من مشاة البحرية أنهم سئموا من الاسترخاء وعدم النشاط .. وهم يتوقعون العودة إلى الوطن لكن الوطن .. سراب .. وسط الصحراء وهنا طرحت المذيعة سؤالها ، إلى أي حد ساءت المعنويات ؟

أجاب المراسل : إلى حد بعيد للغاية ، نصف الجنود اللذين تحادثت معهم كانوا تعساء إزاء المنوال الذي تجري عليه سلسلة الأمور.

في هذه اللحظة بدأ رئيس الأركان يتساءل :

– اللعنة ؟ ما هذا الذين يتكلمون عنه ؟

صحيح أن التقرير الإخباري كان من الحماقة بمكان لكنه أوضح أمام رؤية الجنرال كولن باول حقيقة هامة (تجلت في حرب الخليج بالذات) :

** إذا نشبت الحرب . فلسوف تظهر متابعتها على شاشة التليفزيون في التو واللحظة سوف تأتي إلى داخل البيوت بكل مشاهدها : القتال والموت ومن ثم تكون النتائج والانفعالات أعمق وأخطر مما جرى أثناء فيتنام سيذهب المراسلون والكاميرات إلى هناك ليسجلوا كل خطوة ويعقدون بذلك المهمات العسكرية إلى حد بعيد ، لقد أصبح الجنرال باول متأكداً من شيء واحد : أن حرباً يطول أمدها وتنقل على شاشات التليفزيون ستكون أمراً مستحيلاً .. وستكون عبئاً لا سبيل إلى تحمله في الوطن .

شهد أكتوبر ١٩٩٠م أحاديث عديدة دارت بين الرئيس بوش وبين مسؤول استطلاعات الرأي العام في البيت الأبيض .. «روبرت تيتر» حول سياسة بوش في الخليج قال «تيتر» : إن الإدارة في رأية لديها أكثر من رسالة تريد نشرها في الأجواء مما يدل على افتقار محور التركيز . واقترح على الرئيس بوش أن يعود للحديث عن الأساسيات والمنطلقات التي سبق وطرحها في أغسطس (في أعقاب الغزو الصدامي) لأن ثمة منطلقين رئيسيين في هذا الصدد يحوزان استجابة الجماهير وهما :

(١) محاربة العدوان .

(٢) حماية حياة الأميركيين بالمنطقة .

وسلم الرئيس بوش بهذه النقاط لكنه بدا واثقاً من نفسه قائلاً : إنه أدرى بأحوال المنطقة من أي فرد آخر سواء من الناحية الدبلوماسية أو العسكرية أو الاقتصادية أو قضايا البترول ، وإنه ظل يتعامل مع هذه القضايا طيلة ٢٥ عاماً مندوباً بالأمم المتحدة وسفيراً في الصين ونائباً لرئيس الجمهورية .. وأن هذه التجارب أتاحت له جوانب مختلفة من الخبرة وهو قادر الآن على جمع هذه الجوانب على صعيد متكامل وأوضح بوش كيف أنه حرص منذ توليه الرئاسة على إرساء علاقات مع رؤساء الدول ولم يكن لديه هدف محدد في ذهنه بل كان يتبع مجرد حس استراتيجي بأن الأمر مفيداً ، وها هو الآن ينعم بعلاقات طيبة مع رؤساء من أمثال تاتشر ومبارك وفهد وجورباتشوف ويمكن أن يفيد من تلك العلاقات ، وقد تأتي أوقات صعبة .. وأوقات سيئة لكن الرئيس شعر بأن الأمر على ما يرام وأضاف مؤكداً لكبير مسئوليه عن الرأي العام قائلاً :

سوف نحرز النجاح .

لقد كان بيكر موضع قلق «سكاوكروفت» مستشار الأمن القومي خشيه ألا يكون بيكر من مؤيدي السياسة الأميركية في الخليج ، ففي مناقشات الكبار من «الحلقة الداخلية» المقربة إلى الرئيس كان بيكر يبدو معارضاً لنشر قوات على نطاق أوسع ومحبذاً الحل الدبلوماسي بما يمكن تفسيره بأنه استبعاد كامل تقريباً للضغط العسكري ، لكن يبدو أن بيكر يتم اجتذابه إلى الصف .. ألا يشاركه الآن وزير الدفاع تشيني في رحلة لصيد الأسماك حيث يتاح لهما وقت للحديث .

كان بيكر يشعر أن أسس سياسة أميركا في الخليج لم تكن متينة بما فيه الكفاية ، لم يكن ممكناً (في رأيه) أن تباع إلى الشعب الأمريكي قضايا من قبيل معاناة أمير الكويت وشعبه أو العدوان أو البترول طالما استطلاعات الرأي العام تبين أن أكبر القلق كان حول الرهائن الأميركيين في العراق والكويت ، ولهذا كان بيكر من أنصار التركيز على محور الرهائن الأميركيين وغير الأمريكيين لكسب المجتمع الدولي بما في ذلك السوفيات أما سكاوكروفت فكان يرى أن التركيز مجدداً على قضية الرهائن أشبه بتغيير الجياد وسط غمرات رحلة تخوض المياه ، وكان يرى أن بيكر يريد أن يلعب بورقة الرهائن في خطاب قوي يلقيه ، لكنه كان واثقاً أن سياسة الإدارة «البوشية» في الخليج هي محور أو موت هذه الإدارة . أما أن يغرق أفرادها معاً أو يطفوا منتصرين معاً على السطح وجيمس صديق لبوش على امتداد ٣٥ عاماً وهو مدير حملته الانتخابية (المظفرة) وهو كبير وزرائه .. ولذلك لا مناص ولا خيار أمام بيكر إلا أن يصبح مؤيداً شرساً للسياسة التي اختارها بوش في الخليج .

لهذا فإن من الطبيعي أن يخطب بيكر يوم ٢٩ أكتوبر في مجلس الشؤون العالمية في لوس انجلوس موضحاً معاناة الرهائن المحتجزين لدى نظام صدام ومؤكداً أن فكرة استخدام أميركيين ليكونوا دروعاً بشرية (والتعبير لبغداد) أمر لا يمكن قبوله أو تصوره .. وأضاف وزير الخارجية يقول :

** ولن نستبعد أي احتمال لاستعمال القوة إذا ما واصل العراق احتلاله للكويت .

## (٩)

في يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٩٠م دعا الرئيس بوش ١٥ من زعماء الكونجرس من أعضاء مجلس النواب والشيوخ إلى اجتماع هام في البيت الأبيض أفتتح الرئيس الأميركي الاجتماع «بتقرير حالة» بملاحظتيه أن العراق قد أطلق سراح الرهائن الفرنسيين ولكن ثمة تقارير تتوالى حول إساءة معاملة الرعايا الأميركيين والبريطانيين وقال الرئيس بوش أنه قرأ كتاب « الحرب العالمية الثانية » تأليف «مارت جلبرت» الذي يصف سياسة التهدئة وتسكين الخواطر (التي اتبعها رئيس وزارء بريطانيا الأسبق بنفيل تشمبرلين) إزاء ديكتاتور (يقصد ادولف هتلر) وما أعقب ذلك من توالي الحوادث ونتائجها .

ثم تبدى الانفعال على ملامح بوش وهو يضيف قائلاً : أنه لن يسمح لذلك أن يحدث ثانية أو أن الرهائن يتعرضون لمعاملة بربرية ، وهنا سرد الرئيس (الأميركي) تقريراً عن إحدى عائلات الرهائن التي اقتادوها إلى المستشفى حيث قام العراقيون بإطلاق الرصاص على الأطفال أمام ذويهم ثم قتلوا الأباء بعدهم .

بعد ذلك أدلى وزير الخارجية بيكر بملاحظات أخرى حول معاملة الرهائن .

وهنا تحدث «توماس فولي» رئيس مجلس النواب : سيادة الرئيس نحن معك في هذه النقطة ثم أعرب عن أمله في أن يعقد المزيد من اللقاءات والمشاورات مقدماً قبل الإقدام على أي إجراء عسكري في الخليج .

ورد الرئيس بوش واعداً بمواصلة التشاور وإن كان قد أشار من باب الاحتراس إلى أن ثمة أحداثاً سريعة تتطلب إجراءات سريعة وفورية .

وسأل زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ السناتور جورج ميتشل : هل حدث فعلاً المزيد من إساءة معاملة الرهائن ؟ إن الكونجرس لا يدري بهذا الأمر وهو لم يدعم بوثائق ومستندات .

فانبرى الوزير بيكر يقول بانفعال :

– أليس حبس الحرية معاملة سيئة بحد ذاته ؟

– هو كذلك بلاريب ، لكن القضية ما إذا كان هناك تصعيد في سوء المعاملة كما أشار الرئيس .

هنا رفع السناتور ويليام كوهن ، نائب رئيس لجنة المخابرات بمجلس الشيوخ يده طالباً الكلام ليقول إن وكالتي المخابرات المركزية والمعلومات الأميركية قد شهدتا أمام لجنته في الأسبوع الماض أن ليس ثمة دليل جديد على إساءة المعاملة .

ولما كان الوزير بيكر غير معتاد على أن يتحداه أحد فقد بادر إلى طرح السؤال:

ماذا تتصورون أن تكون إساءة المعاملة ألا يكفي الاختطاف والقتل؟

– نعم يكفي – هكذا وافق النائبان ميتشل كوهن – لكن موضوع احتجاز الرهائن – كما قالا – عمره الآن ثلاثة أشهر . فهل هذا الأمر جديد ؟ وهل يعد هذا الآن استفزازاً من جانب صدام حسين ؟

وأشار بعض الديمقراطيين بصورة واضحة إلى أن التركيز الجديد على الرهائن الأميركيين إنما يدعو إلى التشكك في الأمر.. وهل سيجري استخدامه مبرراً للقيام بإجراء عسكري الآن ؟ إنه لن يصمد طويلاً أمام أي تمعن يتم في الخارج .

وقال السناتور كوهن أن الإدارة قد تبالغ في إبداء قلقها علي الرهائن لدرجة أنها قد تنتهي إلى محاولة إنهاء إساءة معاملتهم .. فتكون النتيجة قتلهم هم شخصياً .

هنا بادر الوزير إلى تحويل النقاش إلى موضوع السفارة الأميركية في الكويت التي بقى فيها عدد قليل من الدبلوماسيين الأميركيين وحيث أن العراقيون يمنعون عنهم الغذاء والمياه ، وقال وزير الخارجية أن ليس أمامه سبيل عسكري فعال لحمايتهم بغير شن هجوم كامل .. ثم ما عساه يكون الحال إذا ما تم تنكيس العلم الأميركي وتم أخذ هؤلاء الدبلوماسيين «ضيوفاً» أيضاً ، وهو المصطلح الذي يطلقه صدام حسين على الرهائن.

هنا قال الرئيس بوش : أنا لن أسمح بهذا أبداً وكانت عضلات رقبته نافرة أمام كل ذي عينين .

وقال النائب «ليس اسبس» أن الأمر في تقديري قد يستغرق عشرة شهور حتى تكون العقوبات الاقتصادية قد فعلت فعلها .

أما النائب «جون مورتا» وهو من صقور الديمقراطيين في بنسلفانيا فقال إنه يؤيد الرئيس بوش بقوة ... وأضاف أنه قد لا يكون هناك بديل عن الحل العسكري ، وأنه يرى أن خير البر عاجله في هذا المضمار .

بعد هذا توجه السناتور كوهن إلى وزير الدفاع تشيني الذي لم ينبس ببنت شفه طيلة الاجتماع قائلاً له : « أنت رتبت لهذا كله ، وإنا لعائدون لنناقش أي الخيارات يجري تدارسها .

ابتسم وزير الدفاع تشيني ..... و ... غادر المكان .

في عصر اليوم نفسه في الثالثة والنصف من ٣٠ أكتوبر عقد اجتماع في قاعة المواقيت بالبيت الأبيض ضم الرئيس بوش وأركان إدارته ووزير الخارجية بيكر ووزير الدفاع تشيني ومستشار الأمن القومي سكاوكروفت ومعهم رئيس الأركان الجنرال باول.

بدأ الاجتماع بعبارة من سكاوكروفت قال فيها :

- لقد وصلنا عند منعطف الطريق ، فالسياسة المتبعة الآن يمكن أن تقال هي الردع والدفاع ، أو يمكن أن تتحول إلى التطور نحو الخيار الهجومي .

ذهل باول ، من جديد إزاء الجو الرسمي والبساطة التي دارت بها المناقشة بين هؤلاء الرجال الخمسة الذين ربطتهم صداقة على مدار السنين ، لم يكن هناك تنظيم حقيقي أو إجراءات محددة يتبعونها وهم يوازنون بين الخيارات ، وكانت الأفكار تغوص ثم تطفو ، تروح ثم تغدو ، كيف تجيء ، على ذهن هذا الفرد أو ذاك ، فقد بدا بوش وسكاوكروفت وكأنهما عاقدا العزم على المضي في تطوير خيار الهجوم ، أما بيكر فكان أقل قلقاً وأكثر تحوطاً ، ومن ثم أشد انضباطاً ، وكان يستفسر عن المواقف في الكونجرس وفي أوساط الرأي العام ، لكنه لم يعد ملتزماً بموقف التردد السابق .

أما وزير الدفاع تشيني فكان يصغي ليدرك أنه لم يعد لدى الرئيس بوش أي استعداد للقبول بأي شيء أقل من تحقيق هدفه المعلن ، وهو تحرير الكويت .

لم يكن لوزير الدفاع أن يوصي بأي إجراء عسكري إلا إذا كان مضمون النجاح لذلك قال تشيني أن لديه قناعه متزايده بأنه بات عليهم تطوير الخيار الهجومي، إن التحالف الدولي هش متهافت لدرجة أنه لن يصمد إلى ما لانهاية بالنسبة لمن ينظر من الخارج يبدو الأمر مختلفاً ، لكنهم يعرفون من الداخل أن الترتيبات (الدولية) في غاية الهشاشة ، ومن شأن أي حادثة تقع هنا أو هناك خارج الإطار أن تعصف بهذا التحالف عصفاً .

هكذا رأى الجنرال باول أن الدعوة إلى الصبر لم تعد شعار اليوم المرفوع لهذا لم يعد ، كما كان في الماضي ، يدعو إلى سياسة الاحتواء. في السابق كان الآخرون

يتسع صدرهم لسماع نصيحته السياسية ، لكن هاهو اليوم يشعر أنه ليس أمامه فرصة للتعبير عما يراه خاصة وأنه سبق أن أوضح رأيه في الاحتواء أمام الرئيس شخصياً ، الآن لم يعد هناك من يلتمس من باول أن يدلي بمشورته السياسية الشاملة في هذا الموضوع .

ولما كان الاجتماع قد استهدف في الأصل إتاحة الفرصة لرئيس الأركان ليقدم تقريراً عن مناقشاته مع الجنرال شوارزكوف فقد قال الرئيس بوش أخيراً :

- أوكى ، ولنستمع إلى ما لديه .

وبدأ الجنرال باول حديثه قائلاً :

سيادة الرئيس .. لقد أنجزنا المهمة الموكلة إلينا ، وتم تحقيق الدفاع عن العربية السعودية على نحو ما سبق من المتوقع .

ثم شرح باول التحركات التي أجراها شوارزكوف في مواقع القوات في ضوء الحشد العراقي المتواصل وواصل الجنرال الحديث

- سيادة الرئيس ، إذا قررت الآن أن تنطلق في التعبئة للإقدام على خيار الهجوم ، فإن هذا هو ما نحتاجه .

ومضى بالتفصيل يشرح طلبات شوارزكوف بمضاعفة القوات ، ومن أبرز الطلبات كانت موافاة شوارزكوف بالفيلق السابع الذي يملك أسرع الدبابات لشن هجمات على جناحي العراقيين بينما يتيح لهم تحاشي هجوم في البداية ولكن الدهشة الشديدة اعترت سكاوكروفت من هذه الطلبات الضخمة لشوارزكوف .. ثلاث حاملات طائرات فضلاً عن الثلاث الموجودة فعلاً .. كل هذا كان مدعاة لدهشة سكاوكروفت بالذات .. وهكذا ترددت عبر طاولة الاجتماع صيحات الدهشة والاستغراب .. عشرات من هتافات أو. اووه ! ياه ! لكن لم يصدر أي صيحة واحدة عن الرئيس بوش .

وكان باول هو الذي قال أنه يساند توصيات شوارزكوف إذا كان الرئيس يريد خيار الهجوم ثم توجه إلى الرئيس وقال :

- إذا اعطيتني مزيداً من الوقت ، ثلاثة أشهر ، سيكون ذلك من الأهمية بمكان لكن (إذا ضننت بالإمكانات) .. أي إذا أخذتني إلى بنك التسليف الذي ينتشل المدينين ..فلسوف نغرق نحن الاثنان معاً !

كانت رسالة رئيس الأركان باول : المسألة ستكون باهظة التكاليف .

وأوضح الجنرال .باول أن الذي يعنيه بالذات هو نظام نقل القوات إلى المنطقة ومدى كفاءة هذا النظام .

أما وزير الدفاع فقد أدلى تأييده لمطالب كل من شوارزكوف وباول دون قيد أو أي شرط وأضاف الوزير تشيني يقول :

- لم تعد المسألة هي ما «إذا» كان الرئيس يريد خيار الهجوم بقدر ما أنها تتلخص في أنه «ينبغي» للرئيس أن يختار الهجوم وأن يمضي قدماً ، فتصدر الأوامر بشأنه وهذا سوف يضمن النجاح فيما إذا فرض علينا أن تخوض القتال .. وأوضح تشيني أنه لا يريد أن يصل إلى وضع يضطر فيه إلى طلب المزيد من القوات في يناير أو فبراير (١٩٩١م) إن صدام قادر على زيادة قواته من واقع ما يملكه تحت يده .. ونحن لا نريد أن نأتي من جديد إلى «قاعة المواقف » هذه قائلين :

- سيادة الرئيس ، أعرف أننا أبلغناك في أكتوبر الماضي بطلب المزيد من القوات ، لكن لم يتسنى لنا ذلك حتى الآن .

أخيراً قال الرئيس بوش :

- إذا كان هذا ما تطلبون ، فلسوف نفعله . في اليوم التالي (٣١ أكتوبر) أعطى الرئيس موافقته النهائية .

كان بول «فلولفوفتش» واحدا من المدنيين القلائل المتاح لهم أن يلقوا نظرة شاملة على خطط الحرب (بوصفه وكيل وزارة الدفاع لشؤون السياسات) لكنه كان قلقاً من الإدارة فقد تحولت إلى قرار متصل بخيار الهجوم دون أن يتوافر الكثير من الرؤية الواضحة ، لم يكن هناك تدوين أو إجراءات لتسجل بها البدائل والنتائج بحيث يتم مناقشتها وموازنتها بصورة منهجية ، وباعتبار «فلولفوفتش» دارساً ومسؤلاً محنكاً وسفيراً سابقاً فقد قال أنه يمكن (في البداية) تقرير إرسال قوات إضافية دون أن يذكر تحديداً ما إذا كانت القوات للإحلال محل قوات موجودة أو أنها تعزيزات لشن هجوم على أن يقرر عرضها النهائي في مرحلة لاحقة ، لكن الرجل لم يتح له الوقت الكافي لطرح فكرته على بساط البحث ...

والواقع أنه كان يشعر أن الحلقة الداخلية المؤلفة من بوش ، بيكر تشيني سكاوكروفت ، باول ربما كانت مغلقة على نفسها بأكثر من اللازم ، إن اجتماعاتهم ، بحكم تواترها وخصوصيتها كان ينبغي أن تشكل محفلاً لمناقشة وتدارس البدائل والأساسيات لكن الرجل - وكيل وزارة الدفاع - لم يحس بأن هذا هو الذي يجري فهو لم يتلق أي مؤشر في هذا الصدد من وزيره تشيني ، ثم أنهم يجتمعون دون معاونين واختصاصيين ... هكذا كان يشعر فلولفوفتش ، في بعض الأحيان أنه حبيس الظلام للقضايا الحيوية .

أكثر من هذا كان فلولفوفتش يشعر أنه حتى الإعلان عن مثل هذا القرار الكبير(الهجوم وتعزيزات القوات) سيكون مضطرباً ، إن الإدارة كلها - وبوش على وجه الخصوص ، يكرهون تفسير ما هم مقدمون عليه بطريقة متطرفة ومتجانسة ، الرئيس بوش لا يحب إلقاء الخطب ، وكتاب الخطب في البيت الأبيض لا يجيدون كتابتها .

ووزير الخارجية من جانبه كان يساوره القلق إزاء الحلفاء ما رأيهم في

استعمال أو عدم استعمال القوة ؟ ومتى يكون ذلك وكيف ؟ وهل يفهمون بحق عزم الرئيس بوش على إرجاع عجلة الغزو إلى الوراء ؟ من هنا ساد الاتفاق على أن يقوم بيكر بزيارة للسعودية ومصر وتركيا ولندن وموسكو بحيث يتم سبر الأغوار كلها قبل الإعلان بمضاعفة قوات الولايات المتحدة بالمنطقة .

جاء صباح الأحد ٣ نوفمبر ، التقط الجنرال باول نسخته من صحيفة «نيويورك تايمز» فإذا بها تحمل المانشيت التالي :

** بيكر يعد عنصر التوازن في أزمة الخليج وقرأ «باول» أن مسؤولاً كبيراً في الإدارة لم يذكر اسمه قال أن «بيكر» كان بمثابة كابح(بريك) لوقف أي نزوة فورية لاستعمال القوة العسكرية .. وعندما أثيرت قضية الوقت الذي ينبغي أن ينقضي لإعطاء العقوبات فرصتها فإن مستر بيكر نصح بالمزيد من الوقت .

كان المقال الصحفي حصيفاً ومتوازناً ، ولكن ها هو يسلط الضوء على خلاف قائم في مجال السياسة ، وشعر «باول» بقدر من الارتياح .

لكن مادة الموضوع –كابح – بريك على الرئيس – الاحتواء– مزيد من الوقت للعقوبات الاقتصادية – كل هذا كان مجرد حديث مطروح بغير مناقشة أو تعليق جاد عليه ، التعليق الوحيد الذي سمع به «باول» هو أن «بيكر» ومساعديه أرادوا قصة أخرى تخدم أغراضهم ليس إلا .. لكي ينأي وزير الخارجية بنفسه في حالة وقوع كارثة .

مستشار الأمن القومي سكاوكروفت قرأ الموضوع في «نيويورك تايمز» رآه عبارة عن نموذج كلاسيكي مما تنسجه وزارة الخارجية ، لكن فات أوانه بأكثر من أسبوع ! لقد انضم بيكر إلى الركب فعلاً .. وانتهى الأمر .

## (١٠)

ستوك هو مستودع الأسرار ، أخطر الأسرار الحربية في الولايات المتحدة .. «وستوك» هو الاسم الذي عرفناه مختصراً عن عبارة «مركز العمليات الفنية الخاصة» وهو الذي ضمن للولايات المتحدة مجالات التفوق العديدة التي تجلت في حرب الخليج.

كانت معظم الأسلحة السوداء السوبر - سرية قد تم تطويرها أساساً في ضوء سيناريو معين هو الحرب مع الاتحاد السوفياتي .. لكن منذ أن أصبح العراق زبوناً لدى الاتحاد السوفياتي ، يشتري منه كثيراً من أسلحته الرئيسية ، فإن الأسلحة الأميركية تم تطويعها و«تفصيلها» على مقاس العدو (العراقي الجديد) .

وكان بوسع الولايات المتحدة أن تستثمر عقود من العمل والجهد . وفي إطار برنامج غاية في السرية يحمل الاسم الكودي «آير» استطاعت وكالة المخابرات المركزية وكذلك البنتاجون أن يحصلا على المواصفات وبيانات التجريب والاختيار لأهم المعدات السوفياتيه مثل الالكترونيات والردار والطائرات والصواريخ .

حيث تبين أن كثيراً من تلك النظم المسلحة يستخدمها العراقيون في عمليه استخبارية أخرى ، استطاع البنتاجون أن يحصل على الأسلحة السوفياتية الحقيقية ذاتها ، ومن ثم جهد البنتاجون في تصميم الأسلحة الأميركية القادرة على تدمير النماذج السوفياتية .

وفي إطار برنامج آخر سري للغاية يحمل الاسم الكودي «باركاي» وبفضل عدد من عمليات الاعتراض والتصنت استطاع البنتاجون أن يسمع ويقرأ ويفهم أسرار بعض أنظمة الاتصال السوفياتية الصنع .

ثم كانت هناك الأقمار الاصطناعية التي وضعوها فوق سماوات الشرق الأوسط ، وكانت تبعث ٨ رسائل متزامنة عن الكويت سرعان ما تظهر على شاشات التليفزيون ، ومن هنا استطاع القادة الذين يملكون شاشات ميدانية أن يرصدوا عن كثب أنشطة المحتلين العراقيين .

( والمشكلة ) أن العراقيين كانوا يتصرفون كما لوكانت اتصالاتهم مأمونة ومصانة من الاختراق .. لكن «وكالة الأمن القومي» - أكبر وكالات الاستخبارات الأميركية استطاعت أن تخترق بعض نظم الاتصال العراقية ولما كانت جميع المعدات العراقية قد جاءت من السوفيات أو من الولايات المتحدة أو من أوروبا ، فإن وكالة «ناسا» الفضائية الأميركية كانت تعرف تردداتها وخصائصها .

لكن كان هناك أيضاً برنامج «أسود» آخر ! كان ينطوي على إمكانية القيام بصورة سرية بتدمير جميع شبكات الكهرباء الرئيسية دون أن يترك أي أثر ينم عن أن الفاعل هو القوات الأميركية ! وكان نجاح أي هجوم عسكري ، محتمل يعتمد جزئياً على شل الرادار العراقي والدفاعات الجوية والاتصالات العراقية ، وكلها تعتمد على الكهرباء . كانت العملية حلماً من أحلام أي مخطط عسكري .. حيث كانت تبشر بضربة كاملة وقاضية .

بيد أن رئيس الأركان الجنرال باول لم يكن متحمساً كثيراً إزاء تلك المحاولات المعجزة .. القائمة على أساس الساحر أو «ضربة اللارب» لم يكن سعيداً إزاء كلفة مركز (ستوك) التي تقارب المائة مليون دولار .

بل كان المركز ينكره بالغرفة رقم ٢٠٨ وهي مركز القيادة التكنولوجي المتقدم في مبنى المكتب التنفيذي القديم بجوار البيت الأبيض الذي استخدمه الكولونيل «أوليفر نورث» لمباشرة عملياته الشديدة الطموح والسيئة الطالع (في فضيحة إيران - كونترا جيت ) أثناء حكم ريجان .

من البيانات التي تلقاها وزير الدفاع تشيني والجنرال باول من مركز «ستوك» السري ما تم في نوفمبر ١٩٩٠م وجاء متعلقاً بقدرات العمليات الخاصة التي يمكن استخدامها ضد العراق ، ومنها ما يتناول خطة حرب هجومية حيث يمكن أن تشتعل شرارة الحرب بواسطة ثماني طائرات هليكوبتر من طراز «اباشي» للعمليات الخاصة بأن تعبر الحدود لتغير على منشآت الدفاع الجوي داخل العراق نفسه .

وكان الوزير تشيني نفسه ، شأنه شأن الجنرال باول يأخذ انجازات المركز السري بكل تحفظ وحذر ، كان يتوقع الحماس البلاغي من جانب الذين يديرون هذه البرامج «السوداء» لكنه كان لا يعرف أن النظم إياها كثيراً ما لاتعمل وفق ما يعلن عنها ، وهل يستطيع وزير الدفاع أن ينسى بسرعة الخطأ القاتل للطائرة المقاتلة «الشبح ف - ١١٧ ألف في بنما حين قدر لقنابلها المحكمة التسديد أن تخطيء أهدافها بمسافة ٢٠ ياردة أو أكثر ؟ لهذا تعلم تشيني قيمة أن يستفسر ويتأكد من كل شيء وفي خلال الـ١٨ شهراً التي قضاها وزير الدفاع أمضى ساعات طويلة يمعن الفحص والسؤال في الخطة «سيوب» المتعلقة بالحرب النووية ضد الاتحاد السوفياتي ودول حلف وارسو ، وكانت أهم خطة حربية في بابها ، واكتشف الوزير أن العسكريين لم يألوا جهداً في إبعاد المدنيين عن الصورة وأن الخطة تجري على أساس طياريين آليين - أوتوماتيكيين على مدار سنوات . وكان هذا نظاماً يتقادم العهد به دون أن يجد من يفكر فيه أو يطرح التساؤلات فيما هو ضروري لتطوير قواعده ونماذجه وصيغه ومفاهيمه لهذا استدعى الوزير تشيني الجنرالات والأميرالات إلى مكتبه في عمليات تحقيق متعددة ، ودعاهم إلى البيت الأبيض ليقدموا عروضاً مختلفة . وأمر بإجراء عشرات من الدراسات حيث كان يصر على الوصول إلى إجابات وتقول تجربة تشيني أن العسكريين يستجيبون إذا طلب إليهم ذلك .. ولم يعد باللوم على أحد - لكن يكفي أن اكتشف عش زنابير مختبئاً في فصيه .. ورآه من منظور رجل مدني وكان هذا العش المنزوي واحداً من الأسرار الكبرى للولايات المتحدة الأميركية .

كان الجيش الأمريكي يملك آلافاً من الأسلحة النووية الزائدة عما هو مطلوب . وكانت خطة «سيوب» إياها تدعو إلى استخدام كل تلك الأسلحة بطريقة من شأنها ممارسة عنف نووي ضد الاتحاد السوفياتي بأكثر مما هو لازم لتحقيق الأهداف العسكرية إذا نشبت حرب ما (!) .

واكتشف الوزير تشيني أيضاً أنه لم يتم الأخذ بالمرونة التي طالب بها رؤساء سابقون واحتوتها سلسلة من التوجيهات الرئاسية العديدة .

فمثلاً .. كانت القدرة منعدمة على ممارسة ضبط النفس وإظهار ذلك أمام السوفيات من خلال تحجيم أو تقليص الهجوم النووي .

وكانت هذه الأمور تدخل مباشرة في صميم السيطرة الرئاسية والمدنية على العسكريين ، لهذا عمل تشيني على الإصلاح التدريجي لنظام الهجوم النووي (سيوب) .. وكانت تراوده فكرة أن يوما ما سيأتي بعد أن تضع حرب الخليج أوزارها .. ثم يخرج هو والرئيس بوش بإصلاحات كاسحة وعلنية لهذا النظام (المناهض للسوفيات) .

لهذا لم يكن وزير الدفاع تشيني يأخذ بكل شيء في عملية الخليج باعتباره مسلمات لا رد لها ويقدر ما أصر على فهم أبعاد الخطة المضادة للسوفيات (سيوب) أصر تشيني على أن يفهم خطة حرب الخليج ، كان يعرف أن الجيش واثق من قدرة اسلحته ورجاله على السواء .. لكن الخطر الفاصل بين الثقة المطلوبة والثقة المفرطة والخطيرة كان من الصعب تبيانه .. لهذا حرص الوزير تشيني على أن يأخذ ثلاث خطوات في هذا المضمار .

** أولاً : كان حريصاً كل الحرص على ألا يرسم صورة وردية أمام الرئيس أو الرأي العام أو الكونجرس ، ولذلك بدأ العمل على أساس توقعات الحد الأدنى بحيث

يصبح مثل المرشح الذي يتوقع الحصول على ٧٠٪ في المائة من الأصوات ، فإذا به لا يحصل سوى ٦٠ ٪ فيدمغونه حينذاك بالفشل .

** ثانياً : أصر تشيني على التكرار والتجويد والتفصيل في خطة الحرب ، إذ كان يريد التأكد من توافر الإمكانات القادرة على الاتجاه إلى أهداف معلنة مرة ومرات .

** ثالثاً : ظل يتولى شخصياً أمر الفحص والتمعن في خطة الحرب ، كان يستند أصلاً إلى الجنرال الخارجين وإلى البيانات التي تلقاها وإلى المواضيع المنشورة في الصحف والخلفية من المعلومات الأساسية التي طالعها عن حرب العراق – إيران ؛ ومن ثم استطاع أن يراكم عدداً من الأسئلة قدر ما استطاع وكان يستخدم هذه الاستفسارات لجس نبض النظام سعياً لمعلومات جديدة .

وفي هذا الشأن قال لمساعده للشؤون السياسية أنه لا يريد أن يتدخل في كل صغيرة من عمل المخططين بل يريد أن يراقب عن كثب ويطرح الأسئلة إنه لا ينوي أن يضع خطة حرب من عندياته أو من جديد ، لكنه يريد خطته التي يسيطر عليها ، وعلى كل تفاصيلها .

كم من صباح تلقى فيه تشيني بيانات عن العمليات والاستخبارات المتحصلة بواسطة رئاسة الأركان وكانت عملية جس النبض مهمة للغاية إذ تمضي في وصف مواقع القوات العراقية وقوات التحالف والحوادث التي تقع على جانب التحالف والمشاكل الروتينية ، لكن تشيني بطبيعته المنقبة كان يريد أن يعرف المزيد . وطلب من رئاسة الأركان أن تقدم له عروضاً سرية للغاية عن تخطيط الهجوم العسكري .. وابتداء من ٢٦ نوفمبر ١٩٩٠م بدأوا يوافونه بسلسلة من العروض التثقيفية عن شن حملة جوية ، بناء خطة هجوم جوي + نوعيات أهداف الحملة الجوية + ضربات

الدفاع الجوية المتقدمة + دعم الإمداد والتموين والتعبويات + السيطرة والاتصال + التنسيق بين قوات التحالف في حالة هجوم جوي ، قدرات الجيش المضاد للدروع + العمليات البرمائية وغير ذلك من المواضيع الحساسة مثل العمليات والاستخبارات والاستطلاعات الخاصة .

وكان الوزير تشيني يصغي صامتاً ومتيقظاً ، وكان يمطر ضباط الأركان بالأسئلة ويقودهم إلى حيث التخوفات والتحفظات .. وفي أقل من شهر تلقى ١٥ سرداً وعرضاً مكلفاً وفي آخرها قدم له الجنرال «كيلي» مدير العمليات شهادة دبلوم موضوعية في إطار يقول بأن ديك تشيني قد أكمل دورة دراسية في تخطيط الحرب وبات مرشحاً لوظيفة « مخطط أركان الحرب» وهنا قال (المخطط الركن) تشيني في سخرية واضحة : ستكون هذه الشهادة من أعز المقتنيات (!)

كان من المهام الأساسية للجنرال باول في تخطيط الحرب الهجومية ، وضع القوائم التي تشمل الأهداف الاستراتيجية في العراق من أجل مراحل الهجوم الجوية الثلاث وقد قسمت الأهداف إلى ما يلي:

* فئات تم وضع الأولويات في إطار كل فئة .
* فئات الأهداف الأولية كانت كالتالي :

- نظم القيادة والسيطرة والاتصالات .
- منظم الدفاع الجوي والرادار .
- المطارات التي تستخدمها طائرات صدام المقاتلة وعددها ٨٠٠ طائرة .
- المواقع الثلاثون الرئيسية لإطلاق صواريخ «سكود»
- المفاعل النووي العراقي .
- مرافق انتاج وتخزين الأسلحة الكيميائية والبيولوجية .
- أولوية وفرق الحرس الوطني الثمان وهي العمود الفقري في الجيش العراقي.
- شبكة الإمداد – مستودعات التخزين ، مواقع الذخيرة ، نقاط النقل ، الطرق والجسور وخطوط السكك الحديدية .
- مرافق البتروكيماويات الرئيسية الأثناعشر بما في ذلك المصافي النفطية الثلاث .
- شبكة الطاقة الكهربائية .
- مرافق دعم المجهود الحربي الصناعية الأخرى .
- القوات العراقية التي تحتل الكويت وعددها ٤٠٠ ألف جندي .

في السعودية كان مخططو الجنرال شوارزكوف يعملون وسط مصفوفات عديدة من نماذج الكمبيوتر التي تضاهي وتحاكي الأهداف المطلوبة مهاجمتها في حدود زمنية تتراوح بين ٢٠و٣٠ يوماً من القصف .

كانت لعبة ذكاء عملاقة ومطلوب أن تقصف قطعها الواحدة تلو الأخرى على نحو يلحق أبلغ الضرر (بالعدو) ويضمن أقصى حماية لقوات الولايات المتحدة والتحالف من القوات العراقية الهجومية ، كان معروفاً أن المرحلة الرابعة وهي المرحلة البرية تتوقف على مستويات الضرر أو الدمار الذي كان يحدث نتيجة الحرب الجوية ، إضافة إلى التماس سبيل ما للاشتباك مع الجيش العراقي وجره إلى المعركة وسط ظروف مواتية للتحالف .

وفي ٢٨ نوفمبر أدلى رئيس الأركان الأميركي السابق الأميرال «كرو» بشهادته أمام الكونجرس تلك الشهادة التي سبقتها دعوة الأميرال إلى التذرع بأهداب الصبر على نحو ما أبلغ به خليفته في المنصب – الجنرال كولن باول .

خاطب الاميرال كرو أعضاء مجلس الشيوخ قائلاً :

يبدو أن بغضنا لصدام حسين قد حجبت رؤية الاعتبارات الأخرى .. أنا أقول بأن علينا أن نعطي العقوبات الاقتصادية فرصة عادلة قبل أن نتخلى عنها . وأنا شخصياً أرى أن العقوبات سوف تجعله يجثو على ركبتيه في نهاية الأمر (وإن كنت أول من يعترف أن تلك مسألة فيها نظر فإذا ما أحدثت العقوبات تأثيرها في ١٢ إلى ١٨ شهراً بدلاً من ستة أشهر ، فإن المردود المتمثل في تجنب الحرب بما يصاحبها من تضحيات وتقلبات غير مضمونة العواقب ، مردود في رأيي له قيمته وجدواه .

ويغير انتقاد لبوش «ألمح الأميرال» كرو إلى أن الرئيس يميل نحو الحرب حين قال : في رأيي إننا لا نحسن في بلدنا صنعاً عندما نقفز إلى نتيجة مؤداها إننا لا نستطيع إخافة خصمنا (بوسائل غير الحرب) ومن العجب أنه فيما بدأ صبرنا على شرق أوروبا يؤتي ثمرته .. نجد أن حفنة من مخططي الكراسي الوثيرة يشيرون بهجوم وشيك على العراق ، ويجدر هنا أن نتذكر إن كان هناك في الخمسينات والستينات من كانوا ينصحون بشن هجوم على الاتحاد السوفياتي .. فربما كان هذا أمراً مفيداً .

# الباب الثاني

## (١١)

.. وجاء يوم السبت الأول من ديسمبر ١٩٩٠م وكان يوم اجتماع قادة القوات المسلحة الأميركية مع الرئيس جورج بوش فى منتجع كامب ديفيد الشهير :

كان رؤساء الأركان قد تداولوا فيما بينهم بعض الأمور التى تثير استياءهم ، وبالذات عدم التمكن من الاجتماع الى رئيس الدولة فى غمار مايعد أكبر توزيع عسكرى لقوات الولايات المتحدة منذ حرب فيتنام.

( وفى الاجتماع ) أعطى الأميرال " كيلو " والجنرال " جراى " وصفا مباشرا للقوات الواقعة تحت أمرتهما، التى تعمل على مسرح العمليات أو التى بسبيل انتقالها اليه.

وقال الجنرال " فنونو" ان حجم وقدرة قوات الولايات المتحدة ، كفيل بأن يقع صدام حسين بأن ليس أمامه سوى الخسران المبين . وتساءل الجنرال قائد الجيش البرى يومها:

هل وصل الغباء بأبن الـ ... هذا الى درجة أن يقاتلنا حقيقة ؟!

أما الجنرال ماكبيك ( قائد الطيران ( المعين حديثا ، فقد اختار أن أن يبيع عرضه أمام الرئيس بوش كى يشمل تنبؤات بما سيجرى بالمعركة.

أوضح قائد الطيران الأمريكى أنه فى حال شن الهجوم فمن المقرر أن تستغرق العمليات الجوية نحو ٣٠ يوما قبل أن تبدأ عمليات الهجوم البرى ، ومضى قائد

الطيران مخاطبا بوش :

" انك ياسيادة الرئيس ، سوف تفقد حوالى أربع إلى خمس طائرات حربية يوميا، بحجم يصل الى ١٥٠ طائرة خلال الأيام الثلاثين ،

ساعتها لم يظهر على ملمح بوش أى تأثر.

ومضى الجنرال ماكبيك فى تقديراته وتنبؤاته يقول بالنسبة للطيران قائلا : نصفهم سوف يتم انقاذه وربعهم سوف يلقون حتفهم والربع الآخر سيؤخذ أسيرا ويستعرضونه أمام شاشات التليفزيون فى قلب بغداد . وسوف تقع حوادث وترتكب أخطاء ... ولن تستطيع صواريخ وقنابل التسديد الدقيق أن تؤدى أعمالها على مستوى الكمال، وسوف يمتد الدمار الذى يقصد أصلا الأهداف العسكرية ، لكى يشمل مناطق مدنية.

هكذا جاء ت تحذيرات الجنرال قائد الطيران الأميركى الذى واصل قوله : إن القصف سوف يقتل ٢٠٠٠ من المدنيين العراقيين - هؤلاء الذين لا يثيرون غضبك ياسيادة الرئيس .. ثم اننى أتصور أن حملة القصف التى تستغرق الأيام الثلاثين سوف تؤدى فى جملتها الى تدمير ٥٠ فى المائة من المعدات العراقية العسكرية على الأرض - دبابات ومدفعية وعربات مدرعة لنقل الجنود.

بيد أن الجنرال ماكبيك كان بينه وبين نفسه ، يتصور أن الدمار سيزيد على ٥٠ فى المائة، لكن السنوات علمته أن دعاة استخدام الهجوم الجوى كثيرا ما أوصلتهم تنبؤاتهم الموغلة فى المبالغة .. الى مواقف افقدتهم أحيانا مصداقيتهم ومناصبهم!

كان وزير الدفاع تشينى يتصور أن قرار الأمم المتحدة باستعمال القوة أضاف كثيرا من القوة لموقف الرئيس بوش .. فلقد أصبح للرئيس ( الأميركى) كثير من

الاصدقاء على الصعيد الدولى ، ومعظمهم من رؤساء الدول الرئيسية ( بالنسبة لأزمة الخليج ) - جورباتشوف ، تاتشر ، مبارك ، وفهد .. وقد ضمهم تحالف غير معهود وغير مسبوق ، فاذا لم ينسحب صدام خلال فترة التوقف - ٤٥ يوما- فلا شك عند الوزير تشينى أن بوش سوف يستخدم القوة لاخراج العراق ( من الكويت ).

وكانوا قد طلبوا الى وزير الدفاع أن يكون أول من يدلى بشهادته فى جلسات الاستماع التى نظمتها لجنة السناتور" سام نن " عن عملية الخليج ، لكن الوزير لم يلب هذا الطلب ذلك أن البيت الأبيض لم يكن واثقا من ( تأييد) الكونجرس قدر ثقته فى الأمم المتحدة ، ولهذا لم يشأ البيت الأبيض أن يسمح لأى عضو فى الإدارة بأن يدلى بشهادته أمام الكونجرس فيما كانت المداولات مستمرة حول قرار الأمم المتحدة .. لذلك فقد استهلت جلسات الاستماع بشهادات أدلى بها الجنرال " كراو " رئيس الأركان السابق وآخرين وكانت فى مجموعها تشكل انتقادا للرئيس بوش على اندفاعه فى اتجاه خيار الهجوم.

لكن الوزير تشينى مالبث أن وافق على الظهور فى الأسبوع الثانى من جلسات الاستماع على أن يدلى هو ورئيس الأركان " باول " بشهادتهما معا.

( وكم كان وزير الدفاع تشينى حصيفا لا يفوته شىء) !

كانت تعليماته الى معاونيه : اجعلوا البيان الافتتاحى طويلا.. زيدوا فيه وعيدوا !!

لم يكن الوزير يريد فقط أن يطرح كل مافى جعبته من حجج وأسانيد . لقد أراد أن يظل الأمر على أعضاء مجلس الشيوخ الى حد الانهاك والاجهاد ، فاذا حانت فترة الأسئلة يخف الأمر عليه الى حد كبير !

وهكذا كان !

فى ٣ ديسمبر ، عقدت جلسة الاستماع ، ومضى وزير الدفاع تشينى يتلو بيانا مطولا استعرض فيه تاريخ عملية الخليج بأكمله ، وقال أنه بما أن صدام قد يكن تخطى " أثر" العقوبات الاقتصادية فان استخدام القوة هو السبيل الوحيد لضمان خروج العراق من الكويت.

وكان الجنرال باول هو الشاهد الآخر، والوحيد الذى أدلى بافادته . كان رئيس الأركان قد أمضى يوم الأمس الأحد ، عاكفا على اعادة تدبيج شهادته لم يستطع معاونوه أن يستوعبوا بدقة مسار تفكيره ومن ثم أراد أن يفسر الأمر على الوجه المضبوط . إن جلسات استماع السناتور" نن " غاية فى الأهمية – هكذا تصور باول "– بحكم أنها توفر أكبر منبر عام للتداول والحوار حول سياسة بوش فى الخليج.

وانتهز الجنرال " باول " الفرصة لكى ينتقد هؤلاء الذين يتصورون أن القوة الجوية قادرة وحدها على طرد صدام من الكويت ، قال الرئيس " كثير من الخبراء " والهواة وغيرهم فى هذا البلد يتصورون أن هذا الأمر يمكن تحقيقه بواسطة مايسمى مثلا بضربات جوية جراحية ، أو ربما بواسطة ضربة جوية مستمرة ، ناهيك عما يتطاير فى أجواء البلد أيضا بين لحظة وأخرى من خيارات ظريفة ، مهندمة، زهيدة الكلفة وقابلة للتنفيذ على حد ما يزعمون ".

وأضاف الجنرال أن لا سبيل أمام استراتيجية جوية أن تكفل بمفردها النجاح لأنها ستترك زمام المبادرة بيد صدام حسين ، ان اسياسيات العقيدة القتالية تشدد على أمور استلام المبادرة والاحتفاظ بها ، والقتال فى ظل ظروف مواتية للولايات المتحدة أما ما يعتقده الجنرال باول فقد أوضحه حين قال : صحيح أن بوسع المرء أن يتحصن أن يتخندق ، وبوسع المرء أن ينشر قواته لكى يتمطى طهوه مثل الهجوم ذى البعد الوحيد ... ان مثل هذه الاستراتيجيات تقصد الى عقد الأمل فى النصر .. لكنها لا تقصد الى النصر مباشرة.

كان هذا ولم يكن الجنرال " باول " قد تطرق من بعيد أو قريب الى السؤال الجوهرى المطروح أمام اللجنة : كم سيطول الانتظار ريثما يتاح للعقوبات الاقتصادية أن تحدث تأثيرها ؟

( وعندما تعين عليه أن يتناول هذا السؤال ) قال رئيس الأركان الأميركى :

– مسألة كم سيطول الانتظار – هى فى التحليل الأخير حكم سياسى وليس عسكريا.

فى نهاية بيان الجنرال " باول " ألقى السناتور " نن " سؤالا حول حديث أدلى به مؤخرا الجنرال شوارزكوف قال فيه : ان الوقت لصالح الولايات المتحدة والتحالف مادامت العقوبات سارية المفعول ، ثم اقتـطف " نـن" عبارات من شوارزكوف قال فيها :-

" اذا كان البديل عن الموت هو الجلوس فى الشمس صيفا آخر– فذلك ليس بديلا سيئا " وعندها طرح السناتور سؤاله على باول :

– – ما رأيك فى هذا ياجنرال ؟

– أنا لن أنتقد الجنرال شاورزكوف ، ولن أختلف معه بحال من الأحوال ، وما أريد أن أقوله هو أننا لا نعرف ما اذا كانت العقوبات ستحدث تأثيرا ..

لاحقه سام نن بحده :

– لكن اذا كنا نواجه الحرب ، فلن يتسنى لنا أن نعرف قط اذا كانت (العقوبات) ستؤثر أم لا .. أليس كذلك ؟

– فى الواقع أن ..."

قاطعه سام نن :

– تلك هي المسألة الجوهرية ..

اقصد أن الطريقة التى تكشف لك ما اذا كانت العقوبات ستؤثر أم لا هى – أن تعطى لهذه العقوبات الوقت لكى تفعل علها.

وفى مرحلة لاحقه من جلسة الاستماع عند السناتور " كوهن " الى عبارات اقتطفها من وزير الخارجية الأسبق هنرى كيسنجر وقال فيها :

" ان كبار الضباط يشعرون برهبة داخلية أمام قائدهم الأعلى ( رئيس الدولة ) مما يحملهم على أن يلتمسوا مبررات عسكرية لما يعتبرونه فى الأصل أمرا لا يكاد يحتمل أو يطاق . وعلى عكس ما يتصوره الناس وهما، فإن هؤلاء العسكريين الكبار لا يصلون عادة الى حد معارضة القائد الأعلى انهم يلتمسون مبررات تأييده لا دواعى معارضته".

وأردف السناتور " نن " هذه الأقوال المنقولة عن كيسنجر بسؤال وجهه فى الجلسة الى رئيس الأركان الجنرال باول :

–مارأيك فيما ياجنرال ؟ هل تشعر برهبة أمام القائد الأعلى ؟ ( بوش ).

– لست أتردد ولا أخشى أن أقدم الى وزير الدفاع أو الرئيس أو أى عضو فى مجلس الأمن القومى أفضل مشورة لدى ، وأكرثها أمانة ، وأبعدها صراحة ، سواء فى .. فى بعض الأحيان لا تروق لهم".. ثم استدار الجنرال باول الى الوزير تشينى الذى كان بجانبه سائلا :

– أليس هذا صحيحا؟

– أنا مستعد لتاكيد ذلك.

وسمعت ضحكات فى القاعة.

– تؤكد أي جزء ياسيدى ؟

– كله .. ياكولن.

وفى يوم الأحد ١٦ ديسمبر ١٩٩٠ غادر الرئيس بوش منتجع كامب " ديفيد" الى البيت الأبيض ، اذ كان على موعد مع المذيع " ديفيد فروست " لتسجيل حديث للتليفزيون الاتحادى تقرر اذاعته يوم ٢ يناير ١٩٩١م ، جلس الرئيس بوش فى طائرة الهليكوبتر وبيده نسخة من التقرير الجديد الذى أصدرته " منظمة العفو الدولية عن انتهاكات حقوق الانسان التى ارتكبها العراقيون فى الكويت منذ الغزو فى أغسطس ١٩٩٠م. فتح الرئيس بوش التقرير المؤلف من ٧٩ صفحة وكانت سطوره تقول "

** ان التعذيب والقتل .. " كانت أمورا تتسق تماما مع الجرائم التى مابرحت ترتكب فى العراق على مدى سنوات عدة ".. كانت كلمة " التقرير" هى المألوفة عن تقرير صادر عن منظمة العفو الدولية حتى بالنسبة لبعض الحلفاء الرئيسيين للولايات المتحدة الا أن بوش راعه تماما والأوصاف التى احتواها التقرير- وقال لديفيد فروست بعد ساعات من قرائته "

- أوه .. ديفيد كان الأمر فظيعا لدرجة لاتكاد توصف .

وأوضح الرئيس بوش كيف أن ( زوجته ) بربارا قرأت صفحتين فقط ثم قالت انها لا تريد قراءة أية صفحات أخرى . ومضى الرئيس بوش يقول :

- كان هناك تعذيب طفل معاق ، واطلاق الرصاص على الشباب على مرأى من آبائهم وأمهاتهم وغتصاب النساء بعد اقتيادهن من بيوتهن ثم تكرار الاعتداء عليهن، ومن ثم احضارهن الى المستشفيات فى حالة اعياء كامل . وربط الذين يذبون الى مراوح فى السقف لا تكف عن الدوران .. وقتل .. ك .. كويتى ثم تركه معلقا من ونش ( كرين ) كى يكون عبرة للآخرين . وتسديد طلقات كهربائية الى الأعضاء الحساسة فى الجسم على شكل صدمات فى الأماكن الحساسة للرجال والنساء .. وايلاج شظايا الزجاج فى البشر ، ان ما أعنيه .. أن تلك أمور .. بدائية .. وأنا .. أنا

أخشى أن تهتاج عواطفى اذا ما مضينا فى وصف المزيد " لكن الرئيس بوش مضى ليصف حالة صبى فى الخامسة عشرة ضربوه على بطن قدمه ، وكيف كان العراقيون ينزعون أظافر ضحاياهم.

وأوضح الرئيس بوش أن بالامكان تحقيق المزيد من السلام فى العالم اذا تقيدت الولايات المتحدة وقوى التحالف ، ثم قال بوش :

- " وإن يحدث هذا اذا ما أرتضينا انصاف الحلول فعندما نكون بازاء حالة واضحة من الخير - أمام الشر . ونحن بازاء حالة أخلاقية من هذا القبيل .. أنها على هذا القدر من الجسامة والأهمية أيضا، لم يحدث مثل هذا منذ الحرب العالمية الثانية.

لم يكن هناك شىء على هذا القدر من الأهمية الأخلاقية منذ الحرب العالمية الثانية.

هنا سأله المذيع ديفيد رونست :

- فماذا انت فاعل بعد حلول موعد الخامس عشر من شهر يناير (١٩٩١م) ؟ ماهو الاتجاه الذى سوف تسلكه ؟ وأجاب الرئيس بوش قائلا:

- حسنا .. لم أصل بعد الى تصميم أبت به فى هذا الأمر".

## (١٢)

يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٩٠م جاءت الاشارة المنتظرة ، من البيت الأبيض .. فقد تلقى رئيس الأركان الجنرال كولن باول التفويض ( من الرئيس بوش ) بأن أرسل الى الجنرال شوارزكوف فى السعودية الأمر الانذارى ( أى على رفع درجة الاستعداد القصوى والتأهب لتلقى أمر بدء عمليات عسكرية ).

ولكى يتخذ باول رفض احتياطيات السرية فقد أرسل بالفاكس نسخة الى شوارزكوف عبر دائرة الفاكس " سرية للغاية " تحمل شعارا " لاطلاعه شخصيا فقط " - يعنى شوارزكوف ، وهذا معناه الا تظهر فى قيادة ، شوارزكوف سوى نسخة واحدة لاغير من الأمر الانذارى أو لم يكن " باول " يريد نسخا عدة تظهر أو يجرى تداولها بواسطة مركز الاتصالات فى القيادة المركزية.

أرسل الأمر الانذارى صبيحة السبت ٢٩ ديسمبر وكان يحمل الرمز الاتصال والزمن التالى :

"٢٩/١٦١٢م ديسمبر ١٩٩٠م" بمعنى أنه ارسل فى ٢٩ ديسمبر بالتوقيت العام الساعة الرابعة و١٢ دقيقة وهى الحادية عشر، و١٢ دقيقة بتوقيت واشنطن .

وفى عصر الثلاثاء من أول السنة الجديدة ، ١ يناير ١٩٩١م عاد بوش من عطلته فى كامب ديفيد وفى ذلك المساء اجتماع فى سكن البيت الأبيض مع نائبه كويل وبيكر وزير الخارجية وتشينى وزير الدفاعوباول رئيس الأركان وسنونو رئيس الديوان.

وكان بوش قد أصدر توجيهاته الى موظفى مجلس الأمن القومى بأن يشرعوا

فى صياغة أمر رئاسى رسمى يسمى " توجيه الأمن القومى يكفل رسم مبررات السياسة العامة التى تقضى بخوض الحرب ربما أن هذه ستكون وثيقة للتاريخ فقد شاء الرئيس بوش أن يعطيها ماتستحقه من الاهتمام "

أما وزير الخارجية بيكر فكان يريد التأكد من أن الرئيس قد استنفذ كل الامكانيات الدبلوماسية فاقترح أن يطرح الرئيس بوش عرضا آخر للاجتماع مع صدام لكن تشينى وزير الدفاع ساوره القلق من أى تغير يجرى فى اللحظة الأخيرة . وكان يساوره شعور قوى أن التحالف ليس ثابت القوائم ، وكان يتسور أن شركاء التحالف ولاسيما المنتمين الى الشرق الأوسط مثل العربية السعودية ومصر وسوريا ودول الخليج الصغيرة قد يساورهم الشك فى أن الولايات المتحدة تريد أن تلتمس ذريعة لكى لانمضى قدما نحو التنفيذ.

لم يكن تشينى يعتقد أن قرار خوض الحرب كان وليد لحظة محددة وانما هو وليد سلسلة متوالية من التداعيات فلم يكن ثمة مناقشة بعينها أو اجتماع وحيد تم فيه اتخاذ هذا القرار لكن كان بوسعه، فى أفضل تقدير أن يجمع الجزئيات مع بعضها ويتصور أن القرار أصبح قرب المخاض عشية عيد الميلاد(٢٥ ديسمبر)١٩٩٠م ، ثم فى ٢٩ ديسمبر وعندما أرسل الأمر الانذارى ( الى شاورزكوف ) كان القرار قد أصبح واقعا ملموسا، وعندما جاء اجتماع هذا اليوم - أول أيام العام الجديد تم نهائيا التصديق على قرار الحرب.

ولأن اجتماع بيكر فى بغداد لم يقدر له أن يتم أصلا، بعد أن قال صدام أنه لايستطيع لقاء بيكر الا قبيل ٣ أيام من الموعد النهائى، فان بوش قرر أن يقترح علانية أن يجتمع بيكر الى وزير الخارجية العراقى فى سويسرا خلال الفترة ٧-٩ يناير ١٩٩١م، ولسوف يكون بيكر وقتها فى أوروبا على أى حال لكن دون أن تكون هناك مفاوضات أو حلول وسط.

فى اليوم التالى ، الأربعاء ٢ يناير كان مستشار الأمن القومى - كاو كروفت يبدو كاسف البال متجهما فقد راح يقضى الى موظفيه أنه يشعر بساعة القدر تدور الى مقاديرها الحتمية .. وأن الحرب واقعة حتى اجتماع لرؤساء الخدمات قال فيه أن لديه مهمتين : الأولى أن بوش سوف يعرض اجتماعا أخيرا بين بيكر وطارق عزيز فى سويسرا ، وأن عليهما أن يضعا مشروع رسالة من بوش الى صدام يقدمها بيكر الى عزيز بوصفها اعلانا نهائيا وانذارا أخيرا عليهما أن يشرعا فى وضع مسودة توصية الأمن القومى وهو الأمر الرئاسى الذى سيدر بشأن بدء الحرب.

أما نائب وزير الدفاع فولوفتش فقد كان يتصور أن الرسالة الموجهة الى صدام، لاتزال قادرة على تغيير الموقف ووجد أن الصيغة التى وضعها أحد موظفى مجلس الأمن القومى معتدلة نوعا ما وكان حريص هو والاميرال جرميا مساعد رئيس الأركان على أن تكون صياغتها أكثر حدة وصلابة ، فاقترحا بعض تغييرات قبلها الأخرون فى الاجتماع وجاءت الرسالة فى فقراتها الثمانى لتقول :

" أننا نقف اليوم على حافة الحرب بين العراق والعالم " . ثم ذكرت أن مستقبل العراق فى خطر وأن عدم استجابة ( من الكويت ) " كارثة " و " مأساة " ويعنى " مزيدا من العنف " الذى سيحل بالعراق ، أما العبارة الختامية فكانت تقول :

" وأمل أن تزن اختيارك بعناية وأن تختار بحكمة فعلى ذلك سيتوقف الكثير..

فى التاسعة الا ربعا من صباح اليوم التالى الخميس اجتماع بوش ثانية مع زعماء الكونجرس وأعلن أنه سيتولى آخر جهد دبلوماسى لديه " وهو اجتماع بيكر - عزيز فى الاسبوع التالى . وأشار الرئيس مرتين بقوة الى تقرير منظمة العفو الدولية الذى كان قد طالعه فى عطلته وحث أعضاء الكونجرس على قراءته.

وقال الزعماء " أن بوسع بوش أن يركن الى تصديق بالأغلبية يفوضه استعمال

القوة بعد ١٥ يناير.. وفيما كانوا يناقشون احتمال الحرب ، قال بوش :

– ليس هناك مقارنة مع فيتنام.

وأفاد تشينى بأن هناك ٣٢٥٠٠٠ جندى فى الشرق الأوسط الآن وأن هناك ١٢ ألفا ينقلون الى السعودية كل يوم.

وكان تشينى يسر فى نفسه أن ثمة نافذة دبلوماسية يتسلل منها بصيص من الوضوء وأن على الرئيس أن يبقيها مفتوحة قال انسحب صدام فجأة من الكويت فان بوسع الولايات المتحدة أن تعلن نصرا كبيرا اذ تستطيع الإدارة أن تقول : مرحى ! برهنت الولايات المتحدة على العزم ورباطة الجأش " ، قادت العالم ، خلقت التحالف ، وزعت القوات ، ومن ثم طردت ابن ال ... الى الخارج الكويت ( حذف لفظة السباب من الترجمة العربية ).

لكن تشينى أصبح يرى ، أكثر من أى وقت مضى أن الأمور لن تجرى فى هذا المسار. مرة أخرى ( ثالثة ) عقد الرئيس بوش اجتماعا مع أفراد دائرته المقربين فى السكن الرئاسى بالبيت الأبيض مساء الأحد، ٦ يناير . كان بيكر فى أوروبا فعلا وكان صدام قد وافق على اجتماع بيكر– عزيز فى سويسرا يوم الأربعاء.

قال الرئيس انه يريد من الكونجرس أن يفوض فى استعمال القوة اذا أمكن ، كان هذا هو المربع الأخير الذى لم يفحصه أحد ، الجزء الناقص من الاستراتيجية الشاملة.

لكن تشينى كان متشككا ، فى غياب انسحاب صدام يصبح من الأهمية بمكان استعمال القوة بعد ١٥ يناير هكذا قال وزير الدفاع " وانت – ياسيادة الرئيس – اتخذت هذا القرار، والكونجرس ليس مضموننا ، فلو جاء التصويت " بعدم الموافقة " من زملائى السابقين كما يشير اليهم الرئيس على سبيل التهكم الخفيف فان هذا كفيل

بأن يدمر كل شيء كان تشيني متشككا للغاية في الديمقراطيين الذين يسيطرون على الكونجرس ، وكان يتصور أنهم شغوفون بصفع الباب كي يوصدوه بوجه جهود الادارة.

ولا سبيل الى أن يتحمل أحد تصويتا سلبيا في الكونجرس ، لا الادارة ولا التحالف ولا القوات المرابطة في الميدان ، هكذا قال تشيني ، معربا عن شعوره القوى أنه لو تبين نجاح استعمال القوة، واذا ما تحققت الأهداف المنشودة بأقل كلفة وأقل خسائر بشرية ممكنة، فلن يهم وقتها نوعية المناقشات والمداولات أو التصويت في الكونجرس لكن من ناحية أخرى فانه اذا ما تعثرت الحملة العسكرية، أو أصبحت التكاليف فادحة على نحو استثنائي، فلن يهم مايكون الكونجرس قد أقره مقدما ، كلهم سوف يهاجمون الرئيس وقتها من كل اتجاه ومن ثم فانه لا يرى أى كسب ( من مغزلة الكونجرس ) بل يرى كثيرا من الخسارة.

لم يصرح أحد آخر بأنه يشارك تشيني تحفظاته هذه العميقة ، ورفعت الجلسة دون أن تجد هذه القضية حلا.

وفي اليوم التالي ، ٧ يناير أعلن رئيس مجلس النواب " فولى " أنه سيبدأ مناقشة في أواخر الأسبوع حول قرار بتفويض الرئيس استعمال القوة، وأنه هو نفسه يعارض استعمال القوة حتى تعطى العقوبات الاقتصادية وقتا أطول ، لكنه أعرب عن تصوره بأن التفويض يمكن أن يصدر بأغلبية محدودة ، وقال زعيم مجلس الشيوخ السناتور ميتشل أن المجلس قد يبدأ مناقشة مثل هذا القرار.

هنالك شرع بوش في مكالمة الجمهوريين من أعضاء مجلسى النواب والشيوخ في نفس الليلة للحصول على احصاء للأصوات. وقام شخصيا بطباعة مسودة الرسالة التي يمكن أن يرسلها الى الكونجرس طالبا من مجلسيه تأييد عبارة " جميع الوسائل

اللازمة" الواردة فى قرار الأمم المتحدة، ثم أصدر توجيهاته بأن يجتمع معه كبار مستشاريه وأعضاء مجلس الوزراء وكبار مساعديهم من رجال القانون ومديرى الشؤون التشريعية صباح اليوم التالى فى البيت الأبيض.

كان باول يشعر أن من المهم الحصول على تفويض ( بالحرب ) من الكونجرس ، كان يخشى ارسال القوات الى الحرب دون الدعم الصريح من جانب الكونجرس ، ولم يود أن تترك القوات هناك معلقة اذ تعرف أنها تخوض حرباً هناك حتى ولو كان السياسيون يطلقون عليها تسميات أخرى ، انه لايتسنى تسميات سابقة من قبيل " اجراءات بوليسية " فى كوريا و" صراع فى فيتنام " وكلا التعبيرين لم يكن موفقا، ان أمة تخوض حربا لابد وأن تتكلم بصوت واحد.

واذ كان يعرف آراء تشينى مالم يشأ " باول " أن يحضر اجتماعا واسعا فى البيض الأبيض يطرح فيه اختلافه فى الرأى مع وزير الدفاع ، لهذا استدعى باول كبير مستشاريه القانونيين وهو نائب الأحكام الكولونيل " فريد جرين " وأبلغه أن يحضر الاجتماع ( مع الرئيس ) ويقدوم له تقريرا بعد ذلك.

فى الحادية عشرة من صباح ٨ يناير، توجه الرئيس بوش الى قاعة مجلس الوزراء وكان من الحاضرين تشينى وسكاو كروفت وسنونو.. ومساعد بيكر وكبار رجال القانون من الوزارات المختلفة وبينهم فريد جرين من رسالة أركان الحرب :

كان مع الرئيس بوش نسخة من مسودة رسالته ( الى الكونجرس ) وقال أنه ميال الى ارسالها لكن السؤال هو ما اذا كان يبقى سلبيا أو يحاول السيطرة على النتيجة ( فى الكونجرس) من خلال تقديم اقتراح محدد من جانب الادارة.

ثم توجه بالحديث الى مديرى التشريع فى البيت الأبيض ومجلس الأمن القومى ووزارتى الخارجية والدفاع طارحا عليهم السؤال: هل سأفوز ؟

وكان توافق الآراء بينهم أنه سوف يفوز ( فى الجولة مع الكونجرس ) لكن الأمر ليس ١٠٠ فى المائة على سبيل التأكيد فهناك احصاء للأصوات وطلب بوش أن يجرى تقييم لسلطته القانونية ( بصفته رئيسا للدولة).

وقال " ويليام بار" نائب وزير العدل أنه يرى ، هو وكبار القانونيين فى الوزارة ، ان للرئيس السلطة الكاملة لاجراء عمليات عسكرية بوصفه القائد الأعلى بغض النظر عن تصويت الكونجرس على قرار بتأييد ذلك " ان الدستور يعطيك ياسيادة الرئيس السلطة والصلاحية لاستخدام القوات ، أما دور الكونجرس فيتمثل فى تقديم المعدات وسن القوانين التى تعمل فى ظلها القوات ، وقد فعل الكونجرس ذلك ، واذا لم يرق لهم الطريقة التى تتبعها فى استخدام القوات، فان بوسعهم سحب الأموال التى تكفل هذه العملية ". لكن " بار" أضاف يقول أن على الرئيس أن ينشط فى استصدار اعلان صريح بالتأييد من الكونجرس.

وهنا سأله أحد مستشارى بوش :

- هل فتواك هذه سياسية بحته ؟

- لا

قالها " بار " نائب وزير العدل ثم أضاف قائلا:

- ان الحرب تقع فى المنطقة الرمادية ان صلاحيات الحرب مشتركة مع الكونجرس والدستور يريدها أن تكون مشاركة وللكونجرس صلاحية اعلان الحرب، لكنه عادة يفعل ذلك بعد أن تكون الحرب قد بدأت ، وشأن كل الصلاحيات المشتركة فان ذراعك تكون أقوى مايكون لو اتفقت السلطة التنفيذية مع الكونجرس على هذا الأمر. وبالعكس ، تكون فى وضع ضعيف الى حد كبير لو اقدم الكونجرس على شىء لا يتسق مع ما أنت بسبيله ان قرارا غير منسق يصدره الكونجرس لن يجردك من

سلطاتك وصلاحياتك كل مايستطيعه الكونجرس أن يسحب الأموال أو يقوم بتسريح القوات ويضعك الكونجرس في وضع سياسي صعب . لذلك فان الأمر يستحق التحرك بنشاط للتأثير على الرأى الذى سيتخذونه.

في هذه اللحظة طلب الرئيس بوش من كل رجل قانوني يمثل احدى الوزارات المعنية من الحاضرين أن يدلى برأيه ، كان يريد أن يطمئن على سلطاته الدستورية وما هى النتائج البديلة اذا ما صوت أعضاء الكونجرس على رفض قرار فى هذا الصدد، أو أوصلوا الأمور الى طريق مسدود ؟ هل يمكن مثلا أن تشارك المحاكم فى هذا الأمر الآن أو فى المستقبل ؟

وبدأ كبار رجال القانون في اجتماعهم مع الرئيس بوش ... يتكلمون.

## ( ١٣ )

ظل الجدل القانونى محتدما فى الأيام الأولى من عام ١٩٩١ حول موضوع كان جرهريا للغاية بالنسبة لدور الولايات المتحدة فى حرب الخليج.

– هل الرئيس بوش – بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة – مفوض بالسلطات ويملك الصلاحيات اللازمة لاعلان الحرب وتعبئة القوات المسلحة وخضو القتال؟

–وما هى حدود سلطة الكونجرس فى هذا الأمر؟

وقد وصل الأمر الى الاجتماع المهم الذى عقده الرئيس بوش مع كبار فقهاء القانون فى الادارة الاميركية يوم ٨ يناير ١٩٩١م لاستطلاع آرائهم فى هذا الشأن.

– لم يكن رجال القانون ، " الذين حضروا الاجتماع " بمنأى عن التفنيد للآراء التى يطرحونها ولكنهم قالوا ان الرئيس كان يقف بالفعل على أرضية دستورية ثابتة، ولهذا أكدوا فى هذا الشأن ما أفتى به " بار" نائب وزير العدل.

قال بار ان الرؤساء كانوا منذ البداية يتصرفون بصورة منفردة دون أن ينازعهم أحد فى استخدام القوات المسلحة، وأنه فى أكثر من ٢٠٠ مناسبة فعل الرؤسا هذا الأمر ولكن لم تشهد البلاد سوى خمس مرات من اعلان الحرب وأقرب الحالات الى الموقف الراهن ، فى أزمة الخليج كان الحرب الكورية ١٩٥٠، حيث تصرف الرئيس الأسبق ترومان دون " مراجعة " الكونجرس وفى ظل قرار صادر عن الأمم المتحدة يكاد يشابه قرارها الصادر فى أزمة الخليج.

لكن مستشار الأمن القومى للرئيس تكلم محبذا الرجوع الى الكونجرس وتقديم اقتراح بقرار على المجلس وحتى لو كان الرئيس يتمتع بسلطة دستورية الا أن سلطة الرئيس السياسية يمكن تدعيمها بصورة واسعة من خلال تأييد الكونجرس ، أن الرئيس لن يرضيه أن يبدأ حربا فيما البلد فى حالة انقسام.

من ناحية أخرى حذر وزير الدفاع تشينى من ارسال مثل هذه الرسالة ، ان الاجراء البسيط المتمثل فى طلب استصدار " قرار من الكونجرس انما ينطوى على آثار هائلة . وأيا كانت صياغة رسالة الرئيس فلسوف تفسر على أنها تعنى أن الرئيس يتصور أنه بحاجة الى تصديق فى المجلس ومن واقع خبرة تشينى لعشر سنوات داخل الكونجرس ، فهو يعرف أن المجلس ليس مؤهلا للتعامل مع مثل هذه القضايا فى وقت قصير، فلو ذهبنا بالرسالة وخسرنا تكون كارثة.

قال بوش ان عليه أن يحاول وبعد ارسال الرسالة يتعين أن يشرعوا فى حملة تعبئة مؤيدة واسعة النطاق .. وأضاف بوش أنه لايستطيع أن يتصور أن يوسع الكونجرس أن يترك القوات معلقة فى الصحراء بين السماء والأرض.

قال سنونو" :

– يتعين علينا أن نحاول .. علينا أن نسعى الى صياغتها– أى الرسالة.

وهكذا عكف القانونيون على اعادة كتابة الرسالة وخلال ساعة كانت معدة للارسال الى الكونجرس .

فى ساعات العصر الأولى جلس الرئيس بوش مسترخيا فى كرسيه الكبير الأبيض الظهر قرب المدفئة فى البيت الأبيض ، وأخذ تشينى المقعد الآخر الكبير بجوار المدفئة، اذ كان – نظرا لغياب بيكر فى أوروبا أقدم الوزراء فى التشكيل على الأريكتين فى القائمة جلس الآخرون باول وويستر" مدير وكالة المخابرات المركزية " وسنونو وسكاو كروفت وجينس " الذى أصبح مديرا للوكالة مؤخرا".

وكان ريتشارد هاس رئيس شعبة الشرق الأوسط فى مجلس الأمن القومى قد دعا أربعة من أقدم خبراء الشؤون العربية فى الحكومة لمعالجة الموقف فى حضور الرئيس.

وقدم هاس أولا السفيرة ابريل جلاسى التى لم تعد قط الى مقر منصبها فى بغداد لكن كانت لاتزال تعمل فى وزارة الخارجية.

أوضحت جلاسى : أن صدام يقبض بيد من حديد على قواته ويرجع السبب فى أنهم لم يستسلموا ولم يتمردوا الى أنهم يخشون على عوائلهم، وقالت السفيرة:

– لن يقع أى تمرد لأن صدام يسيطر على الجيش ، ولن ينسحب من الكويت فى رأيى ، وهو يعلم أننا سنخوض الحرب معه اذا لم ينسحب ، والحشد المستمر لقواته ينبىء بأنه يستعد لهجوم . سألها سنونو : هل تقولين أن صدام يفهم تماما اننا مقدمون على الامساك بتلابيبه ؟

– نعم

– كيف تفهمين هذا الأمر؟

– من خلال مايقوله صدام والى من يوجه مايقول :

ثم مضت السفيرة جلاسبى مشيرة الى أن صدام خاطب قواته فى اليوم السابق بمناسبة الذكرى السبعين لانشاء الجيش العراقى ، وانيع الخطاب فى الراديو والتليفزيون اللذين تسيطر عليهما الحكومة حيث قال صدام " نحن لا نعتقد أن التضحيات ستكون هينة" وفى هذا الخطاب تحدث صدام عن " أم المعارك " وقد فسرت السفيرة جلاسبى الخطاب على أنه رسالة داخلية الى الجيش العراقى لأن يستعد لحرب لن تكون قصيرة الأجل.

أضافت أيضا أنه رغم كون صدام حسين ليس معترفا به فى الغرب بوصفه زعيما شرعيا الا أن جموعا غفيرة من العراقيين تؤيده قد لايحبونه لكنهم يحبون المهام التى يطرحها وينفذها ومن الوهم أن نتصور أنه محروم من التأييد.

وكان هاس قد قدم أيضا " ويليام روج " وهو دبلوماسى مخضرم وسفير سابق فى اليمن ، قال " روج" انه لو اندلعت حرب ، فأسوأ مايمكن أن يحدث أن يطول أمدها، اذ كلما طال الأمد كلما اتسعت الفرصة لكى يكسب صدام تأييدا عربيا بوصفه الرجل الذى يتصدى للغرب ، وسوف يعلو شأنه ليصبح بطلا.

ان الفوز أمر غاية فى الأهمية بالنسبة للعرب ، بل ان الخسارة امام قوة عظمى يمكن أن يكون بحد ذاتها فوزا ، وفى جعبة صدام بعض القضايا الرابحة، القضية الفلسطينية والشكوك المزمنة حول الاستعمار الجديد والانقسام بين أغنياء العربونظرائهم.

وتكلم محلل من وكالة المخابرات المركزية حول احتمال قيام رد فعل قوى فى اسرائيل فى حال اشتعال الحرب وأوضح أنه سيكون من الصعب كبح جماع اسرائيل وقيادتها اذا ماهاجمهم صدام.

- أخيرا تكلم " بات لانج " الخبير العسكرى فى وكالة المعلومات مفترضا أنه دعى للاجتماع لأنه " باول" من تنبأ بوقوع غزو للكويت وتصور الاجتماع شبيها بذلك الذى عقده الرئيس الأميركى لنكون مع وزرائه قبيل اندلاع الحرب الأهلية .

وقال " لانج " ان لدينا عجزا متأصلا عن فهم الثقافات الأجنبية حتى التى لاتبعد عنا كثيرا.

هكذا بدأ " لانج " الحديث اذا فنحن لا نفهم العراقيين ومن هنا فثمة افتراضان خاطئان يطرحان أولا: ان العراقيين جبناء، وهذا غير صحيح.

هكذا أكد " لانج" قائلا انه عكف على دراستهم على مدى خمس سنوات وانه سافر الى العراق عدة مرات . ورأى جنودهم فى المواقع ودرس الحرب العراقية - الايرانية ودرس الحرب ودرس الحروب ، ثم تابع الحديث قائلا:

- ان استنتاجى بعد أخذ كل هذه العوامل بنظر الاعتبار انهم لن ينكصوا على أعقابهم ، وسوف يقاتلون بمهارة وصلابة وهم رابطوا الجأش ولن يستسلموا ثم أضاف " لانج" ان حربا لطردهم من الكويت سوف تتطلب فى نهاية المطاف حملة برية لاخراجهم من مواقعهم الحصينة.

فى تلك الأثناء لم يقل الجنرال باول شيئا، لكنه كان يهز رأسه عدة مرات ازاء هذه التقييمات.

وذكر " لانج " أنه تخصص فى أمر الفرق الممتازة الثمانى للحرس الجمهورى التى استخدمت فى غزو الكويت وأوضح أن هذه الوحدات المؤلفة من ١١٠ آلاف جندى ترابط كقوة احتياطى لقوات صدام المتقدمة على خط الجبهة البالغة ٤٠٠ ألف جندى ويزيد.

والحرس الجمهورى جيد للغاية من حيث التدريب والتجهيز والقيادة وهو مكافىء لجيش الولايات المتحدة من هذه النواحى .

وسأله سكاو كروفت : اذا حطمت الحرس الجمهورى هل تستسلم البقية ؟

- لا

هل انتقل " لانج " الى الافتراض المعيب الثانى وهو :

لأن صدام مجرم ووحش ومجرد من الروح الانسانية ، فمعنى هذا انه زعيم فاقد الشرعية، وهذا غير صحيح بكل معنى .

هكذا أكد " لانج " الذى قال انه يتفق مع رأى السفيرة جلاسبى ، ان صدام يملك أما تأييد أفراد شعبه أو احكام السيطرة عليهم لدرجة تجعله قائدا شرعيا بنظرهم ثم وجه لانج حديثه الى الحاضرين قائلا:

- لا تخدعكم مثل هذه الأمور .. ان حربا مع هذا البلد الصغير مع جيشه البالغ التطوير وقيادته الحصينة المراكز ستكون حربا طويلة وصعبة.

قال الرئيس بوش :

- هناك آخرون يقولون بخلاف هذا الرأى لا يوجد من يقول بما تقوله أنت .. ان شامير ، ومبارك والأسد وبندر يقولون لى أن تلك مهمة يسيرة.

كان لانج قد قرر أنه لم يأت الى الاجتماع لدغدغة عواطف الرئيس ، لهذا أجاب يقول :

- سيدى اسمح لى أن أقول أن الأمر يبدو بمثابة تشكيلة من نقص المعرفة وخدمة المصالح الذاتية.

- أو . كى " هكذا أجاب بوش " الذى مالبث أن طرح أخيرا السؤال :

- هل يتوقع " من العراقيين " أن يفعلوا بغتة بأى شىء مفاجآت أمام بيكر غدا هناك فى سويسرا .

أجاب الخبراء الأربعة أن هذا الاحتمال غير مستبعد.

فى جنيف فى اليوم التالى ٩ يناير عقد وزير الخارجية بيكر اجتماعا مع طارق عزيز " أدام ست ساعات ونصف الساعة فى فندق انتركونتيننتال وقدم وزير الخارجية الاميركى رسالة بوش المؤلفة من ٨ فقرات حول حافة الحرب ، قرأها عزيز وتركها كما هى على المائدة وامتنع عن قبولها أو حملها الى صدام.

ظهر بيكر بعد ذلك فى مؤتمر صحافى كان وجهه متجهما وعابسا وقال :

– لم أسمع شيئا يوحى الى بأية مرونة على الاطلاق ، من الجانب العراقى .

وعندما كان سكاو كروفت يشاهد المؤتمر فى واشنطن على التليفزيون ، أدرك أن المفاوضات قد انتهى أمرها فى حقيقة الأمر.

وطار بيكر الى المملكة العربية السعودية للقاء خادم الحرمين الشريفين الملك فهد... كان الاتفاق السرى مع الولايات المتحدة يقضى بأن تعطى الرياض الاذن بأى عمليات هجومية عسكرية يمكن أن تشن من أراضيها، وهاهو بيكر يأتى ليطلب هذا الاذن وسرعان ما تلقى الموافقة بشرط واحد ، أن تتلقى الرياض اشعارا مسبقا قبل اندلاع الحرب.

ووعد وزير الخارجية بيكر أنه سوف يبلغ الاخطار شخصيا الى الأمير " بندر" فى واشنطن قبل وقوع أى هجوم .

واتفق الطرفان على ضرورة اتخاذ ترتيبات دقيقة حول الاتصالات مع بندر والادارة الأميركية فى واشنطن ومع قيادة القمة فى الرياض، وكان الهدف هو الحيلولة دون حدوث أية تعقيدات.

لهذا لم يكن يتعين عليهم أن يقلقوا بشأن بث الرسائل ، أو التماس هواتف سرية ، فلقد رتبت الرياض مع سفيرها بندر استخدام كلمة سر واحدة هى " سليمان " وهو اسم موظف لدى العائلة المالكة وقت أن كان بندر طفلا، فاذا ذكر بندر اسم " سليمان " فى مكالمة هاتفية الى الرياض فذلك معناه " الحرب ".

برغم أن تشيني حذر من محاولة استصدار اقرار بالتأييد من الكونجرس الا أنه عمل كثيرا لحشد التأييد للموافقة على هذا القرار وقد أوفد الى مقر الكونجرس فى " كابيتول " هيل " لكى يعبىء مؤيديه – الجمهوريين – اذ لم يشأ البيت الأبيض أن يوفده لمحادثة الديمقراطيين من المؤلفة قلوبهم.

هكذا تحدث تشيني خلف أبواب مغلقة الى هيئة برلمانية من الجمهوريين فى مجلس النواب والشيوخ ، ولم يبلغ أحدا منهم أن ثمة حربا وشيكة على الأبواب، لكنه أبلغهم بالفعل أنه لاينبغى أن تساورهم أوهام ، لا تصوتوا تأييدا لهذا القرار اذا كنتم تفسرون على أنه مجرد ورقة للضغط الدبلوماسى .

مع ذلك كان الرئيس بوش والبيت الأبيض يحبذان بقوة القول بأن قرار الكونجرس هو آخر وأفضل الفرص لاقناع صدام بالانسحاب .

وفى يوم السبت ١٢ يناير وبعد ثلاثة أيام من المناقشة الموضوعية منح الكونجرس السلطة للرئيس بوش بخوض الحرب واذا كان القرار الصادر قد اشتمل على عبارة قرار الأمم المتحدة حول " جميع الوسائل اللازمة " الا أنه يشمل تفويضا محددا عن استعمال " القوة العسكرية".

كان التصويت متقاربا فى مجلس الشيوخ :٥٢ الى ٤٧ لكن مجلس النواب اقره بأغلبية ٢٥٠ الى ١٨٣.

وقرر تشيني أن يبلع قدرا من كبريائه و فاتصل بالرئيس وهنأه معترفا بأنه كان مخطئا لقد كانت قراءة الرئيس " لنواياه " الكونجرس أفضل .

أما بوش فقد قال للصحفيين : ان هذا التغيير الواضح من جانب الكونجرس يمثل آخر وأفضل فرصة للسلام ... وعندما سألوه عما اذا كان هذا يجعل الحرب أمرا حتميا أجاب بوش بالنفى .

وهنا بادره أحد الصحفيين بالسؤال:

– هل اتخذت القرار " بالحرب " بينك وبين نفسك "

– لم أفعل .. لأنني مازلت آمل أن يكون هناك حل سلمى .

ثم أضاف بوش قائلا :

– ان أفضل السبل لتحاشى وقوع الحرب هو المبادرة فورا الى بدء انسحاب واسع النطاق للقوات العراقية " دون شروط وبدون طلب تنازلات وبدون توان أو تردد ، وان كان هذا الأمر فى هذا التاريخ يكاد يكون – برأيى – أمرا مستحيلا لكى يمتثل " صدام حسين " امتثالا كاملا بقرارات الأمم المتحدة.

## (١٤)

لم يشأ رئيس الأركان ( الأمريكى ) الجنرال " كولن باول " أن يترك نفسه فريسة للحيرة أو الارتباك . كان يشعر أن جورج بوش لا يريد الاقدام على خوض الحرب اذا ما أمكن تحقيق أهدافه بوسائل أخرى . وظل مقتنعا بأن صدام حسين لم يكن يريد حربا مع الولايات المتحدة، ومن ثم أراد " باول " أن يعطى لصدام من الأسباب ماجعله يشعر بهذا الأمر.

لكن اذا كان ولابد من الحرب ، فإن على الولايات المتحدة أن تكسبها. لقد كانت مباراة بين ( الكائن البسيط ) " داوود" و ( العملاق الضخم ) " جوليات " وكانت الولايات المتحدة هي " جوليات " وإذا لم ينجح جيش الولايات المتحدة بطريقة قاطعة وباهرة فان الأمر يمكن أن يكون مدمرا. لهذا كان المطلوب نصرا مؤزرا ومشهودا. أن الذى أصبح معلقا فى كفة القدر ليس السياسة الخارجية للأمة فحسب ، ولكنه أيضا سمعة العسكرية ( الأمريكية ) وروحها المعنوية لسنوات وربما لعقود قادمة من عمر الزمن .

فى ١٧ ديسمبر ١٩٩٠ تحدث الرئيس بوش مرتين الى الصحفيين وفى الجولة الأولى سأله صحفى ماذا سيفعل بعد أن ينتهى أجل الموعد النهائى يوم ١٥ يناير ١٩٩١.

أجاب الرئيس بوس .

– كل ما عليك أن تنتظر ، ولسوف ترى .

وفى الجولة الثانية ، سأله صحفى آخر عن السبب الذى يحمل الرئيس بوش على تفادٍ تهديد محدد باستخدام القوة العسكرية .. ولماذا لم يأت الرئيس ويعلن على الملأ مباشرة أنه سوف يهاجم.

وأجاب الرئيس بوش :

– لأنى لست فى وارد نفسية التهديد . ولا أظن أن فينا من هو فى مزاج الهجوم اننا فى نفسية العزم والتصميم .

* * *

فى نفس اليوم ، يعلن رئيس الأركان " باول " ومعه وكيل وزارة الدفاع للشؤون السياسية " فونفوفتش " يناقشان الطريقة التى اختارها بوش لكى يبعث برسالته ( الى الرأى العام) . كان الجنرال " باول " فى حالة من المعاناة الشديدة .. ( لماذا ؟ ) لأن الرئيس بوش كان ، رغم ارادته ، يبعث برسائل وارشادات عسكرية واضحة وها هو فى غضون يوم واحد يغير اشاراته ، ويعطى انطباعا بغموض سياسات البيت الأبيض . بينما توضح الرسائل التى يريد الايحاء بها هو أقرب الأشياء أهمية بالنسبة الى مايتعين على الرئيس أن يفعله ، ولم يكن " باول " سعيدا بذلك الاضطراب أو التشويه الحاصل فى هذا الصدد.

بل لقد تمادى الرجلان – باول وفولفوفتش – الى حد التساؤل عما اذا كان باستطاعتهما التماس الوسيلة التى تتيح لهما اقتراح تعيين مسؤول جديد لشؤون الاعلام والاتصال فى البيت الأبيض .

ذلك لأن هذه الفترة – السابقة على موعد ١٥ يناير النهائى تتسم بحساسية خاصة. أنها فترة من حرب الأعصاب. ومن ثم فكلمات الرئيس بوش أصبحت من الأهمية بمكان . ان المطلوب أولا هو اخافة صدام حسين . والمطلوب ثانيا هو الحفاظ

على دعم الكونجرس . والمطلوب ثالثا هو نيلوصون تأييد الرأى العام القوى فى حال ما اذا أصبح استعمال القوة أمرا مقضيا.

( كان المطلوب اذن هو ادارة وتدمير هذه الرسائل المختلطة المتشابكة فى وقت واحد).

ولم يكن الجنرال " باول " يريد أن يضطر الى خوض غمرات حرب بسبب اضطراب خطير وجسيم فى أمور الاتصال .

فى ١٧ ديسمبر توجه الى البيت الأبيض النائب " كيس اسبن " رئيس لجنة القوات المسلحة، وهى من أخطر وأهم لجان مجلس النواب ، للاجتماع مع مستشار الرئيس للأمن القومى " سكاو كروفت ".

كانت لجنة النائب " اسبن " قد انهت لتوها جلسات الاستماع التى عقدتها بشأن السياسية المتبعة فى منطقة الخليج. بالنسبة للنائب " اسبن" كانت المشكلة فى جملتها تتعلق بالبترول والأسلحة النووية والعدوان . ومن ثم فقد خلص الرجل الى أن بوسعه أن يؤيد خوض الحرب . فاذا لم تقوم الولايات المتحدة باستخدام قوتها فى حالة كهذه ، فمتى اذن تستخدمها؟

وكان واضحا أمام النائب " اسبن " أن مستشار الأمن القومى سكاو كروفت قد نفد صبره بالنسبة للدبلوماسية. كان صدام قد ذكر أنه لايستطيع استقبال وزير الخارجية بيكر فى بغداد الا يوم ١٢ يناير أى ثلاثة أيام قبل الموعد النهائى . وقد رفض بوش هذا. كان صدام يتلاعب بالجميع ذات اليمين وذات الشمال ولم يكن من مبرر للتعامل معه.. هكذا قال سكاو كروفت . لقد فشلت الأشهر الأربعة التى مضت بكل ما حفلت به من الدبلوماسية والعقوبات الاقتصادية . والحرب كانت جديرة بأن تستغرق وقتا أقل من الرقص على السلم الذى ظلوا يقومون به طيلة الأشهر الأربعة

وهم بين الاجهاد والاحباط. هكذا قال سكاو كروفت وها هو يات مقتنعا أن الحرب ستكون حلا يستغرق مابين أسبوعين الى ثلاثة أسابيع.

عند سكاو كروفت أيضا فى نفس الأسبوع . توقف الأمير " بندر بن عبد العزيز" كان السفير السعودى يعرف أن سكاو كروفت يكاد يكون مرآة معبرة عن الرئيس بوش فان كان سكاو كروفت ساخنا أو باردا ازاء شيء ما، فهذا يعنى أن بوش يراوده نفس الشعور.

وفى هذه المقابلة أسر " سكاو كروفت " إلى زائره " بندر" قائلا فى معرض الاشارة الى الجهود الدبلوماسية .

- ان الرئيس أساسا عقد عزمه واتخذ قراره .. وما كل هذه ( الدبلوماسية ) الا مجرد مناورات.

وفى يوم ١٩ ديسمبر سافر الى السعودية كل من وزير الدفاع تشينى ورئيس الأركان باول ومعهما وكيل الوزارة ( السياسى ) فولوفوفتش . وكان الهدف هو دراسة عميقة ومفصلة لخطة الحرب التى وضعها الجنرال شوارزكوف . كانت الخطة معقدة حاشدة بالتغييرات العسكرية ، لكن الجنرال باول ورئاسة الأركان كانوا قد قاموا بتثيف ( وزيرهم) تشينى الذى اعترف أولا أنه ليس مخططا حربيا، لكنه قال أنه يريد التأكد من قدراتهم على شرح كل تفصيله له . فاذا كان هناك شيء لا يوافقون عليه ، فمن واجبهم أن يقنعوه برأيهم.

على متن الطائرة المتجهة الى السعودية ، كان يسافر ١٠ صحفيين أتيحت لهم ٣٠ دقيقة لاجراء حديث صحفى مع نائب شوارزكوف ، الجنرال " كالفن وولر" كان الجنرال باول قد وضع " وولر " وهو رجل معتدل المزاج فى القيادة المركزية لكى يمارس نفوذا مهدئا على الجنرال شوارزكوف . فما كان من الجنرال " وولر" إلا أن

أبلغ الصحافيين صراحة أن الجيش لن يكون مستعدا للهجوم الا فى أوائل أو منتصف فبراير ، وإنه لا يتصور أن الرئيس بوش سيأمر بشن هجوم قبل هذا الموعد.

وعندما سألوه ، ماذا عساه يقول اذا ما طلب منه بوش الاستعداد للهجوم فى ١٥ يناير – أجاب " وولر"

– أقول له لا. لست مستعدا بعد لاداء هذه المهمة.

فى اليوم التالى كانت تصريحات " وولر" هذه هى مانشيتات الصحف الكبرى .

جن جنون الجنرال " باول " كل مرة يظهرون فيها القبضة الحديدية أمام صدام، يقع شىء أو يأتى انسان ليشدها بعيدا .

أما الوزير تشينى فقد شعر أن الجنرال " وولر" أشبه كمن القوة بين براثن الذئاب بحكم خبرته المحدودة بالصحافة والصحافيين . لم يكن ينبغى أصلا ترتيب الحديث الصحفى .. لكن لا بأس : (وهنا تظهر حصافة تشينى ) ان الملاحظات التى أدى بها والضجة التى أحدثتها يمكن أن تخدم اغراض تشينى ، اذ أنها ستعطى الانطباع بأن الولايات المتحدة لن تهاجم قبل فبراير، وسيكون هذا سليما اذ يتصور صدام أن ليس بالامكان مهاجمته حتى ذلك الحين.

وبالنسبة للوزير تشينى لو لم يصبح صدام خارج الكويت فلسوف يتعين عليهم أن يبدأوا الحرب الجوية بعد ١٥ يناير (١٩٩١) مباشرة ولسوف يكون سلاح الجو وطيران البحرية على استعداد فى ذلك الحين.

خلال الرحلة الى السعودية اتيح الوقت للثلاثى تشينى – باول – فولفوفتش – أن يتحدثوا فى جو أكثر استرخاء . قال الجنرال باول أنه فى ضوء استعراض مجمل الموقف . فانه يظن أن صدام سيسحب قواته الى خارج الكويت فى الدقيقة الأخيرة . سيرى صدام أنه يواجه أفضل قوات انشأتها الولايات المتحدة لكى

تحارب بها الاتحاد السوفيتى ، ومن ثم فلسوف يتراجع صدام ناكصا على عقبيه ان صدام رجل لا أخلاق له أو ضمير.. مستعد للاقدام على أى شىء فى سبيل السلطة والبقاء على قيد الحياة. الم يروا مافعله مرة ومرات ، آخرها ما قام به من التنازل عن كل الأراضى التى استولى عليها من ايران خلال حرب السنوات الثمانى ؟ بل ألم يروا ما فعله منذ اسبوعين فقط عندما قام فجأة وعلى غير انتظار بالافراج عن ٢٠٠٠ من الرهائن الأميركيين والغربيين.

وزير الدفاع تشينى لم يبلغ هذه المقولات بل وجه الحديث الى باول وفولفوتش كل ينظر فى الدلائل والمؤشرات . ان صدام لايزال ينقل تعزيزات الى الكويت لا يخرج قواته منها ، ولا تلوح أية قرينة واحدة ملموسة لدعم هذا التفاؤل الذى يمكن أن يصبح خطرا. والخشية أن يتسع أمد ونطاق هذا التصور الذى يقول " مرجى .. أنه سوف ينسحب " فاذا به يصيب بعدواه صانعى القرارات – عدوى التعلل بالأوهام .. وذلك أساس خاطىء لبناء السياسات . وهذا هو السبب الذى يدعوه ( تشينى ) الى التأكد من أن شوارزكوف مستعد للحرب وأنه قد وضع خطته بما يكفل لها من الجسارة وسعة الخيال.

وقضى الرجال الثلاثة يوما ونصف عند شوارزكوف . كان البحث فى أول صباح لهم يدور حول الاستخبارات ومدى استعداد القوات وأمور السوقيات (اللوجستيكيات) التعبوية . وكانت الأسئلة تتدافع من فم الوزير تشينى كطلقات الرصاص – لم يكن يريد لأى منهم أن يطرح افتراضات متفائلة. أراد التأكد من القيادة تقوم بتخزين اللوازم التى يتطلبها صراع طويل الأجل .أراد المزيد من القنابل والمعدات والذخائر اللازمة للحرب الجوية والوشيكة الاندلاع.

وفى جلسة العصر، طرح شوارزكوف أمامهم خطة الحرب . لم تكن هناك سلسلة من الخيارات التى ينتقى من بينها تشينى أو الرئيس . كان هناك بالأحرى

خطة شاملة موضوعة على أساس التوصية التى تلقاها بأن يستخدم أقصى قدر من القوة العسكرية المتاحة واللازمة لانجاز المهمة المطلوبة . وكانت ، كالخطة التى سبقتها تتألف من ثلاث مراحل جوية تليها المرحلة الرابعة وهى الحملة البرية . واذا ما سارت احدى هذه المراحل بأفضل من المتوقع ، يمكن التحرك الى الهدف التالى مباشرة بما يسرع من ايقاع خطى الحرب.

المرحلة الأولى كانت موجهة الى الدفاعات الجوية العراقية والمطارات والقوة الجوية وقوامها ٨٠٠ طائرة وشبكات صدام فى مجالات القيادة والسيطرة والاتصالات . وقد استنتج أحد محللى المخابرات أن ٨٠ الى ٨٥ فى المائة من القوة الجوية العراقية يمكن القضاء عليها فى الأيام الأولى بشرط أن تكون الولايات المتحدة هى البادىء بالهجوم ومن ثم تحقق المفاجأة التكتيكية .

(بعقليته السياسية أراد فولفوفتش التأكد من أن جميع البدائل قد عولجت وتم تدارسها. كان يعرف أن الضباط كثيرا ما يفسرون أسئلة المدنيين على أنها تحد لسلطتهم وقدراتهم لكنه حاول أن يستنطق شوارزكوف أكثر للحديث عن الحملة الجوية.

من جانبه أعرب شوارزكوف عن الخشية بأن يطلب اليه الجهاز السياسى - الرئيس أو وزير الدفاع أو الكونجرس أن يتوقف قبل أن يتسنى للتطبيق أهدافه سواء فى مراحل الجو أو البر.

لهذا حاول فولفوفتش أن يطمئن الجنرال قائلا أن الرئيس بوش والوزير تشينى أعلنا أنه سيكون من المقبول سياسيا أن يتاح لشوارزكوف كل الوقت الذى يطلبه القادة الميدانيون .

ألم يقل الرئيس بوش أنه لا يريد فيتنام أخرى ؟ هكذا ذكر تشينى شوارزكوف

مضيفا أن الادارة ملتزمة بهذا الأمر. ولن تغل أيادى القادة فى الميدان ( كما حدث فى الميدان ) ( كما حدث فى حرب فيتنام ) صحيح أن المطلوب هو توقيع الرئيس وتشينى وباول على الخطة ملكا خالصا بين أيدى شوارزكوف . أما الرئيس بوش فهو الذى يتخذ القرارات النهائية كتلك المتعلقة بموعد شن مرحلة الهجوم البرى الرابعة.

الحملة البرية كانت أجزاؤها الأساسية قد وضعت بمعرفة ستة من الضباط القادة الشبان من رتبة ميجور وكولونيل الذين كانوا قد أرسلوا الى العربية السعودية لتطبيق عناصر أساليب القتل المتقدمة مابين الاستطلاع والتجسس الى التطبيق الى المباغتة الى المبادرة الى شق الجسور للصفوف لتطبيقها على خطة الحرب ( التى وضعها شوارزكوف ).

كان هؤلاء " الفرسان الشبان " كما يسمون يعملون فى زاوية فائقة السرية ضمن قيادة الجنرال شوارزكوف وقد عكفوا على استخدام وتطبيق مبادىء دليل عمليات الجيش ، وهو كتيب أساسى غير سرى مؤلف من ٢٠٠ صفحة والفصلان ٦و٧ منه يستندان الى عملية الهجوم التى ترجع الى المفاهيم التى طبقها الجنرال " جرانت " فى الحرب الأهلية الأميركية عام ١٨٦٣ (١) فبدلا من الهجوم مباشرة ضد تحصينات العدو ، كان " جرانت " يرسل قواته فى مناورة واسعة حول الخط الأمامى لجيش العدو ، ومن ثم يهاجم من الجنب والمؤخرة . وقد اعتبر هذا الأسلوب غير المباشر أفضل السبل لهزيمة صدام .

## (١٥)

كانت التحليلات الأولية لمسرح العمليات المنتظر فى حرب الخليج قد انتهت الى أن الأرض رخوة للغاية فى الصحراء العراقية. لكن عملية الاستطلاع الموقعية أثبتت أن هذا الاستنتاج غير صحيح ، وأن الصحراء كانت قادرة فى واقع الأمر على تحمل حركة الدبابات المهاجمة. ولهذا صار من المتاح وضع خطة لتحريك دبابات.

ولأن صدام كان يحتفظ بمعظم قواته فى جنوب الكويت وعلى طول ساحل الخليج باتجاه الشرق ، فان خطة الهجوم البرى ( التى وضعها الضباط الشبان فى قيادة الجنرال شوارزكوف ) كانت تقضى لتحريك الفيلق السابع (وهو أخطر فيالق الجيش الأميركى ( عدة أميال على محيط واسع ناحية الغرب ومن ثم الهجوم من داخل العراق لضرب قوات الحرس الجمهورى ( الصدامى ) ولسوف يشكل هذا قطاعا عملاقا من جهة اليسار.

ولقد كان محور هذه الخطة هو شن هجمات بالدبابات تكون كثيفة وخاطفة وساحقة أيضا ( ص : ٣٤٨).

فى الوقت نفسه كانت الخطط تقضى بهجوم جوى بطائرات الهيلوكبتر يتم فى اطاره اسقاط قوات الولايات المتحدة خلف الخطوط العراقية بحيث لا تتعرض لأية مقاومة.

هذه الفكرة كانت تقول باجبار صدام على تحريك مئات الآلاف من قواته من داخل خنادقها بحيث يتسنى التعامل معها بواسطة القوة الجوية والنيران الأرضية المتفرقة التى تتمتع بها الولايات المتحدة.

ثم ماذا عن مشاة البحرية الأميركية .. المارينز ؟

عهدت اليهم الخطة الهجومية القيام بهجوم جبهوى برى على الحدود الكويتية السعودية فى محاولة لاقتحام صفوف القوات العراقية ، ومن ثم الوصول الى خلف الخطوط العراقية .

وهناك قوات المارينز الأخرى العاملة فى البحر عليها أن تفعل كل ما يسعها لكى يبدو الوضع فى الظاهر وكأنها سوف تنفذ نزولا برمائيا رئيسيا على ساحل الخليج الكويتى حيث كان العراقيون قد بنوا دفاعاتهم الموسعة.. لكن هذا كله سيكون خدعة يقصد منها تثبيت العراقيين فى مواقعهم - ان المارينز لن ينزلوا الى البر قط (!).

- ها قد أقبل صانعو الحرب العاملون معى !

هكذا قدم الجنرال شوارزكوف قادة الجيش والمارينز العاملين على مسرح البر الذين قدموا عروضا نهائية لخطط وحداتهم أوفرهم ثقة كان قادة الدبابات ، وأكثرهم قلقا كان قادة القوات الخفيفة .الوزير تشينى طرح تساؤلات عدة عن الخطة البرية لأنها كانت تحفل بمتغيرات كثيرة فى مقدمتها احتمال أن يقدم صدام على تحريك قواته ، الأمر الذى جعل الخطة البرية أعقد وأصعب من الحرب الجوية بكثير.

لكن الخطة الشاملة (للحرب) كانت تتوقف على تحقيق واستمرار التفوق الجوى وعلى ضمان الا يكفل لصدام المعلومات عن تحريك القوة الضخمة جهة الغرب .

ثم كان هناك تحديات لوجستية - تعبوية هائلة : مائة الف جندى فضلا عن معداتهم ولوازمهم وامداداتهم سوف يلزم تحريكهم عدة مئات من الأميال على مدى أيام عدة وفى الغرب وهى مهمة تكاد تدخل فى كلمة المستحيل .. ولو علم صدام بمثل هذه الخطة لما صدق أن بالامكان تنفيذها على الاطلاق.

ثم نالت الأسلحة الكيميائية نصيبها الأوفى من النقاش كان فى حكم المؤكد بشكل قاطع أن صدام سوف يستخدمها . لكن متى ؟.. وكيف ؟ لم يكن هناك من يعرف بالضبط ماهية الكميات التى يمتلكها صدام، وان كان المؤكد أنها كميات ضخمة. ثم كان من الصعب تقدير أو قياس الأثر العسكرى ناهيك عن الأثر السيكلوجى الناجم عن هجوم بالأسلحة الكيميائية.

كان الجيش ( الأميركى ) يملك عدة تكنولوجيات جديدة . فقد كان هناك جهاز ادارى اسمه " مكتشف النيران " هو الذى اتاح للولايات المتحدة تحديد مواقع المدفعية العراقية من خلال رسم مسار قذيفة المدفع وهى لا تزال تجتاز الفضاء. وكان من واجب حاسوب ( كمبيوتر) حل المشكلة الرياضية المتعلقة بذلك بحيث يتحدد فى التو واللحظة منشأ هذه القذيفة . وقبل أن تهبط دفعة نيران مدفعية العدو على هدفها تكون قوات الولايات المتحدة قد سددت دفعة نيران ردا عليها وأطلقتها على نقطة هذا المنشأ على أمل أن تقضى على السلاح وعلى مشغليه من العراقيين على السواء . وقد شرح الوضع كله أحد الضباط قائلا: .

– سوف نعلمهم أنهم اذا ما أطلقوا مدافعهم .. فهم الذين تموتون . !

كانت معظم الأهداف ، مثل مراكز الاتصالات والمطارات ( العراقية ) أهدافا ثابتة ، فان الخطة الجوية التى كان يجرى تنقيحها واستكمالها يوما بيوم أصبحت أفضل دقة وتحسينا وأقدر على التنبؤ من قرينتها الخطة البرية ، وكان بوسع الوزير تشينى أن يرى كيف عمل المخططون ليل نهار لكى يضاهوا بين الأسلحة والأهداف.

وأبلغ وزير الدفاع تشينى ورئيس الأركان باول " الجنرال شوارزكوف أن يتوقع تنفيذ المراحل الجوية فى أقرب وقت بعد ١٥ يناير ١٩٩١.

وتلقى وزير الدفاع عرضا موجزا فى غاية السرية حول الخسائر البشرية

المتوقعة قال كبير الضباط الأطباء انهم يضعون خطتهم على أساس ٢٠ ألف خسارة بشرية منها ٧ آلاف جندى يقتلون فى الميدان.

وانسدل على القاعة ستار من الصمت ! وتكلم الجنرال شوارزكوف .. قال :

– هذا من أسوأ نماذج التخطيط هذا ليس تنبؤا أنا لا أقوم بتنبؤات.

القادة القادمون من البنتاجون اتيح لهم أيضا فرصة زيارة القوات فى المواقع المتقدمة. عاملوا الجنرال " باول " وكأنه البابا الذى عاد الى القرية التى نشأ فيها حيث كان يعمل مساعدا لكاهن القرية . تحلقوا من حوله يطلبون توقيعه على سبيل التذكار. كان يخط اسمه كيفما اتفق على أى شىء أمامه سواء كان مجلة أو عملة سعودية أو لوحة للتزلج . وساعد جنديا على حمل كيس رمل ، ووزع تهانى الكريسماس فى كل زاوية ، ووقف أكثر من مرة أمام عدسات التصوير. وزار اللواء الثانى من الفرقة رقم ١٠١ المحمولة جوا، وهو وحدة هجوم جوى خاص.

منذ أربع عشرة سنة كان " باول " يقود هذا اللواء المؤلف من ألفى رجل .. وها هو يقف بين الرجال ليحكى لهم أنه يعرف ويفهم ما يحف بمهمتهم من اضطراب – يعرف الانتظار والليالى الطوال وزمجرة الأمعاء.

وبالنسبة لجميع الذين طرحوا استفسارات عن مستقبلهم ولجميع الذين لم يطرحوا كان رئيس الأركان ( الأميركى) الجنرال كولن باول يكرر عبارة واحدة من أربع كلمات .

– كونوا على استعداد للحرب .

يوم الجمعة ، ١٢ ديسمبر ١٩٩٠ دعا الرئيس بوش سفراء كل من البلدان ٢٨ أعضاء التحالف الى البيت الأبيض وبعد الاجتماع " أخذ المجموعة الى جولة لمشاهدة زينات البيت الأبيض بمناسبة أعياد الميلاد.

السفير السعودى الأمير " بندر" كان آخر المغادرين ، سأله الرئيس بوش :

- مستعجل ؟

- لا .

- طيب .. تعال سلم على بربارا.

وذهب السفير بندر ليقول للسيدة الأولى ( فى أميركا) عيد ميلاد سعيد ، ثم توجه مع بوش الى مكتب الرئيس البيضاوى حيث خطا الرجلان الى الخارج ليتبادلان الحديث .

وسأل بوش عن صدام قائلا:

- هل هو مجنون ؟

كان الرجلان - الرئيس والسفير قد ناقشا المسألة من قبل . وفى محادثاتهما التى كانت منتظمة على مدار أشهر حكى السفير لبوش عن الوسواس المستبد (البارانويا) بصدام حول أمنه الشخصى .. وكان بوش قد سمع قصصا مماثلة كثيرة من هذا القبيل . وكان بندر لايزال مقتنعا بأنه لو خير صدام بين انقاذ رقبته وبين ترك الكويت فلسوف يتصرف لانقاذ رقبته . صدام لم يكن يريد أن يموت . انه ليس من طلاب الاستشهاد.

سأل بوش :

- فهل يدرك بما هو مقدم على تحديه ؟

لقد مضت أشهر وأشهر وهى تشهد " بندر" يسر الى بوش وغيره بأن مستوى الجيش العراقى قد بولغ فى تضخيمه . ولذلك فهو لايزال يشعر أن بالامكان هزيمة صدام فى أسبوعين .

ولاحظ " بندر" أن بوش كان متصلب الاطراف واستشعر تكاتفا فى العزم والتصميم من خلال الايماءات الجسمانية . لقد انتهى زمن الحيرة المنطوية على الترهل أو الارتخاء فى الابتسامة اختفت . وبرغم أن عينى جورج بوش كانتا باردتين وهادئتين ، الا أنه بدا كمن يحمل وقرا داخليا بين جنبيه . وعندما تطلع اليه " بندر" على نحو أدق وأعمق ، كانت ملامحه تقول دوما اتقوا غضب الحليم " فانه اذا ثارت ثائرته لا يقف بوجهه أحد . وكان " بندر" يرى عبر شهور امارات الغضب العام والخاص تزيد وتتصاعد .. وها هى تتحرك الى جبل متراكم من الهمة والعزيمة :

قال بوش مشيرا الى صدام :

– اذا لم يمتثل " فلن يكون امامنا سوى أن ننفذ القرارات (الصادرة عن الأمم )

أوما " بندر" محدثا نفسه : هذا أمر خطير .. ولسوف يفعلها.

فى الوقت نفسه كان " وبستر" مدير وكالة المخابرات المركزية ( انذاك) يجمع اجزاء تقدير موقف قبل حلول الكريسماس من اعداد الاستخبارات القومية الخاصة التى يصل الى تقديم أفضل تنبؤ بما اذا كان صدام سينسحب من الكويت قبل موعده ١٥ يناير النهائى وفى مناقشات دارت بين وكالات الاستخبارات والمعلومات المختلفة بالولايات المتحدة توصل المدير" وبستر" ووكالة المخابرات المركزية وفرع المخابرات بوزارة الخارجية الى أنه ما أن يتحقق صدام من حجم القوة المحشودة ضده ومن عزم الولايات المتحدة والحلفاء فى هذا الأمر ، فانه سوف ينسحب .

بيد أن " بات لانج " رجل التحليل المتابع لشؤون العراق فى وكالة المعلومات سجل اعتراضا قويا على هذه التنبؤات . كان يرى أنها تكرار لنفس الغلطة الكلاسيكية التى ارتكبت قبيل غزو العراق للكويت . هاهم – فى رأيه – ضباط المخابرات لا يرون

سوى صورهم منعكسه على مرآة الذات . يتطلعون الى العالم من خلال منظورهم العربى المحدود ، هم يتظاهرون بأنهم لو كانوا فى مكان صدام حسين فلسوف يتحققون من غلبة الحشد العسكرى وجبروته الموجه ضد العراق فضلا عن العزم الذى يتحلى به التحالف الدولى وما أنه من المنطق بالنسبة لصدام أن يتوصل الى هذه النتيجة ، فلسوف يرى قلق الصباح وينسحب (ص: ٣٥١).

" بات لانج " تصور العكس !! كان فى غاية التأكد بأن صدام انما يركز بالذات على حجم قوته هو ، وعن عزمه وتصميمه هو . وقد اتفق ويستر ورؤساء المخابرات العسكرية الأربعة مع " لانج " فى هذا التصور. وأصروا على تسجيل خلافهم فى الرأى فى أكثر من حاشية ادرجوها ضمن تقرير المخابرات .

وقد نشر التقرير وأرسل الى الرئيس بوش . وفى حديث أدلى به الرئيس الى مجلة " تايم " قبيل عيد الميلاد سئل بوش عما اذا كانت ستقع حرب فأجاب :

ياإلهى ! - ثم توقف ليعكس من بعد رأى الأغلبية السائد فى تقرير المخابرات قائلا :

- هاتف فى داخلى يقول أنه ، سوف يخرج من هناك .

عاد تشينى وباول من الخليج وطارا مباشرة الى كامب ديفيد لاطلاع الرئيس على الموقف عشية عيد الميلاد. كان هناك مستشارا الأمن سكاو كروفت وجيسى (الذى أصبح مديرا للمخابرات المركزية بعد ذلك ).

ان القوات البرية لن تكون مستعدة الى فبراير ! هكذا أفاد تشينى . بل أنه ليس فى الحقيقة متاحا الى المرحلة الرابعة ( البرية ) من الخطة. لكن الحملة الجوية جاهزة وهو مغتبط بالتفاصيل .

ذكر تشينى وباول أن من الممكن تماما بدء ومواصلة الحملة الجوية قبل

استكمال استعداد القوات البرية وأن شوارزكوف كان يستهدف الموعد الدبلوماسى النهائى الذى يحل يوم ١٥ يناير.

بهذا يكون شوارزكوف والقوات قد أمضوا أعياد الشكر (٢٢ نوفمبر) والميلاد والسنة الجديدة فى الصحراء بهذا يكونون قد قضوا الأيام ال ٤٥ المسماه " وقفة من أجل السلام " دون تحقيق نتائج . بعضهم سيكون قد أمضى بالصحراء خمسة أشهر لذلك فان موعد ١٥ يناير المؤكد يمثل دفعة معنوية حقيقية .

قال الرئيس بوش ان عليهم أن يفكروا جديا فى بدء الحملة الجوية عند أفضل وأقرب لحظة بعد ١٥ يناير على أساس أحوال القمر وتنبؤات الطقس.

كان " باول " يحمل معه مسودة أمر " انذارى " سرى للغاية يرسل الى الجنرال شوارزكوف .. والأمر الانذارى حسب منشورات هيئة الأركان عبارة عن " اشعار هيئة الاركان اشعارا مبدئيا بامر أو اجراء على وشك الصدور" وما أن يرسل الأمر فمعناه توجيه شوارزكوف يبقى على استعداد كامل لتنفيذ خطة الحرب .

وعلى الهاتف السرى اتصل " باول " مع شوارزكوف مستفسرا عن الموعد والزمن الذى يوصى بهما بعد موعد الأمم المتحدة النهائى فى ١٥ يناير ١٩٩١، فأجاب شوارزكوف انها الساعة الثالثة صباحا بتوقيت السعودية يوم ١٧ يناير. وهذا سيكون السابعة بتوقيت واشنطن يوم ١٦ يناير أى بعد ١٩ ساعة فقط من انقضاء موعد الأمم المتحدة " ستكون ليلة المحاق بغير قمر" وهذا عامل جوهرى لقاذفات الشبح المقاتلة من طراز " ف - ١١٧ - ألف " وبما أن هذه الطائرات لن تظهر قط على شاشات الرادار العراقى فلا محل كى يتاح للعراقيين رؤيتها أو رؤية غيرها فى غياب صفاء الطقس .

وأضاف نورمان العاصف انه ما أن يبدأ الهجوم حتى يغير اسم العملية من درع الصحراء الى عاصفة الصحراء.

أعاد " باول " تنقيح الأمر الانذارى محددا لشوارزكوف أن يبقى على استعداد كامل لبدء " عاصفة الصحراء ".

سعت ٣ من صباح ١٧ يناير ١٩٩١، وقد حصل الأمر الانذارى باليد الى عدد من مسؤولى البنتاجون لاستعراض مضمونه وتم اعداد نسخة نهائية تمهيدا لارسالها (الى شوارزكوف ) عندما يصدر الرئيس بوش تفويضه النهائى .

(١٦)

إلى اسرائيل تم ايفاد ايجلر برجر مساعد وزير الخارجية وفولفوفتش مساعد وزير الدفاع فى عطلة نهاية الأسبوع الأول من شهر يناير ١٩٩١م ، كانت اسرائيل لا تزال " الكارت المتوحش " فى الشهر السابق ( ديسمبر ١٩٩٠م) كان رئيس وزرائها اسحق شامير قد قطع تعهدا استثنائيا بشكل مباشر للرئيس بوش – رغم استعدادات العراق الواضحة لكل ذى عين لمهاجمة اسرائيل ، ورغم تأكيدات العراق المسموعة لكل اذنين بأنهم سيهاجمون اسرائيل ، قال شامير إن اسرائيل لن توجه هجوما اجهاضيا إلى العراق ، وهذا يشكل مخالفة للتركيز الاسرائيلى التقليدى على الهجوم المفاجىء الذى يكسبها مزايا عسكرية واضحة، اسرائيل اذن لم تبدأ الحرب .

كان شامير يقصد من هذا تحقيق أهداف شتى ، من بينها أن الحرب لا تشجع الهجرة ( الى اسرائيل ) التى لابد من أن تنخفض معدلاتها اذا ماشاركت اسرائيل فى الحرب بصورة مباشرة حيث ستبدو فى نظر الراغبين فى الهجرة بقعة محفوفة بالمخاطر.

لكن لم يكن هناك أحد فى الجانب الأميركى يستطيع القول بأنه متأكد من رد فعل اسرائيل فى حال اذا ما هاجمها صدام حسين ، بينما كان الكل واثقون من وقوع هذا الهجوم . ولقد حاول ايجلر برجر وفولفوتش أن يسبرا أغوار القيادة الاسرائيلية ، فقال شامير أنه من الطبيعى أنه لايستطيع أن يقطع وعودا ما حول ماعسى اسرائيل أن تفعل وليس ( لدولة ما) أن تقطع عهدا مثل هذا .. فماباك بدولة اسرائيل ، وتاريخها الطويل فى الرد على حوادث الارهاب عدا وحصرا، لكن شامير

وافق على التشاور مع الولايات المتحدة قبل الاقدام على أى اجراء ووعدهما بأن الأمر لن يكون مجرد اخطار شكلى يتم ابلاغه بعد اتخاذ قرار بالرد من جانب مجلس الوزراء الاسرائيلى ، وأن الأمر سيكون تشاورا حقيقيا بمعنى الكلمة.

وقال شامير إنه يرى فى البقاء بعيدا عن الحرب مزايا عدة، لكن مبدأ وجود (الدولة) مجرد بقائها وهو مبدأ خضع للاختبار والتجريب ، قد يملى التصرف من جانب واحد.

المسؤولان الاميركيان قدما عرضا بتحسين دفاعات اسرائيل من خلال توسيع نشر صواريخ " باتريوت " التى كانت بالفعل فى طريقها إلى هناك ، وهذه الصواريخ المضادة للصواريخ من طراز أرض ، جو يمكن استخدامها ضد صواريخ " سكود العراقية ".

واذا كان هذا النظام لم يثبت جدارته بعد ، فإنه أفضل النظم المتاحة فى الوقت الحالى كان الاسرائيليون فى حال التشكك ، لكنهم وافقوا على قبول العرض (الأميركى) الذى كان يشمل فى نهاية المطاف ايفاد أطقم أميركية من أفراد التشغيل والصيانة.

كان الرئيس قد اذن ايضا باقامة رابطة اتصالات صوتية خاصة، سرية للغاية ومكفولة الأمان بين مركز عمليات البنتاجون ومقر وزارة الدفاع الاسرائيلية فى تل أبيب ، وكان من واجب العناصر الاميركية الموجودة فى اسرائيل رصد وتشغيل معدات الترميز التى تشكل جزءا من

نظام الصواريخ ، وكفل هذا الترتيب لوزير الدفاع تشينى أن يتصل من مكتبه بهذه الشبكة بمجرد وضع الفيشة فى الخط السرى المأمون والإدلاء بالاسم الكودى - الرمزى وهو " رأس المطرقة " ، ووعد الرئيس بوش بأن الوزير تشينى سوف يعطى الاسرائيليين اخطارا مسبقا قبل بدء أى عمليات هجومية ، ثم أن العبارة الرمزية " رأس المطرقة " كانت ستستخدم أيضا لتمرير أحدث وأفضل معلومات من المخابرات إلى الاسرائيليين حول أى هجمات محتمل وقوعها على اسرائيل .

وقد دخل هذا النظام إلى حيز التشغيل يوم الأحد ١١ يناير ١٩٩١ .

وفى مساء نفس اليوم التقى الرئيس بوش مع الوزير تشينى والمستشار الأمنى سكاوكروفت ورئيس الأركان باول فى سكن البيت الأبيض - كان وزير الخارجية بيكر لايزال غائبا فى الخارج أما هذه المجموعة ، فبعد أن اتخذت القرارات الجوهرية الحاسمة، لم يبق أمامها الآن سوى ابقاء العمليات ضمن مسارها الصحيح ، كان تفضيل شوارزكوف ليوم وموعد الهجوم ، الساعة ٣ صباح ١٧ يناير بتوقيت السعودية لا يزال تفضيلا سليما .

وكان السؤال هو متى وكيف يبلغ الاخطار الى الحلفاء والكونجرس؟ سيتم ذلك بالسرعة الكافية لكن ليس بتسرع لا يليق "، هكذا اتفقت المجموعة فى البيت الأبيض واستقرت على ساعة أو ساعتين قبل بدء العملية فى معظم الأحوال.

وزير الدفاع تشينى قام أيضا بمراجعة قائمة الأهداف مع الرئيس بوش ليتأكد من أن الرئيس على بينهة من النقاط التى يحتمل أن يثور خلاف بشأنها، كان مبتغاه أن يكون الرئيس سعيدا بالأمر كله.

على أن الرئيس أبدى قلقا بشأن مجموعة بعينها من الأهداف طلب الغاءها وكانت تشمل تماثيل صدام حسين واقواس النصر التى كان من المتصور أن لها قيمة سيكولوجية كبيرة بالنسبة للشعب العراقى بوصفها رموزا قومية .

يستعرضان الأهداف ( العراقية ) التى تتوخاها الحملة الجوية استعراضا نهائيا، كانت فوق الطاولة كذلك العديد من الخرائط وتقارير مئات من موظفى المخابرات - وصور الأقمار الاصطناعية، ونتائج اعتراض اختراق الاتصالات، وكل ماتوافر من المعلومات - بهدف تأكيد انه سيتم توجيه ضربة قاصمة تصيب بالعطب معظم اتصالات صدام ودفاعاته الجوية فى الساعات الأربع والعشرين الأولى بعد ذلك تتحول الحملة الجوية الى مطرقة تضرب بالنتظام بحيث تنال من آلة الحرب العراقية مع مطلع كل صباح.

فى ذلك اليوم دعا بوش كلا من قائد الطيران الجنرال ماكيك والوزير تشينى ومستشاره سكاو كروفت للغداء فى سكنه بالبيت الأبيض ،. كان ماكيك عائدا لتوه من زيارة لوحدات الطيران فى الخليج استغرقت عشرة أيام ، وكان بوش ، بوصفه طيارا سابقا بالبحرية ابان الحرب

العالمية الثانية يريد تقريرا حول الأوضاع فى مواقعها.

كان ماكيك لايزال يشعر بأن من الممكن انجاز العملية دون افراط فى استعمال القوة ، كان يؤمن بالقدرة الجوية، تماما على غرار سلفه الجنرال دوجان ، وكان يتصور أن الأفرع الأخرى من القوات المسلحة قد بالغت كثيرا فى نشر أفرادها، فمشاة الأسطول - المارينز.

والبحرية لم تكن بحاجة إلى تعبئة ست حاملات طائرات لعملياتها والجيش (البرى) لم يكن بالتأكيد محتاجا إلى الفيلق السابع ( الذى استدعوه من أوروبا) ان القوات البرية ستدعو الحاجة اليها فقد اذا أصبح الأمر يستدعى أن يدخل امرؤ مكتب صدام حسين نفسه بقوة السلاح، ويجبره على توقيع صكوك الاستسلام، وبدون ذلك فلا حاجة للقوات البرية . لكن قائد الطيران أبقى فمه مغلقا، فقد استوعب بسرعة نظرية رئيس الأركان باول فى ضرورة استعمال القوة القصوى .. ولم يشأ فى أن يجادل فى الأمر.

بل أن الجنرال مابيك أبلغ الرئيس بوش أنه لكى يشعر بالرضا عن مدى استعداد قواته ، فانه زار ١٦ قاعدة جوية (اميركية) فى منطقة الخليج وحلق مع الأطقم من الطيارين فى بروفات وتدريبات مفصلة فوق صحراء العربية السعودية ، وقد تم استحداث طرق ومسارات بهدف محاكاة المسافات والظروف التى من المقرر أن يصادفها الطيارون داخل العراق وخلص قائد الطيران إلى أن قال للرئيس بوش :

- هؤلاء الرجال على استعداد لأن ينطلقوا، لقد كنت هناك وقمت بالطيران معهم وهم على خير مايرام ، وفى تمام الاستعداد.

ثم أضاف أنه لو قرر الرئيس شن الهجوم، فإن توصيته تقضى بأن يتم ذلك فى أقرب موعد ممكن بعد ١٥ يناير- الموعد النهائى المفروض .

وأوضح أنه فى الأسابيع الأولى من نشر القوات فى أغسطس (١٩٩٠م)، ترددت الأحاديث بين الطيارين المقاتلين عن " اننا سنسلخ جلده" وما إلى ذلك لكن واضح الآن أن هذا الحماس لم يعد كما كان ، بل أن الطيارين صاروا هادئين وساكنى الشعور. وهو ما يذكره بالمدفعجية فى فيلم " شين " الذين كانوا محنكين يعرفون أن القتال وشيك لكنهم لم يندفعوا اليه اندفاعا.

وبدا أن الرئيس بوش سمع تفاصيل أكثر فمضى قائد الطيران، ماكبيك يقول : - حلقت فى رحلة مع تشكيل من أربع طائرات اف - ١٥، وشغلت المركز رقم ٢حيث اعتادوا أن يضعوا العنصر الضعيف فى التشكيل وطرنا ٦ طلعات حاملين قنابل حية زنة ٢٠٠٠ رطل وقد تم محاكاة ظروف الاشتباك فى ظل انقطاع الاتصال اللاسلكى ، وطرنا فى أرمادا - أسطول منيع يضم طائرة التشويش الالكترونى وناقلات نفط طياره لاعادة التموين ، كان المشهد أشبه بمناظر فيلم " حرب النجوم ".

ثم قال لبوش أن الطيارين لم يعد بوسعهم تحمل المزيد من التأخير ، وكل تأخير يطول عن يوم الغد كفيل بأن ينفس صدورهم المفعمة بهواء الاستعداد النفسانى .. بل سيكون الأمر فادح الأثر.

وتم فى نفس اليوم دعوة زعماء الكونجرس إلى اجتماع عاجل فى البيت الأبيض.. وعندما سئل الرئيس بوش :

- متى ستهاجم الولايات المتحدة أجاب :

- التبكير أفضل من التأخير.

فى عصر اليوم نفسه ذهب وزير الخارجية بيكر ومساعده الى البنتاجون وأمضيا ساعة كاملة فى مركز ستوك ( قلعة الاتصالات والتخطيطات الالكترونية الفائقة السرية فى البنتاجون ) يستعرضان الأهداف ( المطلوب ضربها)، كان وزير الدفاع تشينى يريد من بيكر أن يراجع بعين السياسى جوانب الحملة الجوية ليرى إذا ماكان ثمة نتائج غير محسوبة ، لكن لم تجر أية تغييرات أخرى على قائمة الأهداف العراقية.

فى السادسة والنصف من صباح الثلاثاء ١٥ يناير رفع الرئيس بوش سماعة الهاتف أجرى مكالمة مع وزير الخارجية بيكر، ثم مضى بوش وحيدا يتمشى فى الحديقة المغطاة بالعشب جنوبى البيت الأبيض .

واستدعى الرئيس اثنين من رجال الدين فى ذلك الصباح ، كان أولهما رأس الكنيسة التى يتبعها بوش وهو المطران أدموند براوننج الذى أمضى سهرة تهجد من أجل السلام خارج البيت الأبيض فى الليلة السابقة.

واتصل بوش أيضا براعى كنيسة مجلس الشيوخ القس هالفرسون الذى انضم اليه فى دعاء من أجل الأمة.

فى العاشرة والنصف التقى بوش بالمكتب البيضاوى ومع أقرب مساعديه ، كويل ، بيكر، تشينى ، سكاو كروفت ، وكان على الطاولة أمام الرئيس مسودة توجيه الأمن القومى الفائق السرية الذى وقع فى صفحتين .

كانت المسودة قد تم تعديلها كى تشمل شرطين فأصبحت تحمل تفويضا بتنفيذ عملية " عاصفة الصحراء " بشرط :

(١) ألا يكون فقد لاحت بادرة انفتاح دبلوماسى كبرى.

(٢) أن يخطر الكونجرس حسب الأصول .

كانت الوثيقة تطرح أساسا المبررات التى استندت اليها الإدارة لشن الهجوم فى أعقاب انتهاء الموعد النهائى المضروب ( فى ١٥ يناير ١٩٩١م)، فذكرت أن سياسة الولايات المتحدة تقضى بحمل العراق على ترك الكويت ، وأن جميع الوسائل قد فشلت فى اقناع العراق بالانسحاب بما فى ذلك الدبلوماسية والعقوبات الاقتصادية و١٢ قرارا صادرا عن الأمم المتحدة، وأن الانتظار من شأنه أن يلحق الضرر بمصالح الولايات المتحدة ، لأن العراق لايزال ينقل المزيد من القوات إلى مسرح العمليات فى الكويت ويضفى تحسينات على تحصيناته بالكويت المحتلة ويعامل شعبها بوحشية ، وأن الأمر بات يقتضى مهاجمة الجيش العراقى دفاعا عن قوات الولايات المتحدة وحلفائها، وأشار التوجيه أيضا إلى ضرورة التقليل إلى الحد الأدنى من الخسائر البشرية فى المدنيين ومن الأضرار التى تلحق العراق بما يتفق وحماية القوات الصديقة- مع ضرورة حماية الأماكن الاسلامية المقدسة.

ووضع الرئيس جورج بوش توقيعه على الوثيقة ، ثم فوض بوش وزير الدفاع تشينى بتوقيع الأمر التنفيذى على أن يرسل فى اليوم نفسه إلى الجنرال شوارزكوف .

وذهب تشينى ليتناول الغداء مع الأعضاء الجمهوريين فى مجلس الشيوخ ، وفى

اجتماع منفصل مع الأعضاء الديمقراطيين بالمجلس سئل الوزير :

– عندما ينتهي أجل الموعد النهائي ، هل ستنتظرون أم أنكم سوف تتحركون بسرعة ملحوظة ؟

كان تأمين سرية العملية هو الشغل الشاغل في عقل الوزير تشيني ، مع ذلك فلم يشأ أن يضللهم.. لذلك قال :

– التبكير خير من التأخير.

هكذا تعمد استعمال نفس العبارة التي سبق واستخدمها الرئيس بوش البارحة وهو يخاطب زعماء الكونجرس.

في الخامسة مساء عاد الوزير تشيني إلى مكتبه ، ووصل الجنرال باول ومعه ملف مضموم وممهور بعبارة " سرى للغاية " يحوى الأمر التنفيذي .

كان رئيس الأركان قد كتبه بنفسه ثم استعرضه مع الوزير تشيني ، وكان هناك مستند تفسيري برتقالي اللون يقول بأن هذا الأمر يفوض الجنرال شوارزكوف بتنفيذ " عاصفة الصحراء" امتثالا للأمر الانذاري الصادر في ٢٩ ديسمبر ١٩٩٠م.

كان أمرا تنفيذيا من النوع المألوف ، كان يتطلب من الوزير تشيني أن يضع الحروف الأولى من اسمه فقط في مربع بأعلى الوثيقة علامة ، على أنه موافق عليه ، بعد ذلك ، كان يتعين على باول أن يصدر رسميا الأمر ( بوصفه رئيس الأركان ) ، في إطار سلطته التي تخوله تدبير المراسلات بين وزير الحربية وقيادة الأركان. لكن الرجلين ، وزير الحربية ديك تشيني ورئيس الأركان الجنرال كولن باول رأيا أن تلك وثيقة تاريخية .

لهذا لم يكتفيا بحروف أولى ، قام كل منهما بالتوقيع فوضع على الوثيقة اسمه كاملا.

## (١٧)

هكذا صدر الأمر التنفيذى المرتقب بشن الهجوم فى صحراء الجزيرة العربية بهدف اخراج قوات صدام حسين بالقوة العسكرية من الكويت لم يبق بعد توقيع وزير الحربية الأميركى ورئيس أركان قوات الولايات المتحدة المسلحة - سوى ارسال هذا الأمر فى التو واللحظة إلى الجنرال نورمان شوارزكوف المناط به تنفيذ العملية ميدانيا.

يقول المؤلف :

" رتب الجنرال باول لارسال نسخة من الأمر التنفيذى بالفاكس وعليها شعار لاطلاعه الشخصى فقط " إلى الجنرال شوارزكوف مستخدما فى ذلك دائرة الفاكس الفائقة السرية وفى غضون ٢٦ ساعة لاغير سيتحول اسم عملية درع الصحراء ليصبح عملية " عاصفة الصحراء ".. ( يبدأ الهجوم ).

كان باول حتى الآن (١٥ يناير ١٩٩١م) قد ابقى القرار سرا على أركان حربه لكنه بادر الآن إلى دعوة مساعده الأول الجنرال كيلى ودار الحوار التالى :

- جنرال كيلى .. الحرب تبدأ مساء الغد وباعتبارك كنت فى مجال الصحافة والاعلام فسوف تتولى مهام الضابط المسؤول باسم البنتاجون عن البيانات والبلاغات الصحفية على نحو ماسبق بالنسبة لعملية بنما.

- حسنا .. سيدى .

- لا تقل لأحد كم من المؤتمرات اليومية سوف تعقدها للصحافة ، وعليك أن تجيب على الاستفسارات دون أن تفضى من جانبك بأى أخبار.

- حسنا .. سيدى .

الجنرال " كيلى " كان فى حال تقرب من التأكد خلال الأسابيع الماضية ، بأن الحرب واقعة لا محالة دون أن يكون لديه معلومات قاطعة بذلك ، كانت تقارير المخابرات من جانبها توضح أن صدام فى حالة استعداد، ولا يزال يوسع تحصيناته.. يحفر الخنادق ويرسل ( إلى الكويت ) المزيد من القوات ، كان هناك المزيد من البترول فى الخنادق العراقية يكفى لحرق الدبابات الأميركية ، والمزيد من الأسلاك الشائكة، والمزيد من الألغام والمزيد من الملاجىء الحصينة.

الجنرال " كيلى " كان فى حال من الدهشة الشديدة إزاء ماظهر وكأنه توقعات فى هذا المضمار، بدأ صدام وكأنه يتصور أن الولايات المتحدة تخطط لكى تجعل الأمر تكرارا لحرب العراق ايران .. جيشان لايدريان من الأمر شيئا.. ويبادر كل منهما إلى الالقاء بنفسه إلى حيث دفاعات الجيش الآخر.. على امتداد ثمانى سنوات، تصور اذن – هكذا كان يفكر رئيس العمليات فى البنتاجون – تصور لو اتيح لصدام وجنرالاته ان لقوا نظرة على الدليل السرى للعمليات العسكرية للجيش الأميركى الذى يشدد كثيرا على فن المناورة والمباغتة الحربية ! فماذا يكون الحال ؟

على أن الجنرال كيلى كان مندهشا أكثر من الهدوء الذى يسود البنتاجون ، أن عملية بنما بدت له وكأنها أشد اضطرابا وأكثر صخبا لكن ثمة وجها من التشابه لايزال قائما مع عملية بنما، فبرغم شهور الاستعداد ، وبرغم المزايا القاطعة التى تتمتع بها قوات الولايات المتحدة ، وحلفاؤها، فإن الجنرال لايزال غير متأكد من أن تنقلب الأحوال أو تدور الدوائر على غير انتظار.

كان هذا هو الخوف المستأصل من الفشل .

وصل الأمير بندر سفير السعودية فى زيارة إلى مكتب وزير الدفاع تشينى فى عصر اليوم نفسه .

سأل السفير :

– أى جديد ؟ بقى لنا أيام أم أسابيع ؟

ابتسم تشينى مراوغا وقال :

– يبدو أننا فى أسبوع طيب.

فهم بندر هذا القول على أن المسألة على وشك النفاذ، لكن عندما واصل الحديث مع الوزير.. لم يعد متأكدا من هذا الفهم.

بيت ويليامز المسؤول الصحافى فى وزارة الدفاع عقد العديد من الاجتماعات والمشاورات مع رجال الاعلام وبعدها أصدر دليل القواعد الأساسية الواجب اتباعها من جانب الصحافيين فى حال اندلاع الأعمال العسكرية فى منطقة الخليج ، كانت ١٢ قاعدة تحتويها قائمة من صفحة واحدة لاغير !

محظور نشر أو اذاعة أى معلومات محددة تريد وزارة الدفاع ابقاءها سرا بما فى ذلك حجم القوات العددى وكذلك أعداد الطائرات والأسلحة والمعدات واللوازم والامدادات .

ومحظور أيضا النشر عن خطط وعمليات المستقبل ، وعن مواقع القوات وعن التكتيكات . وقد تقرر أن تتم كل التغطية الاعلامية للعمليات الحربية على شكل مجاميع للصحافيين فى نقاط تجميع سيكون عملها خاضعا لمراجعة أمنية قبل النشر، ولا يسمح لأى صحافى بحرية التجول فى مناطق القتال على نحو ماكانوا يفعلون فى فيتنام.

الجنرال كيلى كان معجبا حقا بأسلوب رئيس الأركان باول فى السيطرة على عملية درع الصحراء سواء من ناحية التخطيط العسكرى أو اتخاذ القرارات ، كثير

من الاجراءات التى لم تتم فى اجتماعات البيت الأبيض كانت تتم عبر " الهاتف السحرى " وهو أحدث جيل من أجيال الهواتف السرية الشديدة التأمين ، كان الهاتف السحرى يوصل بين الرئيس ونائب الرئيس ومستشار الأمن القومى سكاو كروفت ورئيس الديوان سنونو ووزير الخارجية بيكر ووزير الدفاع تشينى ورئيس الأركان باول ورئاسة الأركان والقيادة المركزية بمافيها الجنرال شوارزكوف .

وكانت مسره باول البيضاء قابعة على طاولة مكتبه فى مكان الصدارة ، وكان يستخدمها فى أحيان كثيرة مؤكدا بذلك أنه همزة الوصل عسكريا مع المدنيين فى واشنطن ، فى السعودية كان شوارزكوف يؤدى نفس الدور مستخدما وصلته " المسحورة " أيضا .

كانوا يريدون تحاشى الكابوس العسكرى الذى شهدته حرب فيتنام حيث كان الرئيس الأسبق ليندون جونسون ينحنى على الخرائط فى البيت الأبيض ويرسم الدوائر حول أهدافا بعينها، لهذا عمد باول إلى أن يبقى قدر الامكان كثيرا من معلومات الأهداف الجوية بعيدة عن واشنطن .. بل أن أحدث قائمة أهداف بالنسبة لأول أيام الضربات الجوية لم تكن فى متناول حتى الجنرال كيلى ومساعديه من ضباط الأركان ، وأبلغ سوف يتسلمها فى اليوم التالى مشفوعة بمعلومات عما حدث بالفعل ، كذلك لم تكن واشنطن تلقى مقدما الأوامر اليومية حول التكليف بالأهداف أو رسم خطط الضربات الجوية .

كل مافعله باول أنه أجاد التعامل مع قادة أفرع القوات المسلحة ، هكذا تصور الجنرال كيلى ، حيث كان يضعهم باستمرار فى الصورة كى لا يتصوروا أنهم خارج الصورة فى حين أنهم فى واقع الأمر لم يلعبوا أى دور فى عملية اتخاذ القرار، بل كان كيلى يتصور أن تأثيرهم على مجريات الأمور وصل إلى نقطة الصفر.

لكن الجنرال فونو- رجل القوات البرية فى البنتاجون ساعد على نحو ما فى التثبت من حصول شوارزكوف على أحدث المعدات بل وصل الأمر أحيانا إلى فرضها على شوارزكوف إذ كان فونو يصر على إرسال أكثر من ١٠٠٠ من أحدث الدبابات المتطورة من طراز "ام - ١ آلف" إلى وحدات الجيش التى تم نشرها، حتى دون أن يصحب نموذج بيانى لشرح تشغيلها، ولقد قاوم شوارزكوف هذا الأمر فى البداية تحاشيا لأى تعويق ينجم عن التحول إلى المعدات الجديدة الأمر الذى يتعين على القوات أن تتعلمه ، لكن الدبابات الجديدة أدت إلى تحسين الفعالية القتالية وتعزيز ثقة الجنود ، فقد كان المدى الفعال للدبابة الأميركية الجديدة من الطراز المذكور، يبلغ ضعف أفضل الدبابات العراقية من طراز " ت - ٧٢" ، وكانت جديرة بأن تجعل الولايات المتحدة أشبه بملاكم ذى ذراع يقرب طوله المترين ، وهكذا.. وافق شوارزكوف على الدبابات .

قائد الجيش البرى ضغط أيضا على شوارزكوف ليقبل بنظام الاستطلاع اسمه "ج- ستارز" وهو اختصار لعبارة " النظام الرادارى للاستطلاع المشترك للهجوم على الأهداف " وأن نظاما جديدا كل الجده ولم يسبق تجربته فى ميدان القتال. وكانت مهمة " ج- ستارز" هذا هى استكشاف حركة الدبابات وغيرها من المركبات البرية المتحركة وهو يغطى مسافة الأرض تماما كما يغطى طائرات الأواكس أجواء الفضاء، ولهذا أتاحت وحدتا " ج- ستارز" اللتان ارسلتا إلى الجنرال شوارزكوف الحصول على صورة رادارية برية كاملة لمساحة الأرض البالغة ١٠٠ ميل داخل الكويت والعراق وكان معنى هذا بالضبط هو ضمان ألا تفاجأ القوات الأميركية أو تتعرض لأى حركات التفاف أو مناورة من جانب العراق .

فى صباح اليوم التالى ، ١٦ يناير ، وقبل أن يذهب إلى مكتبه فى البنتاجون أعد وزير الدفاع تشينى حقيبة بأغراضه الشخصية ، كان يتوقع أن يمضى ليالى عدة

فى المكتب ، ولكى لا يطلع سائقه أو رجال الأمن المرافقين له على مايجرى قرر الوزير أن يترك الحقيبة الجاهزة فى البيت ، فبامكانه أن يرسل فى طلبها عندما تقترب ساعة الصفر ، وعندما وصل الوزير تشينى إلى مكتبه ، كانت القاذفات من طراز ب- ٥٢ قد انطلقت من قاعدة سلاح الطيران باركسويل فى ولاية لويزيانا فى طريقها إلى الخليج وكان مقررا أن يتم تزويدها بالوقود أثناء تحليقها فى رحلة الساعات ال ١٨ المقرر أن تستغرقها قبل وصولها إلى أهدافها، كان لايزال بالإمكان استدعاء الطائرات للعودة إلى قواعدها، لم يكن القرار قد وصل بعد إلى نقطة اللا عودة .

حرص وزير الدفاع على التحقق من جدول مواعيده فأحال أمور الميزانية وما فى حكمها على نائبه " دون أتوود" .. التقط جهاز الريموت كنترول وسلطه على جهاز التليفزيون فى مكتبه فأداره على محطة " سى . ان . ان " كان يتصور أن أول تسرب يحدث أو أية اشارة تبدر عن أن الحملة الجوية أصبحت وشيكة الوقوع سيكون على الأرجح من خلال محطة تنيع الأخبار على مدار الساعات الأربع والعشرين .

ساعتها شرع وزير الدفاع يتساءل عن مدى كفاءة القوات الأميركية فى أداء مهامها؟ .. وبأية تكاليف ؟ وبأى حجم من الخسائر البشرية ؟ كان قد تلقى التقديرات المحسوبة بنماذج الكمبيوتر المختلفة لكنه خلص إلى أنها لم تكن سوى تخمينات .. ومع ذلك لم يشعر بأى تلبك فى أحشائه .. فقد قضى الأمر وخرج كل شىء من يده .

فى نفس الصباح ، ١٦ يناير ١٩٩١، استدعى وزير الخارجية جيمس بيكر الأمير ( بندر) إلى مكتبه بوزارة الخارجية ليقول له ان التنفيذ سيكون فى السابعة من مساء اليوم هنا( فى واشنطن ) وهى الثالثة صباحا بتوقيت العربية السعودية .

وبادر " بندر" إلى طلب الملك فهد على الهاتف وتبادلا حديثا عاديا لعدة دقائق بعدها، قال بندر محاولا أن يبدو الأمر وكأنها فكرة طارئة.

- ان صاحبنا القديم سليمان قادم فى الثالثة صباحا ان شاء الله ، إنه مريض ولسوف أبعث به اليكم ليصل هناك فى الثالثة صباحا.

( وكانت كلمة سليمان هى كلمة السر لموعد بدء العمليات ) وانتابت " بندر" دهشة بالغة ، لما بدا وكأنها قدرة قوات الولايات المتحدة وحلفائها على تحقيق المفاجأة وخلص إلى أن سبب هذه القدرة ربما يرجع إلى أن الرسالة - أو الاتصالات التى وجهت إلى صدام كانت مختلطة ومربكة أيضا عبر الأشهر الماضية.

ويبدو أن جورج بوش كان من الصعب قراءته أو استطلاع نواياه ، بالنسبة لصدام ، وياله من مفارقة - فى رأى بندر بن عبد العزيز- ان يكتب مصير الحرب بسبب سوء التفاهم بين الثقافات أو الحضارات.

فى الخامسة الا عشر دقائق عصرا، أقلعت أولى طائرات " ايجل " من طراز فـ- ١٥ فى طريقها إلى أهدافها، كان يمكن بدورها استدعاؤها ، أقلعت أيضا ناقلات النفط الطائرة لزوم التموين فى الجو.. هكذا كانت الحرب الجوية تتحرك وتجيش وتنتفض فى طريقها نحو حافة المواجهة ، رأى تشينى أنه ليس هناك فى دنيا الصحافة والاعلام من عرف بهذا الذى يدور، الصحافيون كانوا تحت سيطرة محكمة من خلال القواعد التى أعلنت لهم ، ثم ان السماء كانت باستمرار مزدحمة بنشاط جوى حافل طيلة الفترات السابقة، لهذا بدا النشاط المستجد وكأنه أمرا روتينيا عاديا.

كان البيت الأبيض قد أسند إلى تشينى مسؤولية الابقاء على اتصال مع الاسرائيليين على أن يبلغ بهذا الأمر الاتصال إلى حد جعلهم أعضاء بحكم الأمر الواقع فى التحالف القائم، كانت الاتصالات مهمة فى غاية الدقة ، صدام وعد بمهاجمة اسرائيل بطريقة ما اذا ماتعرض هو للهجوم من جانب التحالف ، وكان من حق الاسرائيليين أن يصلهم تحذير فى هذا الشأن، لكن أى مشاركة اسرائيلية فى

الحرب كانت كفيلة بأن تؤدى إلى عواقب سلبية شديدة فى العالم العربى بل وربما توهن من بنية التحالف .

فى حوالى الساعة الخامسة مساء ( أى قبل بدء الهجوم بساعتين ) التقط وزير الدفاع تشينى الخط الذى يحمل الأمر الكودى ، " رأس المطرقة " وأجرى مخابرة هاتفية مع وزير دفاع اسرائيل موشى ارينز وأبلغه أو أشعره بأن الهجوم كان يجرى شنه .

فى الخامسة والنصف بالضبط اطلقت السفينة الأميركية " بنكرهل " المتجولة فى مياه الخليج صاروخ " توما هوك " إلى داخل الأراضى العراقية ، هذا الصاروخ العابر الذى لم يكن يديره انسان لم يكن بالامكان استعادته بحال من الأحوال .. هكذا قضى الأمر... ودارت عجلة الحرب ، ولم يعد بالوضع ارجاعها إلى الوراء .

## (١٨)

عند ساعة الصفر " الثالثة من صباح يوم ١٥ يناير ١٩٩١م اندلعت حرب الخليج على نحو ماخططه " القادة " أبطال كتابنا الذى يقول المؤلف :

" كان هناك نحو ٢٠ صاروخا من طراز توما هوك مبرمجه سلفا لضرب القصر الجمهورى لصدام وسنترال الهاتف العمومى ومحطات بغداد الرئيسية لتوليد الكهرباء – عند حلول ساعة الصفر .. وكلفت سبع من سفن البحرية الأميركية باطلاق ١٠٦ من صواريخ توما هوك خلال الأربع وعشرين ساعة الأولى من اشتعال الحرب ، وبما أن هذه الصواريخ لم تكن قد استخدمت قط فى القتال من قبل فقد كلفت بواجب المساندة للأهداف التى تقصدها جميع هذه الصواريخ – قاذفات سلاح الجو " الأميركى " ، وكان مقررا للحملة الجوية أن تشمل أكثر من ١٠٠٠ طلعة فى الساعات الأربع والعشرين الأولى ، ثم تتوسع بعد ذلك .

فى الساعة ٣١ر٥ اطلقت السفينة ويسكونسن أول صواريخها– توما هوك .

على متن ويسكونسن كانت توجد وحدة مخابرات ، فبادرت الوحدة إلى ابلاغ تقرير عن هذا الاطلاق عبر نظام " كريتيك " للانذار العسكرى فى حالة الطوارىء وهى الشبكة المصممة لتطير رسالة – فلاش فى حالة وقوع " أى دلائل قوية عن اندلاع وشيك للأعمال الحربية من أى نوع ".

كان نظام " كريتيك " قد تم استحداثه للتأكد من أن جميع قوات الولايات المتحدة . فى كل أنحاء العالم ستتلقى أقرب انذار بالتأهب عند توقع وقوع أعمال

عسكرية وخاصة وقوع هجوم من جانب الاتحاد السوفيتى .. وعندما طيرت الرسالة كان لابد لها أن تتخطى سائر الرسائل والاشارات الأخرى وتقرع أوتوماتيكيا جميع أجراس التنبيه فى جميع المبرقات الموجودة فى الالاف من مراكز قيادة ( القوات الأميركية ) فى كل أنحاء العالم.

( وقد حصل )

وهتف الجنرال كيلى :

– لماذا نقلها هؤلاء الأغبياء الأوغاد ؟

ها قد فعلتها البحرية مرة أخرى ؟

وأبلغ رئيس الأركان باول فى الحال

وتأملها الجنرال باول ، يا الله ( كأننا سنقلب أمن عملياتنا على أم رؤوسنا .

وصدرت الأوامر إلى السفينة" ويسكونسن" بالغاء الاشارة التى أرسلتها وبنفس السرعة تم ابراق رسالة الإلغاء " وكان العسكريون من رجال ونساء فى جميع أنحاء العالم يعرفون أن أول تقرير يصلهم عن أى حادثة تقع كثيرا مايكون مغلوطا.. لهذا لم يقفز أحد لاستخلاص نتائج، هكذا كفل أمن العمليات وأصدر الوزير تشينى ورئيس الأركان باول الأوامر بوقف مؤقت لنظام " كرينتيك " وحاول باول أن يعرف من الذى بلغ به الغباء إلى حد تشغيله كى يستطيع ايقافه أيضا .

وواصل تشينى مشاهدة قناة "سى . ان .ان " كان كبير مذيعيها برنارد شو فى بغداد يجرى حديثا مع كبير مذيعى " سى .ان .ان " السابق والتر كرونكيت فى نيويورك ، عن تغطية الحرب .. وكان كرونكيت يتذكر تجاربه التى ترجع إلى الحرب العالمية الثانية .. وأوضح شو أنه ذهب إلى بغداد ليجرى حديثا مع صدام لكن لم يتسن اجراء المقابلة ومن ثم فهو بسبيل المغادرة على طائرة عصر اليوم التالى .

ولكن لن تكون هناك رحلات طيران عصر اليوم التالى ( هذا ما كان الوزير تشينى يعرفه) وشعر باحساس غريب وهو يشاهد التليفزيون عارفا أن مئات من مهمات الهجوم فى طريقها إلى الكويت والعراق لكن لا تعلم بها وسائل الاعلام ولا يدرى بها جميع الاميركيين تقريبا .

واقتربت ساعة الصفر، أرسل وزير الدفاع سائقه يطلب " حقيبة الوزير" من زوجته ماكلين ، ثم أرسلوا من المكتب ليأتى بطعام صينى .

لم يشأ الجنرال باول أن يضع نفسه فى مركز العمليات فى حالة ترقب اعلامى دائم ، شعر أن هذا الترقب هو ما عاشوه خلال غزو بنما عندما اتخذ مقعده إلى جوار الوزير تشينى فى موقع القيادة حول طاولة المركز، لكن هاهو تشينى فى مكتبه ، وهاهو باول باق فى مكتبه بدوره بانتظار ساعة أو بضع ساعة قبل حلول السابعة مساء ( بتوقيت واشنطن).

جلس فى كرسيه الجلدى الكبير الأحمر الغامق ، كان رئيس الأركان وحيدا ، فى آخر حديث له مع شوارزكوف فى ساعة مبكرة من ذلك اليوم على الهاتف المأمون قال باول :

حظا سعيدا يانورم ؟

ثم ان البيت الأبيض يبدو مرتاحا إلى مايجرى وعلى نحو ما حدث فى بنما ، شعر باول أنه قد أعد الرئيس بوش بمافيه الكفاية ، سوف تكون هناك أنباء سيئة.. ستنفجر أوضاع بوجهنا، سيراودك اغراء بأن نقيض على الأمور بيديك شخصيا محاولا أن نسوى كل المشاكل بنفسك سوف تطالعك ثغرات وندوب وجروح هنا وهناك.. وسوف يشيح الناس عن وجهك على شاشات التليفزيون كل هذا سوف يستغرق وقتا ، وكلما اتحت لنا مزيدا من الوقت دون تدخل من جانبك ولكى نعالج الأمور بطريقتنا بوصفنا عسكريين محترفين ، كان ذلك أفضل.

وبرغم كل ماتجمع من قوة النيران ، وبرغم ما كان يتوقعه من سرعة وعنف ، الا أن باول عمل بدأب مع شوارزكوف للتأكد من أن الهجوم يظهر قدرا من التحكم والانضباط فالدمار المصاحب ( لعمليات الهجوم ) يعنى أساسا الخسائر البشرية لابد وأن يكون عند الحد الأدنى ، فمن بين الستة جسور التى تقطع ضواحى العاصمة بغداد كان على الحملة الجوية بناء على الحاح باول ، أن تضرب جسرين فقط وتترك أربعة معلقة كان باول مقتنعا أنه لن يكون من صالح الولايات المتحدة أن يصل الأمر إلى عراق مهزوم ومحطم تماما ومجرد من القدرة على الدفاع عن نفسه ، لهذا سوف يتعين ، ترك بعض الدبابات والعناصر العسكرية العراقية بغير مساس .. كان وزير الخارجية بيكر قد تم اطلاعه على مجريات الأمور وكانت أسئلة وزير الدفاع تشينى قد لقيت الاجابة عليها وكانت هيئة أركان الجنرال باول يسودها الهدوء ورؤساء الأفرع الستة فى قيادة الأركان أو " الاشقاء الستة " كما تعود أن يسميهم كانوا جميعا فى حال من الاتفاق.

القاعدة رقم (٨) من القواعدة التى يحتفظ بها الجنرال باول على طاولة مكتبه كانت تقول :

" تفحص وراجع الأشياء الصغيرة" لم يكن هناك ماتبقى للفحص .

كانت الدقائق تمضى ، وجد الجنرال باول نفسه يستعرض ذهنيا كل التفاصيل المجددة من واقع أهداف حرب الطيران، أهذا هدف مفيد ؟

أهذا هدف سىء؟ هل يتعين علينا استخدام صواريخ " توماهوك " أو طائرات "ف- ١٥أي" لضرب هذا الهدف أو ذاك ؟ أو ربما تستخدم كليهما؟ أم لا تستخدم أيا منهما؟ ولكنه كان يعرف أن الأهداف روجعت مرة ومرات .. اذن فعليه أن يكف عما هو فيه .

هذه هى النهاية ، هكذا تحقق من الأمر ، ولاحت فى خاطره صور من لعبة المقامرة – البوكر، ان البرهان مرتفع وغال ، كانوا يستخدمون جميع ماتوفر لديهم من مزايا – التكنولوجيا– التفوق فى الاستخبارات والاستطلاع والمعلومات، خطة بدت فى مظهرها ومخبرها قرية من الكمال، كل الظروف كانت مواتية إلى جانبه ، يكاف يكون كل شيء مؤكدا .. لكن ، كما فى لعبة المقامرة –البوكر، لا سبيل كما يعرف إلى التأكد أو اليقين " كرابس ..ايقاع الرد فى أيدى اللاعبين والبلد موضوع الرهان على الطاولة .. والرد يتأرجح طائرا فى الهواء ، وتلك اللحظة انتظار إلى أن يحط الرد على ساحة المائدة ليخبط سجادتها (الخضراء) ويصل إلى أقصى طرفها.. ويسمع ايقاعه كالصدمة إلى أن يستقر فجأة إلى سكون . " بول" هذا هو الصندوق المشترك ستجتمع فيه رهانات المقامرين ، كان الجنرال قد وضع تحت زجاج مكتبه عبارات نقلها من فيلم " المشبوه " تقول :

– اسرع يا ادى ( فلنستول على حصيلة الرهان " اذن فقد حانت لحظة المواجهة.

عبارة مأثورة أخرى كان رئيس الأركان قد وضعها تحت زجاج مكتبه :

– لا تسمح لهم فقط برؤيتك وأنت تنضح عرقا ! لا يزال بوسع صدام أن يخرج من جعبته لعبة خاطفة وخطره من نوع ما، فى دقائق معدودات ، يستطيع الزعيم العراقى أن يبرق برسالة اذعان وربما يؤدى هذا بأن تخرج العملية عن مسارها المرسوم، مابرح الجنرال باول مقتنعا بأن صدام لم يكن يريد الحرب ولم يكن قادرا عليها، وما كان ينبغى له أن يسعى اليها ، أساء صدام قراءة العزم الأمريكى ، وهو باليقين لم يستوعب جسامة ما أعدوه لكى يضربوه به .

كيف السبيل إلى ضمان أمن العمليات ؟

هكذا تساءل رئيس الأركان لقد تعودوا بصورة جيدة على كتمان الأسرار، لكن إلى أى حد من الجودة ؟ ربما تكون العملية قد تعطلت .. الأمر بين مستبعد الى مستحيل ، لكن من يدرى .. لا وجه للتأكد أو اليقين .

توقع الجنرال باول أن تستغرق الحملة الجوية حوالى ثلاثة أسابيع ، وبعدها سوف يتعين على قوى التحالف أن تستلم زمام المبادرة من صدام ومن ثم فالحرب البرية تكون حتما مقضيا، وعندما راودته فكرة الحرب البرية ، وجد الجنرال نفسه نهبا للقلق حول المسارينز- مشاة أسطول .

ان الجيش أى القوات البرية سيكون فى موقف أكثر أمنا بفضل عمليات تطويق الجوانب التى يتبعها .

سيظل الجنرال كولن باول يتذكر ان هذا اليوم هو أهم أيام حياته ، لقد خدم فى سلك الجيش أكثر من ٣٢ عاما ثم هاهو يتربع فى مركز القمة العسكرية عشية اندلاع حرب كبيرة ، لكن هذا اليوم لا يحقق كل مايصبوا إليه المرء. هنالك راودت فكرة العبارات القديمة التى قالها " روبرت لى " من نعم الله أن الحرب أمر فظيع والا.. كنا أحببناها لدرجة العشق " ، لقد كان " لى " عندما قال ذلك يرقب مصارع قوات العدو الاتحادية فى فردريكسبرج ( ابان الحرب الأهلية الأميركية ) عام ١٨٦٢م ، كم يحب العسكريون جو الاستعداد للحرب ، من البنتاجون بدت الحرب أحيانا مثل لعبة كبرى ، ولو لم يكن معناها أن هناك أفرادا سيموتون ، أصبحت الحرب مسلا ، كبرى هكذا كان يفكر الجنرال باول .

وكان عليه أن يذكر نفسه بين حين وآخر أن الأمر ليس مجرد لعبة ، ان الجمهور والعالم كله سوف يشاهد صورة محدودة ومنضبطة ومنقحة لتلك الحرب فسوف يحرصون على ابقاء وسائل الاعلام بمنأى عن مجريات الأمور، حتى شرائط

الفيديو من كاميرات المدافع فى الطائرات القاذفة التى تصور عمليات الهجوم ، سوف يتعمدون تخيطها حين عرضها على الجمهور، أما الشرائط المسموعة فسوف تخضع لعمليات مراجعة و"مونتاج" فى معظم الحالات كى لا يسمع الناس صيحات الطيارين العصبية المتوترة وماقد يصدر عنهم من لعنات وعبارات تخرج عن اللائق أو المألوف . لن يتاح للجمهور أن يسمع نفقات الطيارين التى تصدر عنهم ، مثل شرر النار المتطاير بسرعة ، اذ هم واقعون تحت ضغط حلبة القتال التى يلبسونها ورعب المعركة التى يخوضون غمارها.

هنا توجه تفكير الجنرال " باول " إلى الجنود والطيارين ، رأى فيهم فتية فى عمر الزهور بل مراهقين فى بداية شرخ الشباب ، سوف يطيرون وسط الظلام أو يحلقون على ارتفاع منخفض خلف الخطوط لتحديد الأهداف بدقة ، سوف يتطور الأمر ليصبح مجرد فتى أميركى يتعامل مع فتى عراقى .. كلاهما يريد أن يعيش .

وشعر الجنرال باول بقشعريرة وهزة ورجفة باردة فى أوصاله ، ان الحرب فى ايدى هؤلاء الفتيان ، فاذا ما فشلوا فلسوف يعنى هذا أن باول والجنرالات الكبار البالغين – لم يحسنوا أداء عملهم بما فيه الكفاية هذا هو الذى سيقال !

سوف تمضى ساعات قبل أن يعرف الجنرال باول ماذا حدث ، فالجنرال شوارزكوف مشغول بمسؤولية ميدان القتال وابلاغ واشنطن بما يجرى لن يكون من أسبق أولوياته فى تلك الظروف ظل الجنرال باول وحيدا، وبقيت السكينة تسود مكتب رئيس الأركان، لم يكن هناك من يعرف ولم يكن هناك من لديه فكرة واقعية عن عدد الأميركيين الذين سيلقون الموت فى هذه الحرب هكذا كان يفكر الجنرال ، بعض كبار الضباط فى هيئة أركان الحرب توصلوا فى ثقة إلى تقديرات تفيد بأن عدد الذين سيقتلون فى مسرح العمليات من الجانب الأمريكى سوف يصل إلى ألف شخص ، لكن لم يكن هناك تقدير ممكنالركون عليه . قد يزيد الأمر على هذا العدد بطبيعة

الحال ، كان الجنرال يعرف انهم سوف يفقدون عددا من الأفراد .. وكان يأمل ألا يفقدوا الكثير.

في أهم يوم في حياته .. كانت تراوده فكرة واحدة مسيطرة على خاطره ووجدانه لم يكن هناك لا هتاف ولا اثارة ، لا استفزاز ولا الشعور حتى يحمي القتال، لم تثر المشاعر المعروفة التي تثور عادة مع اندلاع الحرب ، لم تراوده سوى فكرة واحدة:

– كم منهم سيعودون ؟

هناك على الحدود إلى داخل العراق .. والساعة تقترب من الثالثة صباحا، كانت هناك طائرة هيلوكبتر من طراز" أباشي " تابعة للجيش الأمريكي تحلق على مسافة ١٢ كيلو مترا من محطة توليد القوى الكهربائية إلى موقع رادار للدفاع الجوي العراقي الذي يحمي بغداد، كان من المقرر أن يكون هذا هو أول الأهداف في حرب الخليج ، كان بوسع الطيار أن يرى المبنى على جهاز الاستشعار المسبق الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء ، فظهر في شكل مربع صغير متراقص فوق الأفق ، أوضحت أجهزة الطيار أن توقيت اطلاق صاروخه " هلفاير" على الهدف يحين في مدى ٢٠ ثانية ، وانطلق الصاروخ حاملا معه صدى كلمات الطيار وهو يهتف : هذا لك .. ياصدام"!

وعلى مدار الثواني انتفض الجهاز، وعلى الشاشة استطاع الطيار أن يشاهد صاروخ " هليفاير" يحوم فوق المبنى ويهبط كجامود من صخر، وفي ثوان تحول المربع الصغير إلى حال من الانفجار . فملأ مساحة شاشة الرادار بالطائرة فجأة وبكل هدوء.

# الخاتمة

فى خاتمة كتابه ، نجد بوب ود وورد بعد أن تتبع الطلقات الأولى التى أطلقت فى حرب الخليج ، فى تمام الثالثة من صباح ١٦ يناير ١٩٩١م -يعود بنا بأسلوب النقل التليفزيونى الى البيت الأبيض - يقول المؤلف " فى داخل البيت الأبيض ، اجتمع الرئيس بوش ومعه نائب الرئيس كويل ثم مستشار الأمن القومى سكاو كروفت ورئيس الديوان سنونوفى فى غرفة المكتبة الصغيرة الخاصة الملحقة بمكتب الرئاسة البيضاوى- وكانو يشاهدون التليفزيون ، وعندما أمكن سماع أصوات القنابل من خلف أصوات المراسلين الصحافيين الذين كانوا لا يزالون فى غرفات فندقهم فى بغداد، بدت على بوش علامات الارتياح وهو يقول :

- بالضبط .. كما كان مخططا ومرسوما.

ثم تبقى من بعد السطور السبعة الأخيرة من هذا الكتاب وفيما ينتقل المؤلف من الخاص إلى العام.. من أقوال الأفراد وسلوك الشخصيات ، وسرد الوقائع التفصيلية .. إلى تلخيص موضوعى ومحايد ومكثف لهذا الحدث - المأساة الذى حمل اسم " حرب الخليج ".

يقول المؤلف :

(حرب الخليج دامت ٤٢ يوما، استغرقت المراحل الجوية الثلاث من الحرب ٣٨ يوما فيما استغرقت الحرب البرية أربعة أيام قبل أن يعلن الرئيس بوش وقفا لاطلاق النار،اجتاحت قوات الولايات المتحدة والقوات المتحالفة الكويت وجنوبى العراق، ودمرت جيش صدام ، وحاصرت الحرس الجمهورى ، وأملت شروط السلام ،وقتلت عشرات الالاف من العراقيين ، وتم تحرير الكويت،أما الخسائر البشرية بين الأميركيين فكانت :سبعة فقدوا فى مسرح العمليات و١٣٧ فردا قتلوا فى المعارك .

# القاعدة

## (ملحق للخاتمة)

## جورج بوش: قائد القاعدة

* لقد كشف كتاب ( القادة ) حقيقة هامة وخطيرة وهى أن الولايات المتحدة تدار بعقلية رجل واحد هو الساكن فى البيت الأبيض ، ولقد تكرس هذا المعنى أكثر فى فترة حكم جورج بوش.

ولكى نلم أكثر بأبعاد الشخصية التى تحكم البيت الأبيض والولايات المتحدة ، وأغلب عالمنا المعاصر نقدم هذه السيرة الذاتية عن جورج بوش وذلك من واقع كتابه :

( التطلع إلى الأمام )

فمن هو جورج بوش ؟

ولد جورج هيربرت ووكربوش فى ١٢ حزيران / يونيو ١٩٢٣، فى مدينة ميلتون بولاية ماتشوسن وانتقلت اسرته فيما بعد إلى مدينة عرينيتش فى ولاية كونيتيكت بالقرب من مدينة نيويورك حيث نشأ وترعرع فى نيويورك أصبح والده بريسكوت بوش مديرا وشريكا فى شركة براون براذرز وهاريمان للاستثمارات وفى عام ١٩٥٠م وفى سن الخامسة والخمسين قرر والد الرئيس الحالى أن يتخلى عن عالم التجارة ويدخل المعترك السياسي وانتخب بريسكوت بوش لمقعد فى مجلس الشيوخ فى عام ١٩٥٢م وبقى لمدة عشرة أعوام وأصبح زعيما لجناح ايزنهاور فى الحزب الجمهورى .

ويقول المراسل والت هارينفتون فى مقال نشرته مجلة واشنطن بوست كان أفراد أسرة بوش ينافسون فى كل شىء من الغولف إلى كرة المضرب ولعبة الأقراص وطاولة النرد وانتهاء بألعاب ورق الشدة مثل بالك جاك والبريدج وترتيب الأحرف ( الاناغرام) أى فى كل مجال يمكن فيه مقارنة مقدرة شخص بمقدرة آخر إنما كان التنافس يبقى وديا وكانت فكرة الأسرة قوية إلى حد بدا معه لأصدقاء الأسرة وكأن أبناء بوش يتصرفون وكأنهم شخص واحد لا خمسة أولا يتنافسون لكسب عطف والديهم.

ومن الوالد بريسكوت بوش تعلم الأولاد أهمية الانجاز والواجب وضرورة رد شىء ما للمجتمع الذى كان رئيفا بهم ومن والدتهم دوروثى بوش تعلم الأولاد المرح ويقول هارينفتون من جهة الشخصية أخذ جورج بوش عن والدته التعاطف والتفهم والاندفاع وهو يحب أرضاء الناس وكان غالبا مايقال أنه سيصبح كاهنا فى يوم من الأيام توفى بريسكوت والد الرئيس بوش فى عام ١٩٧٢م أما والدته فما تزال على قيد الحياة وبحالة صحية جيدة.

أمضى جورج بوش سنوات دراسته الابتدائية والثانوية فى أكاديمية فيليبس وهى مدرسة داخلية مرموقة جدا فى مدينة اندوفر ماتشوستس وكان جورج تلميذا قديرا ونشيطا جدا اذ انتخب أمينا لمجلس الطلبة ورئيسا للصف المتخرج فى القسم الثانوى كما كان كابتن فريقى كرة القدم والبيسبول .

كان الرئيس بوش فى سنته الأخيرة فى الأكاديمية عندما دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية وفى عيد ميلاده الثامن عشر فى حزيران / يونيو ١٩٤٢م بعد تخرجه بقليل تطوع فى البحرية والتحق بمعهد الطيران وكان مايزال فى عامه الثامن عشر عندما حصل على اجازة الطيران وأصبح بذلك أصغر طيار فى البحرية الأميركية آنذاك.

وابحر بوش إلى منطقة المحيط الهادىء على متن حاملة الطائرات سان جاسينتو التى كان ينطلق منها فى طلعاته الحربية بطائرة من طراز فينجر وهى طائرة ذات محرك واحد تتسع لثلاثة ملاحين وفى ٧ أيلول / سبتمبر ١٩٤٤ اشترك سرب بوش فى الهجوم على جزيرة تشيتشى جيما وهى احدى ثلاثة جزر فى أرخيل بونين الذى يضم جزيرة ايوجيما الأكثر شهرة وكان بوش متجها بطائرته نحو الجزيرة لقصف مركز اتصالات يابانى عندما أصابت طائرته نيران كثيفة من المدفعية المضادة للطائرات ويقول بوش أنه ما أن بدأ الانقضاض حتى شعر بصدمة وكأن قبضة ضخمة ضربت الجزء الأسفل من الطائرة حطمته.

ورغم تسرب الدخان بغزارة إلى مقصورة القيادة واصل بوش انقضاضه وأسقط قنابله الأربع التى تزن كل منهما ٢٢٠ كيلو غراما على الهدف واثناء عودته إلى البحر عدل اتجاه طائرته كى تحلق فى شكل مستو لبضع دقائق تتيح لملاحى الطاقم الأخيرن الهبوط بالمظلة وقد علم فيما بعد أن منهم لم ينج وعندما قفز هو نفسه بالمظلة علقت مظلته بمؤخرة الطائرة وتمزقت مماجعله يسقط معها بسرعة إلى المحيط

وقد أصيب بوش بصدمة إلا أنه لم يفقد وعيه فتسلق إلى قارب مطاطى كان قد سقط من كيس مظلته وبدأ يجدف بيديه ليبتعد عن جزيرة تشيتشى جيما وبعد عدة ساعات صعدت غواصة اميركية تدعى فينباك إلى سطح الماء وانقذته ومنح بوش فيما بعد ميدالية صليب الطيران المميز تقديرا لأدائه المهمة بنجاح.

ويقول بوش فى كتابه " التطلع إلى الأمام " مازلت لا أفهم منطق الحرب لماذا ينجو البعض بينما يهلك البعض الآخر فى مقتبل العمر لكن ذلك الشهر الذى امضيته على متن الغواصة فينباك اتاح لى وقتا للتفكير والغوص فى الذات والبحث عن أجوبة ومع تقدم الانسان فى العمر وعودته التفكير إلى الأحداث التى جعلته الشخص الذى هو ، فإن الدلالات التى يجب أن يبحث عنها هى تلك الأوقات الخاص من التعمق والتبصر والتيقظ انى أتذكر أيام وليالى على متن فينباك على أنها فترات كهذه ولعلها الأهم بينها..

وعندما عادت الغواصة فينباك إلى بيرل هاربر بعد جولة قتال طويلة فى مياه العدو كان بامكان بوش أن يختار العودة إلى الوطن نظرا لخطورة تجربته الأخيرة الا أنه أخذ قسطا من الراحة فى هاواى وعاد إلى الخدمة على متن حاملة الطائرات سان جاسينتو وقام بالمزيد من الطلعات القتالية لقصف سفن العدو فى خليج مانيلا وأهداف برية فى الفلبين وقد سجل بوش ما مجموعه ١٢٢٨ ساعة طيران و١٢٦ هبوطا على حاملة الطائرات و٥٨ مهمة قتالية .

قبل حلول عيد الميلاد بقليل عام ١٩٤٤م تلقى الملازم الشاب الأوامر بالعودة إلى الولايات المتحدة ووصل منزله ليلة العيد وبعد أسابيع قليلة وكان لايزال فى أجازة تزوج باربرابيرس كريمة ناشر مجلة ماكول وكانا قد تحابا منذ لقائهما فى حفل راقص فى عطلة عيد الميلاد عام ١٩٤٢م وكانا فى سن المراهقة ولبوش وزوجته الأن أربعة أبناء هم : جورج وجيب ونيل ومارفين وابنة واحدة هى دوروثى وعشرة أحفاد وكان لهما ابنة أخرى اسمها روبين توفيت عام ١٩٥٢م بداء سرطان الدم.

وانتهت الحرب العالمية الثانية قبل إعادة بوش إلى الخدمة فى الخارج فذهب وزوجته بربارا إلى مدينة نيو هافن فى كونيتيك حيث حصل على شهادة فى الاقتصاد من جامعة بيل خلال عامين ونصف فقط كما منح عضوية جمعية فاى بينا كابا تقديرا السجلة الأكاديمى المميز وكان كابتن فريق البيسبول الذى وصل إلى نهائى الدورة الجامعة القومية وكان بامكان بوش أن يختار بين عدد من الوظائف فى شركات المصارف والاستثمارات فى نيويورك وهى المركز المالى الرئيسى فى البلاد بعد تخرجه لكنه قرر بأن يصطحب زوجته وولده الصغير إلى مدينة أوديسا فى ولاية تكساس وهناك فى صيف عام ١٩٤٨م بدأ العمل كاتبا فى شركة لتجهيز حقول النفط .

ويقول بوش فى كتابه التطلع إلى الأمام عن تلك الفترة فى تلك الحقبة لم أكن أعرف ما أريده فى الحياة بقدر ماكنت أعرف مالا أريده لم أكن أريد عمل شيء مدروس يمكن توقعه فلقد شبيت عنرالطوق فى زمن الحرب وشاهدت شعوبا وثقافات مختلفة وعرفت الخطر وقاسيت من فقدان أصدقاء حميمين وكسائر العديد من المقاتلين الذين عادوا إلى الوطن كنت حديث السن إنما ناضجا فى نظرتى إلى الأمور وفى عام ١٩٥١م أسس بوش وجاره جون أوفيربى شركة بوش أو فيربى لتطوير النفط كمؤسسة صغيرة تتعاطى شئون امتيازات التنقيب عن الغاز وفى عام ١٩٥٣م أسس بوش وصديقان له شركة زاباتا للبترول تيمنا باسم الثائر المكسيكى اميليا نوزاباتا وبعد عام أسسوا شركة زاباتا للتنقيب عن النفط فى البحر وكانت واحدة من أولى الشركات الأميركية للتنقيب عن النفط فى المناطق البحرية.

وفى عام ١٩٥٩م، قرر بوش الانتقال من غربى تكساس إلى مدينة هيوستن لترأس شركة حفر فى المناطق البحرية مشرفا على أعمال أكثر من ٥٠٠ موظف .

ويقول بوش فى هذا الصدد، لقد تعلمت الكثير عن القيادة والكثير عن النظام الاقتصادى ، درست فى الجامعة عن العرض والطلب، وعن المجازفة والمكافأة والربح

والخسارة ، وأهمية العمل والمعنويات لكنى لم أدرك كيف تعمل كل هذه معا إلى أن بدأت باتخاذ قرارات تتناول المصير، وبقاء الشركة.

وبادارة بوش ، حققت شركة زاباتا نجاحا باهرا، إلا أنه عندما أصبحت عمليات الانتاج تسير في يسر، بدأ بوش يشعر بالتململ . وقرر ترك عالم التجارة ، فباع شركة زاباتا ودخل معترك السياسة كما فعل والده من قبله .

ترشح بوش ، وهو جمهورى محافظ، فى انتخابات عام ١٩٦٤م لأحد مقعدى مجلس الشيوخ عن ولاية تكساس ، ضد السناتور الديمقراطى الليبرالى رالف باربورو الذى كان يحتل ذلك المقعد آنذاك وخسر بوش ذلك الانتخاب ، الا أنه ١٩٦٦م ممثلا للدائرة السابعة فى مدينة هيوستن ، وأعيد انتخابه بعد عامين أيضا وفى عام ١٩٧٠م وفى نهاية ولايته الثانية فى مجلس النواب ، قرر بوش أنه أصبح جاهزا لتحدى السناتور الليبرالى باربورو مرة ثانية إلا أن باربورو هزم فى الانتخابات الأولية للحزب الديمقراطى وفاز بترشيح ذلك الحزب لويد بنتسين وهو رجل أعمال محافظ من تكساس وفازبنتسين ( الذى كان المرشح الديمقراطى لمنصب نائب الرئيس فى انتخابات عام ١٩٨٨م)، بالمقعد فى انتخابات خريف ذلك العام ، وأصبح بوش دون منصب .

فى كانون الأول – ديسمبر١٩٧٠م طلب الرئيس ريتشارد نيكسون من بوش أن يشغل منصب مندوب الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة، وهو منصب بقى فيه حتى عام ١٩٧٣، وبعد اعادة انتخاب الرئيس نيكسون فى عام ١٩٧٢م ، طلب إلى بوش تبوأ منصب جديد ، وهو رئيس اللجنة القومية للحزب الجمهورى واعتقد بوش أنه سوف يترأس حملة لتعزيز الحزب ، لكن الأحداث المعروفة بأحداث ووترغيت غيرت تلك المشاريع، ووجد بوش نفسه يعالج فيضحة سياسية كبرى ، وفى النهاية مضطرا لحث الرئيس – نيابة، عن الحزب ، على الاستقالة وعرض الرئيس الجديد ، جيرالد فورد –

على بوش عدة مناصب هامة فى اداته فطلب بوش - وحصل على - منصب رئيس مكتب الارتباط فى جمهورية الصين الشعبية حيث تولاه لمدة ١٢شهرا ومن عام ١٩٧٦م حتى تولى جورج بوش منصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية.

عندما هزم جيمس كارتر الرئيس جيرالد فورد فى انتخابات عام ١٩٧٦م ، قرر بوش محاولة ترشيح نفسه لمنصب الرئيس عن الحزب الجمهورى فى انتخابات عام ١٩٨٠م، وقام بحملة انتخابية نشطة وفاز بعدد من الانتخابات الأولية ليصبح أقوى منافس لرونالد ريجان ، إلا أنه انسحب من المعركة فى أيار/مايو ١٩٨٠م وطلب من مندوبيه تأييد ريغان فى المؤتمر الوطنى للحزب الجمهورى الذى عقد فى تموز/ يوليو، طلب ريغان إلى بوش أن يكون المرشح لمنصب نائب الرئيس على لائحته الانتخابية وفى انتخابات تشرين الثانى / نوفمبر ، فازت لائحة ريغان بوش بالانتخابات بصورة كاسحة.

وسرعان ما بدا ريغان بالاستفادة من خبرة بوش الواسعة ، وأصبح بوش أحد المستشارين الرئيسيين للرئيس الجديد وخلال السنوات الثمانى التالية ، عين ريغان بوش لرئاسة لجان خاصة وفرق عمل فى مجالات تناولت الاصلاح التنظيمى الحكومى ، والارهاب الدولى ومكافحة ، المخدرات وفى أعقاب محاولة اغتيال الرئيس ريغان فى آذار / مارس ١٩٨١م لقى بوش الكثير من المديح والاطراء لهدوء أعصابه والطريقة الباغتة على الاطمئنان التى تولى فيها المسئولية حتى استرد ريغان عافيته.

وفى مجال السياسة الخارجية تولى بوش رئاسة فريق ، معالجة الأزمات، وجال فى أرجاء العالم كمبعوث خاص للرئيس ، فزار ٧٤ بلدا، ففى نيسان/ابريل ١٩٨٤م مثلا ، طرح مشروع معاهدة اميركية لتحريم الأسلحة الكيمائية فى مؤتمر نزع السلاح فى جنيف ، وزار الاتحاد السوفيتى ثلاث مرات عندما كان نائبا للرئيس، وفى اكتوبر تشرين الأول ١٩٨٥م عاد إلى بكين حيث ناقش العلاقات الأميركية - الصينية

مع الزعيم الصينى دينغ زيا وبينغ ومن بين الدول العربية التى زارها نائب الرئيس ، المملكة العربية السعودية (١٩٨٢م، ١٩٨٦م) المغرب (١٩٨٣م) الجزائر (١٩٨٣م) تونس (١٩٨٣م)، (١٩٨٦م) لبنان (١٩٨٣م) عمان (١٩٨٤، ١٩٨٦م) البحرين (١٩٨٦م) الأردن (١٩٨٦م) ومصر (١٩٨٦م) وفى عام ١٩٨٥م، زار السودان ، مالى النيجر، لاظهار عزيمة الولايات المتحدة على مكافحة الجفاف والجوع.

بما أن دستور الولايات المتحدة لايجيز انتخاب رئيس لأكثر من ولايتين كان منهما أربع سنوات ، لم يتمكن الرئيس ريغان من ترشيح نفسه مرة أخرى فى عام ١٩٨٨م وهكذا بدأ بوش ببناء قاعدة تأييد فى وقت مبكر، وأعلن رسميا ترشيح نفسه فى خريف عام ١٩٨٧م، وعقد عزم منافسيه ، وأهمهم روبرت دول زعيم الجمهوريين فى مجلس الشيوخ ، فى الانتخابات الأولية والاجتماعات الحزبية التى أجريت فى أرجاء البلاد فى شتاء وربيع عام ١٩٨٨م ، ورشح من قبل حزبه فى مؤتمر الحزب الجمهورى الذى عقد فى مدينة نيو أورليانز، بولاية لويزيانا فى آب/ أغسطس ، واختار لمنصب نائب الرئيس ، السناتور دان كويل من ولاية انديانا، وفاز معه بانتخابات . نوفمبر.

من مجالات السياسة الداخلية التى سيوليها الرئيس بوش اهتماما فوريا ، مجال التربية، وقد قال فى هذا المضمار:

عندما أتطلع إلى المستقبل ، أجد أن التربية هى الجواب ، انها الجواب لسماعدة الناس، والجواب لأولئك الذين يفقدون وظائفهم، بسبب تغيير التكنولوجيا. انها الجوانب من ناحية قدرتنا على التنافس فى أنحاء العالم.

وقد تعهد بوش بأن تعمد حكومته إلى تنظيف البيئة، وخلال الحملة الانتخابية وعد بانهاء جميع عمليات القاء النفايات فى المحيطات بحلول عام ١٩٩١م، ودعا إلى

تقليص ملموس فى المواد التى تنفثها مداخن المصانع ، والتى تؤدى إلى المطر الحمضى ووعد بعقد مؤتمر دولى خلال عامه الأول فى الرئاسة، لبحث اتجاهات ارتفاع الحرارة الكونية وتبدد الأوزون من جو الأرض.

ويعتقد الرئيس بوش ، تماما مثل الرئيس ريغان ، بوجوب أن لا تحل الولايات المتحدة مشاكل عجزها المالى عن طريق زيادة الضرائب ، وسيحاول بدلا من ذلك أن يوازن الميزانية الفيدرالية بتخفيض مايعتبره اتفاقا تبيريا. وفى نفس الوقت تشجيع السياسات التى تؤدى إلى نمو اقتصادى .

الرئيس بوش ملتزم بالمحافظة على حيوية تحالفات أميركا فى أوروبا الغربية واليابان والتى تشمل مجموعة واسعة من الروابط العسكرية ، والسياسية والاقتصادية ويقول بوش : ( إن حلف شمال الأطلسى " باتو" هو أفضل استثمار فى السلام قمنا به.

ويؤمن بوش بأميركا قوية وملتزمة بالعمل من أجل السلام والديمقراطية فى أرجاء العالم.

رغم أن مواقف الرئيس بوش من القضايا الداخلية والخارجية شبيهه الى حد كبير بمواقف رينالد ريغان ، فإن أسلوب ادارته سيكون مختلفا إلى درجة كبيرة عن أسلوب سلفه ، ففى حين كان ريغان يفضل أن يكون لديه رئيس جهاز موظفين قوى حاذق يغربل المعلومات التى كان يتلقاها فإن بوش يفضل مناقشة القضايا بشكل مباشر مع مستشاريه كما يجب الاستئناس بآراء من خارج دائرة مساعديه المقربين .

ويقول الرئيس بوش فى كتابه - التطلع إلى الأمام - إن نظرتى مستمدة من خبرتى - وتشمل تأسيس وإدارة أعمال خاصة، وعملى فى الحكومة مشرفا على دوائر مختلفة - ومشاهدة كيف يعمل القطاعان العام والخاص، ولقد تعلمت أن القيادة هى

أكثر من اتخاذ القرارات واعطاء التعليمات إنها تتناول سماع مختلف وجهات النظر قبل اتخاذ القرار، هكذا تعمل القيادة فى المجتمع الحر، أى الابقاء على جميع الأبواب مفتوحة وعلى العقول متفتحة.

ويلاحظ الصحفى والت هارينغتون ذلك المفهوم، اذ يقول إن فلسفة بوش السياسية برجماتية ومحافظة فى شكل معقول جدا وتشكل شخصيته - اعتداله واستقامته وتفهمه - المادة التى تربط سياسته ببعضها البعض .

والرئيس الجديد متفائل بحق إذ يقول " إنى على قناعة بأن أفضل أيام أميركا هي الآتية ".

## تقرير أمريكي

## سري عن "انتهاكات حقوق الإنسان بالعراق"

## صادر عام ١٩٩١م

## الجزء الأول :

### فلسفة التعذيب وأنواعه :

تضم قائمة ضحايا القمع فى العراق ، فى سنوات السبعينات والثمانينات ، اناسا من جماعات عديدة ، فهى تشمل المحافظين الليبراليين ، القوميين العرب من غير الحزب الحاكم ، الشيوعيين والشيعة الأكراد، المسيحيين السريان اليهود ، الطلاب ، المثقفين ، العسكريين وشخصيات الحزب الحاكم أنفسهم وشخصيات بارزة من النظام نفسه وان عددا كبيرا من الصحافيين والكتاب والمثقفين والأطباء ، والطلبة الاكاديميين والعديد من هؤلاء شيوعيون قد تعرضوا للاعتقال أو الاعدام أو اختفى أثرهم فى أواخر السبعينات ومطلع الثمانينات وجرى تهجر جمهرة غفيرة من الناس إلى ايران من الذين كانوا، أو زعم انهم ، من أصل ايرانى كما جرى نفى الأصوليين المسلمين الشيعة أو شخصيات المعارضة الشيعية بأعداد غفيرة، أو جرى اعتقالهم وتعذيبهم ، وحتى اعدام قسم منهم ، فى الفترة الممتدة من أواخر السبعينات الى منتصف الثمانينات حين تم سحق المعارضة الشيعية الفعالة فى العراق إلى درجة كبيرة . أما اكراد العراق فكانوا ، دورياً عرضة لقمع ضار وواسع النطاق وخاصة منذ عام ١٩٨٧م.

توفر نصوص القوانين ، نظريا، حماية تامة للمواطنين العراقيين من الاعتقال والسجن الكيفين فتنص المادة (٢٢) من الدستور على أنه ، " لايجوز القبض على احد أو توقيفه أو حبسه أو تفتيشه ، الا وفق أحكام القانون ". ويتكرر هذا الشرط ويتضخم فى المواد من (٩٢) إلى (١٢٠) من لائحة الاجراءات الجزائية التى تحدد القواعد التى يمكن بموجبها الاعتقال أو الحبس أو اطلاق السراح بكفالة ويجب ، حسب القانون ،

أن يقدم للشخص الذى يعتقل التفويض القانونى لاعتقاله ، وأن يقدم أمام السلطة التى أصدرت التفويض، ولا يجوز أن يظل فى الحبس لأكثر من خمسة عشر يوما بدون تقديمه للمحاكمة أو اطلاق سراحه.

ووفق أغلب الشهادات ، جرت عموما مراعاة الضمانات الاجرائية المحددة فى القانون العراقى فى الحالات الجنائية الاعتيادية، ولكن ، يظهر أن هذه الضمانات لم تراع مطلقا فى القضايا السياسية والأمنية ، فلقوى الأمن، متعددة الأجهزة القدرة على اعتقال وسجن المواطنين أو اتخاذ أية وسائل كيفية بدون تقديم أى تفويض ، أو تهمة ، وبدون اطلاق سراح المعتقل بكفالة ، وبلا التزام بأية حدود زمنية، فبامكانهم اعتقال الناس بالطريقة التى يختارون، وهم يفعلون ذلك بشكل دائم تقريبا ، وبأسلوب يعزز حالة الرعب.

ويؤخذ المشتبه ، بهم سياسيا أو أمنيا، بعض الأحيان ، بصورة سرية وبدون علم عوائلهم أو أصدقائهم أو زملائهم، الذين يتوجب عليهم بعد ذلك القيام بجولة يائسة بحثا عنهم فى الدوائر الأمنية والسجون ، كما اعتقل اخرون أمام أنظار أفراد عوئلهم أو زملائهم وبدون قول أى شىء عن الوجهة التى يؤخذون اليها أو سبب اعتقالهم ( وهكذا) تم اعتقال اعداد كبيرة من العراقيين بصورة اعتباطية، وقد أطلق سراح البعض فى غضون بضعة أيام أو أشهر، لكى يتم اعتقالهم مجددا فى وقت لاحق ، بينما حوكم آخرون، وسجنوا، وأختفى أثر آخرين، أو قتلوا فى السجون، أو زجوا فيها لآماد غير محددة وبلا محاكمة ولا يعرف أحد عدد السجناء السياسيين فى العراق، وتتراوح التقديرات مابين بضعة آلاف إلى عشرات الآلاف.

ويعد الاعتقال الكيفى الأداة القوية والفعالة لقمع المعارضة السياسية ، فالادراك بأن الباب قد يطرق فى أية ساعة، كاف لزرع الرعب عند أغلب الناس، غير أن ذلك هو أحد الأساليب فقط، وفى الحقيقة أكثرها لطفا من تلك التى يعرف عن النظام العراقى استخدامها.

روبر سبرلنغ، الذى أطلق سراحه فى ١٨ اكتوبر ( تشرين الأول ) عام ١٩٨٣م بعد أن قضى ١٠٠ يوم فى أحد سجون الأمن ببغداد بدون أن توجه اليه أية تهمة، أخبر الدبلوماسيين الاميركيين أن معاملته على يد المحققين العراقيين كانت ( لاشىء) قياسا لتلك المطبقة على العراقيين والعرب الاخرين الذين شاهدهم هناك . وكان عمر سبرلنغ، وهو مواطن اميركى آنذاك، ٥٠ سنة وهو المدير الفنى لفندق بغداد نوفوتيل الممتاز. وكان عند مدخل الطائرة التى تقصد باريس ليلة (٢٩/٣٠ )يونيو( حزيران) عام ١٩٨٣م مع زوجته البلجيكية وأطفالهما حين اختفى ببساطة فبطريقة مجهولة لعائلته، اختطف وبكل خفة ، عبر منحدر إلى حيث كان وكلاء الأمن بانتظاره، ومعهم سيارة ، وسعت السيدة سبرلنغ، وهى بحالة هياج إلى طلب المساعدة من دبلوماسى الولايات المتحدة الاميركية فى بغداد، ومر أكثر من أسبوع قبل أن تستجيب السلطات العراقية لاستفساراتهم وتعترف باعتقال سبرلنغ ولكنها لم توضح أبدا سبب اعتقاله وقد أخبر سبرلنغ المسؤولين الأميركيين، لاحقا، بأنه قيد وعصبت عيناه واقتيد إلى ما افترض أنه المقر الرئيسى لقوى الأمن ببغداد، وتم هناك استجوابه وتعذيبه مرارا. وضغطوا عليه فى البداية للاعتراف بالتجسس، ثم واصلوا الضغط عليه لاحقا لأجل اعطاء معلومات عن أشخاص آخرين، واستجوبوه مرة أخرى فى الفترة من ٦ إلى ٢٣ يوليو ( تموز).

وقتها، كانت الحكومة العراقية تسعى لتحسين علاقاتها مع الولايات المتحدة الاميركية ، ولكن سبرلنغ مواطنا اميركيا فقد عومل – كما أوضح ذلك بنفسه ، معاملة ألطف كثيرا من معاملة المعتقلين الآخرين معه وسلطت الولايات المتحدة ضغطا شديدا على الحكومة العراقية لأجل مقابلة سبرلنغ، وقبل السماح باللقاء الأول بينه وبين الدبلوماسيين الاميركيين ، عولج سبرلنغ من الجروح التى أصابت قدميه ، وفى ذلك اللقاء أطاع سبرلنغ طلب المحققين العراقيين بأن يقول أن معاملتهم له كانت حسنة.

ولكنه تحدى تحذيراتهم في لقائه الثاني مع الدبلوماسيين الأميركيين ، فكشف النقاب عما تعرض له من تعذيب ، وقد أصاب ذلك ، حسب مسؤول أميركي كانزحاضرا ذلك اللقاء ، الضباط العراقيين بارتباك شديد، فقدمت الولايات المتحدة فورا احتجاجا دبلوماسيا شديد اللهجة وطالبت باطلاق سراح سبرلنغ فكانت معاملته بعد ذلك طيبة وحين أطلق سراحه بعد بضعة أسابيع كان مظهره جيدا نسبيا، على الرغم من أن آثارا على قدميه كانت واضحة تماما ولوحظت من قبل الدبلوماسيين الاميركيين في بغداد.

وجرى فحص سبرلنغ من قبل طبيب لمنظمة العفو الدولية وذلك في باريس في ٢٥ اكتوبر ( تشرين الأول) عام ١٩٨٣م ، أي بعد أسبوع من اطلاق سراحه واقتصرت مشاكله الصحية أنذاك على صعوبات هضمية ، وآلام في قاعدة عموده الفقري وفي قدميه، وضعف في الاحساس بابهامه الايمن وأخيرا صعوبة في ثني أحد أصابعه.

أما بيتروورث ، المهندس المدني البريطاني الذي عمل في العراق، فكتب عن اعتقاله وضربه وتعذيبه بالكهرباء في عام ١٩٨١م، وكان اثمه يتلخص في أنه اتكأ على جدار لمشروع قيد البناء مما أدى ، بالصدفة إلى سقوط صورة لصدام حسين على الأرض وقال وورث لاحقا وهو يتحدث عن عملية التحقيق معه " شعرت بالصدمة الكهربائية تسري عبر ذراعي إلى باقي أجزاء جسدي بما فيها أعضائي التناسلية، ويقول وورث أنه وقع على اعتراف زائف بقيامه بالتجسس ، ثم أبعدون عن العراق.

ولم يكن ناجي بنوره المواطن التونسي الذي عمل مدير استقبال في فندق نوفوتيل ، محظوظا كبيتر وورث وروبرت سبرلنغ ، وكان بنور قد اعتقل قبل بضعة أسابيع من اعتقال سبرلنغ وباعتباره مواطنا تونسيا، فقد عومل بالطريقة التي يعامل بها العراقيون والعرب الآخرون، واستنادا لشهادة أخيرة له ، فإنه اعتقل خلال العمل

بعد أن احتيل عليه للذهاب إلى مرأب سيارات الفندق حيث أجبروه هناك بالقوة على الدخول فى صندوق سيارة اقتادته الى حيث افترض أنه المقر الرئيسى للأمن فى بغداد ، وقد ضربوه هناك قبل حشره فى زنزانة اشترك فيها مايزيد على ٢٠٠ من السجناء الاخرين ، وظل محتجزا هناك أكثر من عشرة أشهر، وجاء فى شهادته لمنظمة العفو الدولية لاحقا، أنه عذب دوريا مايقارب المئة مرة حسب تقديره وذكر أنه تعرض للصعقات الكهربائية على أذنيه وابهاميه وأصعابه الصغيرة ، وعلى حلمته ومابين أصابع قدميه، كما تعرض للضرب على رأسه وساقيه بكابل كهرباء عار، وضرب مرارا بالقبضات والهراوات المطاطية على أخمصى قدميه وعنقه وعلى فقراته الظهرية والقطنية لفترات طويلة ، ورفسوه كذلك على وجهه ورأسه وظهره ويديه وساقيه وقدميه.

وقال بنور إنه لم يتهم مطلقا فى البداية بتهمة التجسس بل ان كل ماطلبه المحققون منه هو التعاون معهم والتبليغ عن زملائه فى العمل وفى سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٣م ، أى بعد مرور أكثر من ثلاثة أشهر على اعتقاله، وقع بنور على ورقة يعترف فيها بقيامه بالتجسس والاغتصاب، فتوقف التعذيب بعد ذلك ، وفى ١٢ ابريل ( نيسان) عام ١٩٨٤م ، أى بعد مرور ستة أشهر على ذلك، تم اطلاق سراحه بدون أن توجه إليه مطلقا أية تهمة بصورة رسمية وبلا محاكمة ، وعند فحص بنور من قبل طبيب فى باريس بعد سبعة عشر يوما من اطلاق سراحه، اتضح أنه يعانى جملة من الجروح وصداعا مستمرا وضعفا فى السمع والبصر وأوجاعا فى فقراته وقدميه وعقب قدمه وارهاقا، كما كان يعانى صعوبة فى التنفس عند التعرض للاجهاد، ويشكو سرعة نبضه وكوابيس ليلية وقلقا حادا.

وبينما ينفي العراق بشكل قاطع كل التهم حول التعذيب ، فلم يسمح أبدا لأية جماعة أهلية معنية بحقوق الإنسان أو أية هيئة تابعة للأمم المتحدة بزيارة السجون العراقية أو مقابلة السجناء أو ضحايا التعذيب ، وفي ذات الوقت فإن كما هائلا من التقارير عن التعذيب الذي مورس عبر السنين من قبل المحققين العراقيين ، يستمر بالتدفق ، ويشمل تقارير من ضحايا التعذيب أنفسهم ، ومن أقاربهم ومن آخرين ، والتقارير مؤيدة في حالات عديدة بالأدلة الطبية .

وقد أعلن نبيل جميل الجنابي وهو شاعر عراقي يعيش في المنفى ، على الملأ أخيرا ما تعرض له من تعذيب في مقر قوى الأمن في بغداد بعد اعتقاله في مارس (آذار) عام ٦٧ والجنابي ، وهو عراقي عربي . كان قرأ واحدة من قصائده على تجمع للأكراد في سنجار بغرب محافظة الموصل وقد اعتقل واقتيد إلى بغداد ويقول الجنابي:

« أخذني رجل ضخم الجثة إلى زنزانة انفرادية باردة ومظلمة وبلا سرير ، وفتح باب الزنزانة بعد منتصف الليل وأخرجوني معصوب العينين إلى مكان لا أعرفه وبدأوا بتعذيبي بربط طرف سلك كهربائي إلى الأصبع الكبير لقدمي اليسرى وطرف السلك الآخر إلى قضيبي وحين أوصلوا التيار الكهربائي فقدت الوعيحوالي ساعة كاملة وبعد ذلك كرروا العملية بربط السلك الكهربائى الى قدمي اليمنى ففقدت الوعي مجددا ، وبينما كنت مطروحا على الأرض نصف ميت حاولوا إيقاظي بتعذيبي بالسجائر والقضبان الفولاذية واستعدت الوعي مرة أخرى ، ربطوا رأسي وأطرافي سوية ، وحشروني في إطار سيارة ، وشرعوا بدحرجة الإطار حيث ظل رجلان من كل جانب يدحرجون الإطار دورات ودورات ، وإضافة لكل ذلك ، عروني تماما من ملابس ، ثم شرع رجلان منهم بضربي بسلكين كهربائيين ، وكان قسم من الضرب يقع على خصيتي » .

وأشار نبيل الجنايني في تقريره إلى أنه وقع ورقة دون أن يعرف مضمونها ،

وأنه أرسل إلى «محكمة الثورة» حيث حوكم . بدون أي محام يدافع عنه وحكم عليه بالسجن مدة خمس سنوات بتهمة نشر قصيدة شعر « أعتبر الهدف منها تحريض الناس ضد الحكومة» وبعد إطلاق سراحه ، اعتقل مجددا عام ١٩٨٢م لمدة أسبوعين وعذب مرة أخرى وقد هجر العراق إلى بريطانيا عام ١٩٨٣م وبطبيعة الحال ، لم يصل إلى الغرب إلا عددا قليلا نسبيا من الذين نجوا من التعذيب في السجون العراقية ، كما لم يكن جميع من وصلوا قادرين على الحديث عن محنهم . فأحد الذين وافقوا على إعطاء شهادتهم إلى متابعة الشرق الأوسط ، وهو محضر سابق في جامعة بغداد، أصر على التكتم على أسمه حماية لأقاربه الذين ما زالوا في العراق يقول :

«جاؤا إلى منزلي ببغداد ، في ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٧٩م ، بعد منتصف الليل مباشرة ، فحطموا الباب وفتشوا المنزل ، ثم عصبوا عيني وقيدوا يدي وضربوني بهرواة مطاطية واقتادوني إلي المقر الرئيسي للأمن في بغداد ، وهناك أخذوني إلى الطابق الثالث حيث جردوني من ملابسي ، وأعطوني دشداشة عراقية ثم أخبروني أنهم «يملكون وثائق توكد إنني أحد قادة حزب الدعوة » وحين نفيت ذلك قيل لي «إننا نعطيك بضع دقائق للتفكير بذلك نهائيا ، فإن لم تعترف سنقوم بتعذيبك» فسألتهم أن يروني الوثائق تلك ، فأجابوا أنهم سيفعلون ذلك ، فقط ، عندما اعترف ، وبعد ذلك ، ولمدة ٣٥ يوما ، كانوا يعذبوني يوميا أو بين اليوم والآخر ، حيث ضربت على قدمي وعلقت بحبال تربط ذراعي في السقف لفترات طويلة من الزمن ، وكانوا يجادلون فيما إذا كان ممكنا تعليقي من ذراعي وهي خلف ظهري ، ولكني كنت ثقيل جدا فأدركوا أن تعليقي بهذه الطريقة سيؤدي إلى كسر عظام ذراعي وكتفي وفي الوقت الذي لم أكن أعذب فيه ، كنت أحشر في زنزانة مع ما يزيد عن ١٠٠ شخص آخر ، علما أن تلك الزنزانة كانت خالية من كل المتطلبات الصحية وعند نهاية الخمسة والثلاثين يوما ، قيل لي أنهم سيسمحون لي بالذهاب ، فقط إن ارتبطت بحزب

الحكومة ، رفضت ذلك ولكنهم أطلقوا سراحي على أية حال غير أن ضابطاً ظل يأتي يوميا إلى منزلي لاستجوابي ، وقد حذرني زملاء في الجامعة من اعتقالي مجددا ، فتركت الوطن في بداية مارس (آذار) عام ١٩٨٠م.

وفي بتقرير صدر عام ١٩٨١م ، لخصت منظمة العفو الدولية بشهادة ١٥ عراقيا يعيشون في المنفى ١٢رجلا ، و٣ نساء ، من الذين تعرضوا للتعذيب في العراق في السنوات السابقة ووافق أحدهم وهو برهانْ الشاوي ، الصحافي والكاتب البالغ من العمر ٢٤ سنة على وضع اسمه على الشهادة لقد اعتقل الشاوي ببغداد في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٧٨م ، ثم هاجر في مايو (أيار) عام ١٩٧٩م .

وجاء في تقرير المنظمة ما يلي من شهادة برهان الشاوي : خلال اليومين الأولين « أخذوه الى غرف مختلفة وضربوه بالقضبان والسياط ، وفي إحدى الغرف قاموا بتقبيله وملاطفته جنسيا ، قبل أن يأخذوه إلى خارج الغرفة ويضربوه ويرفسوه ، ثم أخذ التعذيب طابعا منتظما يحدث كل ساعة أو ساعتين ، وقد ضربوا رأسه بالسياط بقوة جعلته يفقد وعيه وبعد أن استعاد الوعي في إحدى المرات وجد نفسه بلا سروال فأدرك أنهم اغتصبوه ، وأجبروه لاحقا على الجلوس على ما يشبه قنينة المشروبات مما أدى تمزق مستقيمه كما خرزوه بأداة حادة بحجم قلم الرصاص ، لقد فحص أخصائيون بلندن برهان الشاوي وضحايا التعذيب الأربع عشرة الآخرين ، الذين أعطوا شهاداتهم الشخصية ، فوجدوا أن عندهم جميعا ، أعراض وعلامات تتطابق تماما مع أساليب التعذيب الموصوفة في الشهادات . ولمجرد الرعب فلاشيء تقريباً يمكن أن يبز المنظر الكابوسي الذي وصفته أم عراقية ، ذهبت إلى مكان في بغداد توضع فيه الجثث للتعرف عليها ، لتحصل على جثة أبنها ، وذلك في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٢م وكان الفتى قد اعتقل في ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨١م واحتجزوه بلا تهمه أو محاكمة وبدون أن تعرف عائلته مكان وجوده . وفي ما يلي مقبس من شهادة المرأة :

« نظرت حولي فشاهدت ٩ جثث ممدة على الأرض إلى جانب جثة أبني ولكن جثة ابني كانت في وضع الجلوس وليس وضع النوم أو التمدد كانت جثة مدماة تماما ومتآكلة ومتفطرة ، ونظرت إلى بقية الجثث الممدة بجانبه على الأرض ، كلها كانت محروقة ، ولكني لا أعرف لماذا كان على جثة أخرى علامات قضيب ساخن على كل المواضع من الرأس إلى القدمين وفي مستودع الجثث ، كانت إحداها مقطعة الصدر طوليا إلى ثلاثة أرباع ، فمن العنق إلى وسط الصدر كان هناك شق ، وكانت ساقا أخرى قد قطعت بفأس ، وكذلك ذراعاها ، وقلعت عينا شخص آخر وقطع أنفه وأذنه ، وبدا أن أحدهم قد شنق ، حيث كانت رقبته طويلة ، ولسانه يتدلي خارجا ودم حديث قد تسرب من فمه » .

وأشارت المرأة إلى أن «الجثث التي أعيدت إلى (العوائل) كانت كلها بهذه الصورة المروعة ، وأن هذه الطريقة استمرت لحوالي الشهر ونصف الشهر ، ثم توقفت السلطات عن هذه الممارسة بإعطاء شهادات الوفاة فقط .

لقد مات ، بلا شك عدد كبير من الأشخاص تحت التعذيب في العراق طوال العقدين المنصرمين حيث ترد سنويا تقارير عديدة من دزينات ، وأحيانا مئات ، من حالات الموت هذه ، حيث توضع جثث الضحايا ، بعض الأحيان ، في الشوارع أو تعاد إلى عوائلها حاملة علامات التعذيب وتشمل العين المقلوعة وإضافة الأصابع المفقودة والأعضاء التناسلية المقطوعة ، إضافة إلى جروح وحروق مروعة إن الهدف من أسلوب السلطات العراقية الوقح المتمثل في إعادة الجثث إلى العوائل وهي تحمل علامات التعذيب واضح جدا فالحكومات المتورطة في عمليات التعذيب تحاول ، غالبا ، وبكل السبل ، إخفاء ما فعلته بالضحايا ، وذلك بدفن أو تدمير أو إتلاف جثث المعذبين حتى الموت ، أما الحكومة التي تبلغ وحشيتها إلى هذا الحد الذي يجعلها تتباهى وتستعرض جرائمها بهذا الشكل السافر فهي تريد أن تزرع الرعب في قلوب مواطنيها ، وأن تنزل ألما إضافيا بعائلات الضحايا .

وتؤكد التقارير أن التعذيب لم يستخدم ضد الرجال والنساء وحسب ، وإنما ضد الأطفال أيضا ، والغرض من ذلك كله هو ، إما انتزاع المعلومات منهم أو معاقبتهم على قيامهم بأفعال معارضة أو معاقبة والديهم ، وكان أطفال كردستان من بين ضحايا الحبس والتعذيب ، يقول طالب سابق في جامعة بغداد كان قد اعتقل ، بوصفه متعاطفا مع الحزب الكردستاني الخارج عن القانون ، ثم أطلق سراحه في ابريل (نيسان)عام ١٩٨٥م بعد تعذيبه ، أن أمه وعمرها ٧٣ سنه و وثلاثة اخوان وثلاث أخوات وخمسة من أطفالهم تتراوح أعمارهم ما بين الخمس والثلاث عشرة سنة ، قد اعتقلوا جميعا وضربوا وتعرضوا للصعقات الكهربائية ، ويضيف هذا الشاهد :

« يوضع الأطفال الصغار في مركز الاعتقال سويا مع والديهم وعادة ما يوضع الأطفال في زنزانة منفصلة بجوار زنزانة الأم ، لإجبار الوالدين على الاعتراف ، لقد شاهدت رضيعا عمره خمسة أشهر وهو يصرخ في حالة كهذه .

وفي سبتمبر (أيلول» وأكتوبر(تشرين الأول)عام ١٩٨٥م ، اعتقل حوالي ٣٠٠ من الأطفال والأحداث الأكراد في محافظة السليمانية ، كما أشارت التقارير ، وأشارت أيضا إلى أن جثث ثلاثة أطفال وجدت في ما بعد ضواحي المدينة ، وكانت الجثث الثلاث مدماة وتحمل علامات التعذيب ، كما نقل البعض من هؤلاء الأطفال إلى سجن أمني في بغداد استنادا إلى شهادة معتقل اطلق سراحه في نهاية عام ١٩٨٥ ، والذي وصف ما شاهده بهذه الأسطر :

« في كل ساعة ، يفتح رجال الأمن باب الزنزانة ويختارون ٣ إلى ٥ من السجناء ، أطفال أو رجال – ويقتادونهم للتعذيب ، ثم تجري لاحقا رمي هؤلاء المعذبين إلى داخل الزنزانة وكانوا عادة ينزفون وتظهر عليهم علامات واضحة للسياط والصعقات الكهربائية وعند منتصف الليالي ، أخذ رجال الأمن ثلاثة أطفال ، إلا أنه

وبسبب الوحشية التي عذبوا بها ، فقد أخذوهم من الزنزانة إلى مستشفى عسكري ، ومن الواضح أن السلطات الأمنية لا ترغب في موتهم بهذه الطريقة وعلى الرغم من ذلك أعيدوا إلى الزنزانة حالما شفيت جراحهم ، وحاول بعض الأطفال النوم على الأرض ، وقد اضطجع طفل ، من الذين كانوا في المستشفى ، على الأرض فظننا أنه قد نام ، ولكن ، عرفنا أنه مات ، وعندما أطلق سراحي كان ما يزال هناك بعض الأطفال في الزنزانة ولا أعرف ماذا حصل للآخرين .

وفي يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٧ ، أفادت التقارير أن (٢٩) من أولئك الأطفال قد اعدموا وسلمت جثثهم إلى عائلاتهم ، وكانت عليهم علامات قلع الأعين وأساليب التعذيب الأخرى .

في مايو (آيار)عام ١٩٧٨م ، سربت المصادر السوفياتية إلى وسائل الإعلام العالمية أن ما يقارب الأربعين شيوعيا قد أعدموا ، واعتقل مايقارب الألف من أعضاء الحزب الشيوعي العراقي وفي يونيو (حزيران) من العام ذاته ، اعترف المسئولون العراقيون أن ٢١ شيوعيا قد تم اعدامهم بتهمة تشكيل خلايا سرية داخل الجيش ، ولكن مالم يكشف عنه الاعتراف الرسمي العراقي بهذه الإعدامات ، هو صعوبة اعتبار الجنود الواحد والعشرين الذين اعدموا ، مصدر خطر أو تهديد جديد ، فقد كانوا في السجن منذ عام ١٩٧٥م ، كما أن ثلاثة أو أربعة من صغار العسكريين والباقون جميعا كانوا من ذوي الرتب العسكرية ، وقد أوضح صدام حسين سبب اعدامهم في مقابلة أجراها معه أرنود دي بورجغراف مراسل مجلة «نيوزويك» نشرت في ١٧ يوليو (تموز) عام ١٩٧٨ م ، وهي الذكرى العاشرة لاستلام حزبه للسلطة ، فقال صدام حسين أن حكم الإعدام نفذ بعد أن تقدم السفير السوفياتي في بغداد بنداء للرأفة بهم ، فكان الإعدام بمثابة تحذير إلى موسكو بعدم التدخل في الشؤون الداخلية العراقية ، ويعد القتل السياسي علامة مميزة للنظام الحاكم في العراق منذ قيامه ، ففي واحدة

من خطواته المبكرة بعد تسلمه السلطة عام ١٩٦٨ ، أطلق سلسلة من المحاكمات السياسية بتهم تمتد من التجسس لإسرائيل والولايات المتحدة وإيران إلى محاولة قلب نظام الحكم وإلى الفساد ففي ٢٧ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٩م ، تم شنق وتعليق ١٤ من المحكومين ، علانية في بغداد والبصرة وأمام حشود تقدر بما بين ١٥٠ ألف ونصف مليون شخص جلبوا ليشاهدوا الحدث في بغداد وليستمعوا للخطب التي ألقاها الرئيس أحمد حسن البكر والمسؤولون الكبار الآخرين ، وأعلن رسميا عن محاكمات وأعدامات أخرى في يناير (شباط) وأبريل (نيسان) ومايو (آيار) واغسطس (آب) وسبتمبر (أيلول) ونوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٦٩ م ، وكان أغلب ضحايا الاعدامات التي تلت اعدامات بناير (كانون الثاني) هم من المسلمين والمسيحيين وأعلن في يناير (كانون الثاني)عام ١٩٧٠م ، عن اكتشاف مؤامرة جديدة واعدام ٣٧ شخصا من الرجال والنساء ، ونفذت الحكومة ما لايقل عن (٨٦) من الاعدامات التي أعلن عنها رسميا طوال تلك السنة ، كما ألقي مئات الأشخاص في السجون .

وكان حمام الدم اللاحق ضمن النظام نفسه ، وشمل أعضاء كبار في النظام وحزب السلطة وكان ذلك في يوليو (تموز) عام ١٩٨٣م حين قام ناظم كزار ، المسؤول الأول في النظام عن قوى الأمن الداخلي ، والمعروف بقسوته وسيادته ، بمحاولة غير متقنة لاغتيال أحمد حسن البكر وشخصيات أخرى كبيرة فأعدم ناظم كزار مع ٣٥ شخصا آخرين بعد محاكمة صورية جرت في محكمة يتألف أعضاؤها حصرا ، من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وبكلمات أحد المؤرخين فإن هذه الإعدامات قد «عبدت الطريق للهيمنة التي لا جدال فيها للبكر وحسين» .

وجرت تصفيات أخرى رافقت تسلم صدام حسين للسلطة من البكر في يوليو (تموز) عام ١٩٧٩م ، وقد أعلن صدام حسين بعد أقل من أسبوعين من تسلمه الرئاسة عن اكتشاف مخطط لقلب النظام ، وأعدم اثنان وعشرون مسؤولا كبيرا بمن

فيهم خمسة من أعضاء مجلس قيادة الثورة بعد محاكمة صورية غير أن العديد من المراقبين الأجانب شككوا في حقيقة وجود مخطط للانقلاب ، وهم يعتقدون أن هدف الإعدامات كان تطهير المسرح كلية من أي معارضين حقيقيين أو محتملين للرئيس الجديد ، وفي عام ١٩٨٠ تم قتل شخصيتين كبيرتين سابقتين للنظام فقد وجد عبد الكريم الشيخلي ، وزير الخارجية الأسبق وعضو مجلس قيادة الثورة سابقا ، مقتولا في بيته ببغداد في ابريل (نيسان) ذلك العام وكان الشيخ سفير العراق إلى الأمم المتحدة حتى عام ١٩٧٨ ، عندما استدعى إلى العراق وحكم عليه بالسجن لمدة ٦ سنوات بتهم تتعلق بتدبير موامرضد الدولة ، أما مرتضى سعيد الباقي ، وهو الآخر وزيرا للخارجية وعضو مجلس قيادة الثورة سابقا ، فقد بلغ عن اعدامه في يونيو (حزيران)-١٩٨٠م ، وكان عبد الباقي سفيرا للعراق لدى الاتحاد السوفياتي حتى يوليو (تموز) ١٩٧٩م عندما استدعى إلى بغداد وفرضت عليه الإقامة الجبرية في منزله .

وقد أشارت التقارير إلى أن قتل كلا الرجلين مرتبط بإعدامات صيف ١٩٧٩م ، وأذاعت وكالة الأنباء العراقية في نوفمبر(تشرين الثاني) عام ١٩٨٢م خبر إعدام الدكتور رياض ابراهيم حسين وزير الصحة ، وقد أشيع بأن الدكتور رياض حسين ، وهو شيعي قد استرق إليه السمع وهو يقول في حفلة بضرورة استبدال الرئيس صدام حسين ، أما الرواية الرسمية لسبب الإعدام فتقول أنه استورد مواد طبية فاسدة قتلت إناسا ، وأنه «خائن» واستنادا إلى تقارير عديدة ، غير موثقة ، أرسلت جثة د. حسين إلى زوجته وهي مقطعة تقطيعا بعد أن كانت وجهت نداء إلى الرئيس صدام حسين لإطلاق سراح زوجها والسماح له بالعودة إلى منزله .

كما أشير إلى حدوث تطهيرات وإعدامات متكررة في صفوف كبار ضباط الجيش خلال الحرب الإيرانية – العراقية فقد أحيل إلى التقاعد أو مات في ظروف غامضة ، العديد من المنافسين أو المتمردين المحتملين من الذين كانوا على قمة القيادة

العسكرية ، وكما ذكر ، فإن الرئيس السابق أحمد حسن البكر نفسه ، قتل في حادث سيارة عام ١٩٨٣م ، وهو حادث وجد فيه العديدون ترابطا غريبا مع حالة الاستياء من حكم صدام حسين ، التي سادت وقت الحرب ، والدعوات المخنوقة التي تطالب بعودة البكر إلى الرئاسة ومن عام ١٩٨٥م إلى عام ١٩٨٧م ، تم إعدام ما بين ١٨، ٢٢مسؤولا كبيرا ، من بينهم محافظ بغداد ، وكانت التهم الموجهة إليه هي«الفساد» وفي اغسطس (آب) وسبتمبر (ايلول) عام ١٩٨٨ ، قتل كل من الفريق ماهر عبد الرشيد والفريق سلمان شجاع ، وكلاهما قائدان عسكريان بارزان ويمتلكان سمعة كبيرة ، وقد قتلا في حادثين منفصلين لتحطيم طائرات الهليوكوبتر ، كما تم في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٩م إعدام ١٤ عضوا في الحزب الحاكم وضباط في الجيش للاشتباه بتدبيرهم مخططا انقلابيا وفي يونيو(حزيران) عام١٩٨٩م ، وقع حادث تحطيم هليوكوبتر آخر أودى بحياة عدنان خير الله الطافه وزير الدفاع وصهر صدام حسين وأحد أقرب مؤزاريه لسنوات عديدة ، وتتضارب الآراء عما إذا كان موت عدنان عبد الله نتيجة لحادث غير مقصود ، أم أنه عمل مقصود ومخطط له ، غير أن معلومات واسعة الانتشار ، تفيد بأنه تشاجر مع صدام حسين حول قراره الأخير ، الزواج من امرأة أخرى ، في بداية عام ١٩٨٩م .

وإذا كان مسؤولون كبار في النظام من بين من تمت تصفيتهم ، فإن معارضي النظام هم الهدف الرئيسي للقتل السياسي . وفي مقدمة هؤلاء يأتي الشيوعيون العراقيون وقادة الطائفة الشيعية والأكراد ، وتحمل وطأة الهجمة العظمى لهذا القمع المثقفون وذو المهن الطبية وكذلك العديد من الصحافيين والكتاب والمعلمين والأطباء ممن يرتبطون مع أو ينتمون إلى الحزب الشيوعي واستنادا لمصادر المهاجرين . تمكن النظام في الفترة من عام ١٩٧٨م إلى عام ١٩٨٠ من إبادة الحزب الشيوعي العراقي، على الرغم من أن إعدامات لأعداد قليلة من الشيوعيين العراقيين استمرت خلال الثمانينات.

ووصلت المعارضة الشيعية للنظام الحاكم في العراق إلى نقطة الغليان في أواخر السبعينات ومطلع الثمانينات ويعود هذا الغليان ، في جانب منه ، إلى صعود آية الله الخميني إلى السلطة في إيران ، وفي جانب آخر إلى قيام النظام العراقي بسجن وإعدام شخصيات بارزة في المرجعية الشيعية وقد حصلت في فبراير(شباط) ويونيو (حزيران) عام ١٩٧٩م حوادث شغب واسعة النطاق في كربلاء والنجف وهما المدينتان العراقيتان المقدستان عند الشيعة ، إضافة إلى حوادث مشابهة في مدينة الثورة الشبيهة بمدن الأكواخ والتجمع الرئيسي للشيعة في بغداد ، وقد وردت الحكومة العراقية على هذه الحوادث بإعدام حوالي ٢٠ شيعيا ، بمن فيهم عدد من رجال الدين وبعد حوادث شغب أخرى في ديسمبر حصلت في ديسمبر (كانون الأول)عام ١٩٧٩م، اعتقل رجل الدين الشيعي آية الله محمد باقر الصدر ، الذي يعتبر علاوة على مركزه الديني ، كاتبا وافرالإنتاج ، وكان في أيامه مقصدا لمثقفي المذهب الشيعي في العراق، وكانت التهمة الموجهة إليه هي تزعم منظمة حزب الدعوة المحظورة قانونيا ، وقد نفذ حكم الإعدام به وبشقيقته «بنت الهدى» بالتواطوء مع إيران ضد العراق ، وذلك في مطلع الثمانينات ، وشنت الحكومة العراقية ، خلال السنوات الأولى للحرب الإيرانية – العراقية حملة بالغة الضراوة ضد أسرة الحكيم البارزة في العراق ، والتي تضلع اعضاؤها لأجيال متلاحقة في العلم والقانون والطب والعلوم . وكان محمد باقر الحكيم، أحد أفراد هذه الأسرة ، قد فر إلى إيران قبل اندلاع الحرب ، وقام هناك بإنشاء محطة إذاعة منظمة البث تهاجم النظام العراقي وتدعو العراقيين الشيعة للانتفاض ضده كما قيل عن قيامه ، بنشاط وبتنظيم وإدارة عمليات حزب الدعوة فقامت السلطات العراقية في بداية شهر مايو (آيار) عام ١٩٨٤٣م ، باعتقال حوالي (٨٠- ٩٠)

شخصا من أسرة الحكيم من الذكور تتراوح أعمارهم بين ٩ و ٨٠ سنة ، وقامت في الثالث عشر من الشهر نفسه بإعدام ستة منهم ، وقد أكره محمد حسين الحكيم أحد أفراد المعتقلين والذي يبلغ من العمر سبعين عاما ، على حضور الإعدامات .

أغمى على محمد حسين الحكيم بعد أن وجهوا إليه ضربة مؤذية جدا ، ووضعوه بعد ذلك في زنزانة انفرادية لمدة عشر أيام عومل فيها معاملة سيئة ، وبلا أية عناية صحية ، كما عصبوا عينيه كي لا يرى شيئا ، وأخذوه بعد بضعة أيام إلى مطار بغداد الدولي حيث وضعوه في طائرة عراقية متوجهة إلى استنبول ، وقبل ولوجه الطائرة مباشرة أعطوه مبلغ ٢٠٠ دولار وطلبوا منه مواصلة رحلته إلى طهران لإيصال رسالة التحذير التالية إلى محمد باقر الحكيم (أوقف يا محمد باقر الحكيم نشاطاتك ضد السلطة وإلا سيعدم كل أفراد أسرتك ).

كما طلبت السلطات العراقية من محمد حسين الحكيم العودة إلى بغداد متى انتهى من مهمته تلك ، وهددته بإعدام أبنائه الثلاثة – الذين تم اعتقالهم كرهائن – إن لم ينفذ ما طلب منه ، وقد أصيب محمد حسين الحكيم ، في طهران بالجنون ومات هناك فأعدمت الحكومة العراقية في مارس (آذار) عام ١٩٨٥م ،أبناءه الثلاثة وسبعة آخرين من أفراد أسرة الحكيم واستنادا إلى مصادر أسرة الحكيم ، قتل ستة آخرون من أفراد الأسرة أو ماتوا في السجن منذ ذلك ، وأن ٥٣ شخصا آخر مازالوا مسجونين. وكنا قد ذكرنا سابقا ، ما جرى في اكتوبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧ من استدراج عضو بارز آخر من الأسرة ، وهو مهدي الحكيم ، من منفاه بلندن إلى الخرطوم حيث تم إطلاق النار عليه وقتله هناك ، والقي القبض على أعداد غفيرة من

الشيعة المشتبه بانتمائهم إلى حزب الدعوة أو المنظمات الشيعية المحظورة وأعدم ما يقدر بحوالي ٦٠٠ شيعي في عام ١٩٨٤م وحده ويعتقد أن غالبية الجنود الهاربين من الجيش والمقدرين بأربعين ألف هم من الشيعة واستنادا إلى شهادة خبير ، كانت تطلق النار على الجنود المشتبه فيهم بالسعي للهروب في المكان الذي تلقى به الحواجز العسكرية بعد القبض عليهم وبلا محاكمة ، ومن المعروف أن الكثير من الهاربين قد التجئوا إلى مناطق الأهوار في جنوب شرق العراق وحسب شهادة أحد الأكاديميين المختصين بشؤون العراق التقت به «متابعة الشرق الأوسط» وطلب عدم ذكر اسمه ، فقد قامت طائرات هليوكوبتر بتمشيط هذه المناطق عشوائيا عدة مرات قاتلة كل من كان في طريقها من سكان الأهوار والهاربين سواء بسواء .

## الجزء الثاني من التقرير الدولي : التعذيب بالتهجير :

تعرض الأكراد للقتل بصورة منتظمة في العراق ولأكثر من عقد من الزمن ، فحسب منظمة العفو الدولية وجماعات أخرى .

* أعدم في الفترة من ١٩٧٦م إلى عام ٧٨م ما يزيد على ٢٠٠ كردي في سجن الموصل منهم ٥٣ كردياً أعدموا في ليلة واحدة في أواخر يونيو (حزيران) أو مطلع يوليو (تموز) عام١٩٧٧م ، ولم يكن لأي منهم الحق في توكيل محام للدفاع عنه باختياره ، أو الحق في محاكمة علنية ، أو استئناف الحكم .

* في عام ١٩٧٩م أعدم عدد غير محدد من أعضاء الأحزاب الكردية المحظورة وفي فبراير (شباط) ومارس(آذار) من تلك السنة أعدم (١٢) كرديا في سجن الموصل .

* حكم بالإعدام ، عام ١٩٨٠م على عشرين كرديا في محكمة خاصة بكركوك ، ونفذ الحكم بستة منهم .

* في عام ١٩٨١م ، حكم بالإعدام على ٢٧ عضوا من أعضاء الاتحاد الوطني الكردستاني (أوك) وهو أحد أكبر حزبين للمعارضة ، ونفذ حكم الإعدام بـ ١٤ منهم ، وأشارت التقارير إلى إعدام ١٤٠ مؤيدا وعضوا في هذا الحزب في سجن أبو غريب ببغداد ، في أواخر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨١ م .

* أعدم عام ١٩٨٢م عشرة أعضاء في الاتحاد الوطني الكردستاني بعد محاكمة جرت لهم في محكمة خاصة بكركوك .

* في عام ١٩٨٣م ، أعدم اثنان من أبناء الملا مصطفى ، وهم لقمان وصابر

مع ١٥ آخرين من عشيرة البرزاني ، ردا على المساعدة التي قدمها اخوهما ، مسعود البرزاني ، للقوات الإيرانية في السيطرة على حاجي عمران ، المدينة الحدودية الكردية العراقية .

وكان قد أعدم عبد الله البرزاني ، وهو ابن آخر للملا مصطفى عام ١٩٨١ م ، أثر فشل التفاوض بينه بين الرئيس صدام حسين خلال لقاء جرى في بغداد .

أعدم في مارس (آذار) عام ١٩٨٤م ، أربعة وعشرون شابا كرديا في السليمانية بحجة الهروب من الجيش والتحايل كما قتل ما بين ١٥ و ٢٠ كرديا آخر، وأصيب عدد غير معروف بجراح أثر قيام القوات العراقية بإطلاق النار على مظاهرة للطلبة احتجوا فيها على التدريبات الصيفية في الجيش الشعبي.

في مارس (آذار) عام ١٩٨٥م أعدم ١٣ عضوا في حزب الشعب الديمقراطي- الكردستاني بعد أن كان قد حكم عليهم بالسجن لمدة ١٥ سنة في محكمة الثورة عام ١٩٨٤ م .

وأعدم ٦٠ سجينا ، بينهم أكراد ينتمون إلى الحزب الاشتراكي الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني ، وذلك في الأسبوع الأول من نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٥م بسجن أبو غريب في بغداد ، كما اعدمت قوى العراقية عشرة أكراد في محافظة السليمانية ردا على مقتل ضابطين عراقيين في وقت سابق من اليوم ذاته ، وقد جمع العشرة المذكورون وأطلقت النار عليهم خارج حمام شعبي كما هدمت القوات العراقية المنازل وسوتها مع الأرض .

في عام ١٩٨٦م ، أعدم ٤٤ كرديا أو سجنوا مدى الحياة لأسباب سياسية .

في عام ١٩٨٧م ، وهي السنة الكاملة الأخيرة للحزب الإيرانية - العراقية ، توغلت الحكومة العراقية في حملة مسعورة من الإعدامات في المناطق الكردية ، فقد

قتل ما بين ١٠٠و١٥٠ كرديا من مختلف الأعمار ، في ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ، أثر تمشيط، وتفتيش مكثف شكل كل المنازل وقصف قرية جمان في محافظة كركوك.

وفي الفترة من ١٤ إلى ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) أطلقت فرق الإعدام النار في محافظة اربيل ، على كرديا في مدينة شقلاوة بالمحافظة ، ردا على هجوم سابق للمتمردين الأكراد على الجنود العراقيين ، وأشير إلى أن منازلهم سويت مع الأرض أيضا ، وفي ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) أعدم سرجون عبد العزيز عبد الله عثمان ، وهو مساعد طبيب بيطري وعضو حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني ، في سجن أبو غريب واعيدت جثته إلى عائلته وأطلقت فرق الإعدام النار على ٣١ كرديا قيل أنهم متعاطفون مع الحزب الديمقراطي الكردستاني وذلك في حوادث منفصلة ، في ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) و١٠ ديسمبر (كانون الأول) أيضا ، علما أن خمسة من الضحايا كانوا دون الثامنة عشرة من العمر .

وأخيرا ، وفي ٣٠ ، ٣١ ديسمبر (كانون الأول) إعدم أكثر من ١٥٠ من السجناء السياسيين من الأكراد والعرب والتركمان ، في سجن أبو غريب ببغداد ، وكان البعض منهم طلبة مدارس ثانوية تتراوح اعمارهم بين ١٤ و١٧ سنة .

ويجب أن لا تؤخذ المعطيات المذكورة آنفا ، بأي حال ، على أنها المعطيات الكاملة فقد كانت الإعدامات العاجلة للناس شائعة في المناطق الكردية بالعراق في الفترة ما بين عام ١٩٨٦م وعام ١٩٨٨م ، ردا على هجمات المتمردين الأكراد على المنشآت العسكرية والمدنية العراقية ، أو على الأفراد العسكريين والمدنيين .

ونورد هنا ما رواه لـ «متابعة الشرق الأوسط» مسؤول عراقي سابق كان موجودا في اربيل عاصمة منطقة الحكم الذاتي الكردستانية ، عندماوقعت الأحداث التي يستعرضها هنا :

« كنت في اربيل حين أطلقت النار على المحافظ (الذي لم يقتل من جراء ذلك) في عام ١٩٨٦م » .

وبعد مرور ثلاث ساعات علي محاولة الاغتيال التي جرت في محلة دوناكي ، نفذ حكم الإعدام بخمسة شبان تتراوح أعمارهم بين ١٤و١٩عاما ، وبصورة علنية أمام حشد كبير وقد كنت هناك لأن الحكومة جمعت جميع الموظفين الحكوميين وأمرتهم بحضور الإعدامات ، لقد روعت بما شاهدت فقد سألوا أحد الشباب ، عمّا إذا كان يريد شيء قبل إعدامه ، ولكن ما أن حاول الكلام حتى أمروه أن يخرس ، كنت بعيدا لدرجة لم تمكنني من رؤية ما إذا كان الشبان الخمسة قد ضربوا ، ولكن أخبرني آخرون أنه كانت على وجوههم علامات الضرب و ثم أطلقت النار عليهم بعد ذلك .

وقال الشخص نفسه إنه كان شاهدا على عمليتي إعدام انتقاميتين آخرين في آربيل:

« في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٧م نفذ حكم الإعدام في محلة شورش بثلاثة شباب تتراوح اعمارهم بين ١٤ و ١٧ عاما إثر محاولة اغتيال مسؤول أمني في اربيل .

وأعلن عن الإعدامات بمكبرات الصوت ، وأمر الناس بالحضور وفي ٢ يوليو (تموز) عام ١٩٨٨م ، قتلت ، في محلة عرب بمدينة اربيل ، معلمة كانت تعمل مخبرة للحكومة. كما احضر ضباط الأمن مدرسا بمدرسة عليا من السجن وأعدموه بالمسدس نفسه الذي قتلت به المرأة .

ويقال أن بعض حالات القتل قد موهت ، وأعلنت حالات موت طبيعية ، فاستنادا لشهادة موظف سابق بمستشفى اربيل التعليمي ، ويعيش الآن في المنفي ، قدمها إلى

«متابعة الشرق الأوسط» فإن طبيبا كبيرا في المستشفى وقع بصورة منتظمة ، شهادات وفاة زائفة في الفترة من عام ١٩٨٦م إلى ١٩٨٧م .

وبينما كان ذلك الطبيب يعترف سرا لمن يثق بهم بأن الميت قد أعدم في السجن، فهو يوقع شهادات تصادق على أن الوفاة حدثت بسبب نوبة قلبية أو لأسباب طبيعية أخرى .

واعتبرت تلك الحالات «سرية للغاية» وحذر العاملون في المستشفى من أي افشاء لها ، وقد صدرت حوالي ٢٠ إلى ٢٥ من هذه الشهادات في الشهر الواحد من قبل مستشفى اربيل التعليمي في الفترة من عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٨٨م حسب شهادة الشخص المذكور .

وتم تسميم عدد من المعارضين السياسيين منذ عام ١٩٨٠م ، ففي مايو (آيار) عام ١٩٨٠م أجرى الأطباء في لندن فحوصات لعراقيين اثنين وصلا إلى لندن بعد سجنهما في العراق ، وتبين من الفحوصات إنهما يعانيان من التسمم بالثاليوم ، وهي مادة ثقيلة لا رائحة ولا لون ولا طعم لها ، تستخدم في قتل الجرذان .

وذكر أحدهما ، وهو مجيدى جهاد ، فى شهادته قبل وفاته ، أنه يعتقد أنهم وضعوا له السم فى قنينة عصير البرتقال التى قدمت له فى مركز شرطة بغداد ، الذى ذهب اليه للحصول على جواز سفره، وحول الحالة الثانية ذكرت مجلة "نيوسايتنست" مايلى "–

"نجح شوكت عفراوى المهندس الاستشارى فى الكيمياء العضوية ، والتخرج من جامعة " ليدز" فى ( تهريب ) اتصال تليفونى من مستشفى بغداد إلى مصدر لمجلة " نيوسايتنست" وقال باللغة الكردية مايلى : " لم يقتلنى الحادث الذى دبروه لى ، ولهذا السبب أعطونى الثاليوم فى المستشفى الذى أعالج فيه ، قولوا للجميع وداعا وعند ذلك قطع الاتصال التليفونى .

وتفيد التقارير كذلك أن حوالى ٤٠ كرديا معارضا تم تسميمهم فى حوادث منفصلة فى أواخر عام ١٩٨٧م ،

حينما اختفى أثر كل من الدكتور حسين شهرستاني والدكتور جعفر ضياء بعد اعتقالهما من قبل قوى الأمن ببغداد ، في عامي ١٩٧٩و١٩٨٠م كانت هناك صرخة احتجاج عالمية فكلاهما معروف عالميا كعالم ، وقد رفع زملاءهما ، من العلماء في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ، صوتا عاليا ، وبكل حزم ، دفاعا عنهما .

كان الدكتور شهرستاني يحتل منصب مدير الأبحاث في لجنة الطاقة الذرية العراقية حين اعتقل في التاسع من ديسمبر(كانون الأول) عام١٩٧٩م ، ولم تعلن الحكومة العراقية مطلقا سبب اعتقاله رغم العديد من النداءات الموجهة إليها لإطلاق سراحه ، ولكون الدكتور شهرستاني ينتمي إلى عائلة شيعية عراقية بارزة ، فقد خمن البعض ، أن سبب اعتقاله يرجع للارتياب بارتباطات له مع منظمة الدعوة المحظورة غير أن مواطنا صوماليا ذكر أنه شاركه الزنزانة وقتا من الأوقات ، نقل عن الدكتور شهرستاني قوله أنه يعتقد أن سبب اعتقاله يعود إلى رفضه تطوير قنبلة نووية بواسطة المفاعل الذي كان العراق قد اشتراه من فرنسا في منتصف السبعينات .

وكانت هناك تقارير متضاربة عما حصل للدكتور شهرستاني ، إذ يقال أنه شوهد في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٠م في مستشفي عسكري ببغداد وهو في حالة سيئة ، نتيجة للتعذيب .

أما العراقيون الذين هربوا من العراق في عام ١٩٨١م فقد تحدثوا عنه بنعته بـ «الفقيد الدكتور شهرستاني» .

غير أن تقريرا آخر أشار إلى أن عقوبة الإعدام التي صدرت بحقه بعد محاكمة مغلقة عام ١٩٨٠م قد خفضت إلى السجن مدى الحياة ، أما الدكتور جعفر ضياء جعفر ، الذي كان رئيسا لقسم الفيزياء التجريبية التابعة للجنة الطاقة الذرية العراقية فقد اعتقل في فبراير (شباط) عام ١٩٨٠م بعد أن كتب ، كما أفادت التقارير ، رسالة

إلى الرئيس صدام حسين حول قضية اعتقال الدكتور شهرستاني ولم يسمع أي شيء عن الدكتور جعفر منذ اعتقاله .

وفي ١١ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٤م ، أي بعد استئناف العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة والعراق ، كتب اليوت ستيلر ، رئيس لجنة حقوق الإنسان التابعة للأكاديمية الوطنية للعلوم ، رسالة موجهة إلى نزار حمدون ، السفير العراقي لدى واشنطن طالبا منه معلومات حول العالمين ، فرد السفير العراقي برسالة مؤرخة في ١١ يوليو (تموز)عام ١٩٨٥م يقول فيها: «أنه تم إطلاق سراح الدكتور حسين شهر ستاني ، والدكتور ضياء جعفر بعد أن قيل لهما (عفوا) منذ زمن طويل ، وأنهما الآن طليقان » .

وعلى الرغم من أن شيئا لم يسمع من الدكتور شهرستاني أو من الدكتور جعفر مباشرة منذ اعتقالهما ، فإن معلومات غير مباشرة وحديثة تفيد بأنهما على قيد الحياة ، ولكن في السجن .

وهناك حالة من حالات الاختفاء ، أكثر مدعاة للسخرية هي حالة محمد الجابري ، سفير العراق في أسبانيا ورئيس وفد العراق إلى جلسة عام ١٩٨٠م لمفوضيه حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في جنيف .

لقد لفتت حالة السفير الجابري الانتباه على أعلى المستويات فقد حازت الوفود العراقية إلى المفوضية سمعة لاثقة بها في محاولاتها الدائمة لإحباط أية مبادرات خاصةً بحقوق الإنسان بدلا عن تعزيز وتشجيع المبادرات ، حتى إذا لم تكن المبادرات المطروحة تمس بلدهم مباشرة ولكن حين بذلت وفود غربية جهودا لإنشاء فريق عمل خاص بالاختفاء لمعالجة حالة الاختفاء الجماعي التي تحدث في الارجنتين ، وذلك خلال جلسة المفوضية عام ١٩٨٠م ، وجدت الوفود الغربية أن السفير الجابري

متعاطف حقا مع المبادرة ، ومما جلب دهشتهم ، أنه لعب دورا مساعدا في الجهود المبذولة تلك السنة لتكوين فريق عمل قوي وفعال في مجال الاختفاء ، ومارس ضغوطا شديدة وناجحة من أجل ذلك على وفود بلدان العالم الثالث .

وحين صادقت اللجنة على تشكيل فريق العمل الخاص بحالات الاختفاء القسرى أو اللاطوعي ، أنتخب السفير الجابري رئيسا للفريق اعترافا وتقديرا لمساهمته وحينذاك ، استدعى الجابري إلى بغداد واختفى أثره ، فوجه مدير شعبة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة وهو هولندي الجنسية ، وعدة حكومات غربية نداءات متكررة للحكومة العراقية طلبا للمعلومات حول السفير الجابري ، ومكان وجوده وحالته ، ولم يرد أي جواب على أي من تلك النداءات .

ولكن تسلم مدير شعبة حقوق الإنسان التابعة لهيئة الأمم المتحدة بعد مرور حوالي سبعة أشهر ، رسالة «مكتوبة» بخط اليد ، للإيهام بأنها من السفير الجابري نفسه ، جاء فيها بأنه حي يرزق ، وأنه لم يعد قادرا على العودة للأمم المتحدة أو إلى الخدمة الدبلوماسية .

ولم يجر التثبت مطلقا بصورة جلية من موثوقية الرسالة ، ولم يتحدد مطلقا ماذا حصل بدقة للسفير الجابري ، وكما يمكن توقعه ، توقف التعاون الدبلوماسي العراقي مع عمل مفوضية حقوق الإنسان التابعة لهيئة الأمم المتحدة والمعنية بالمفقودين مع اختفاء الرئيس الجابري .

ويعرف أن المثال الأكبر حجما على حالة اختفاء للناس قد حصل في العراق حين تم أخذ ما يقارب الثمانية آلاف من الأكراد من عشيرة البرزاني من مخيماتهم في قوشتيه وديانا بمحافظة أربيل في الثلاثين من يوليو (تموز) عام ١٩٨٣م ، وكان للبرزانيين الأكراد بقيادة الملا مصطفى البرزاني دورا هاما في الانتفاضة الكردية

لعامي ١٩٧٤، ١٩٧٥م والتي كانت مدعومة من قبل شاه إيران ، وسريا من قبل الولايات المتحدة الأميركية ، وكان رجال حرب العصابات البرزانيين الاسطوريون والذين يسمونهم باللغة الكردية بـ«البيشمركة» أي الذين لا يهابون الموت أو الفدائيين ، كانوا قد تمكنوا من مواجهة الجيش العراقي واحتفظوا بساحة أرض واسعة تحت سيطرتهم في شمال العراق حتى قطعت إيران دعمها عنهم وتجهيزها لهم بالأسلحة في اعقاب اتفاقية (لم تكن متوقعة حينها) عقدت بين صدام حسين والشاه في الجزائر عام ١٩٧٥م ، ولما صارت هزيمته جلية «للعيان» وافق البرزاني على إلقاء السلاح بعد أن حصل على وعد من الحكومة العراقية بأن لا تقوم الأخيرة بأية اجراءات انتقامية ضد أتباعه أو ضد عوائلهم ولقد أعطي الوعد ، ولكن تم النكث به بكل الصلف فقد جرى ترحيل الآلاف من الأكراد من البرزانيين وغيرهم من مناطق سكناهم في جبال برازان وغيرها بشمال العراق إلى مخيمات في الصحراء بجنوب العراق ، وفي عام ١٩٧٨م ، سمحت الحكومة لغالبيتهم بالعودة إلى المناطق الكردية بشمال العراق ولكن لم تسمح لهم بالعودة إلى قراهم الأصلية ،وإنما اجبروا على الاستيطان على ما تدعوه الحكومة بـ «المدن الجديدة» والتي لا تزيد في الحقيقة عن مخيمات لاجئين مجاورة للمواقع العسكرية العراقية .

وفي النصف الثاني من يوليو (تموز) عام ١٩٨٣ أي بعد أقل من ثلاث سنوات من اندلاع الحرب الإيرانية – العراقية تمكنت القوات الإيرانية من السيطرة على حاجي عمران «المدينة الحدودية الكردية العراقية» وتقدمت ما يقارب العشرة كيلو مترات في شمال العراق ، وكانت هذه هي المرة الأولى في تلك الحرب التي يتمكن فيها الإيرانيون من التوغل داخل الأراضي العراقية .

ولقد كان قتالا ضاريا تكبد فيه العراقيون خسائر كبيرة واتهمت الحكومة العراقية ، وهو اتهام صحيح بلا شك ، المتمردين الأكراد بقيادة مسعود البرزاني ابن الملا مصطفي البرزاني بمساعدة الإيرانيين في تقدمهم .

فقامت الحكومة العراقية في ٣٠ يوليو (تموز) عام ١٩٨٣م بتطويق المخيمات الواقعة حول قوشتيه وديانا ، والتي كانت بعيدة بما يكفي عن منطقة القتال ، وحيث كان قد أعيد توطين الأكراد البرزانيين فيها قبل خمس سنوات من ذلك ويروي لنا الحادث أحد رجال قبيلة البرزاني من الذين تمكنوا من الهرب :« أيقظتني زوجتي ذلك الصباح بهزي بكل قوة» وكان الرعب باديا عليها حين قالت لي أن مخيمنا مطوق بالجنود العراقيين ، وإننا الآن وسط حلقة من الآليات العسكرية ولم أصدق ما قالته أول الأمر ، ولكنني صدقت بعد ذلك كل ما ذكرت حين نظرت من الباب لما يجري في الخارج ، فقد كان الجنود العراقيون قد أحكموا سيطرتهم وكانوا جاهزين لإطلاق النار ، وبعد ذلك تقدم الجنود من جميع الجهات الى داخل المخيم وهم يطلقون النار ولقد هاجموا المنازل راكلين أبوابها بجزماتهم واختلطت صرخات النساء والأطفال في المخيم الذي كان يسكنه ٢٠ ألف مواطن ، مع صياح الجنود وشتائمهم وهم يضربون ويركلون النساء والأطفال . لقد كان ذلك اليوم بالنسبة لسكان المخيم وكأنه يوم الحساب .

وتفيد التقارير أنهم جمعوا الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ ، ٨٠ سنة وحشروهم في شاحنات عسكرية وأخذوهم بعيدا ، وكان جليا أن كون قسم من أولئك الذين يخدمون في المليشيا الكردية التابعة للحكومة العراقية ، لم يؤثر مطلقا في التمييز بينهم واستنادا إلى تقارير متعددة اقتيد أولئك الذكور أول الأمر إلى النجف وكربلاء ، المدينتين الشيعيتين في جنوب العراق ، وهناك حيث كانت الحكومة العراقية كما يتضح ، بحاجة ماسة إلى وسائل ترفع المعنويات ، فقد تم عرض أولئك الناس على أنهم ايرانيون -- أسرهم خلال (الانتصار) الجيش العراقي في (حاجي عمران) .

ثم اقتادوهم من هناك إلى مخيمات في الصحراء قرب الحدود الأردنية السعودية ، وتعتقد جماعات المهاجرين الأكراد أن عددا منهم ، قد يصل إلى ١٠٠

شخص – قد أعدموا ، لكن عددا كبيرا منهم مازالوا أحياء في تلك المخيمات الصحراوية ، وعلى الرغم من ذلك ، لم يسمع مباشرة أي خبر عن أولئك الرجال أو منهم منذ الثلاثين من يوليو (تموز) عام ١٩٨٣م ، أما النساء والأطفال البرزانيون فتركوا في مخيم قوشتيه وديانا ، غير أن ابعاد رجالهم تركهم بلا حماية ومع إمكانات محدودة للعيش .

وقدمت الحكومة العراقية أجوبة مراوغة ومضللة عن الاستفسارات العديدة التي وجهت إليها حول هذه القضية من فريق العمل الخاص بحالات الاختفاء اللاطوعية المشار اليها سابقا .

وعلى الرغم من أن حالة اختفاء جماعية مرة واحدة ، على مقياس ما حصل للاكراد البرزانيين لم يشر إلى حصولها منذ عام ١٩٨٣م ، فقد ظلت الشكاوي عن اختفاء الأشخاص في العراق تتدفق وتملأ ملفات فريق العمل ففي حالة إرسال ملفها إلى الفريق ، عام ١٩٨٨م ، جرت الإشارة إلى اختفاء ثلاثة طلاب يدرسون في مصر منذ ٩ أغسطس (آب) عام ١٩٨٩ م ، حين اقتيدوا إلى مطار القاهرةمن قبل السفير العراقي ، ووضعوا في طائرة متوجهة إلى بغداد بصحبة ستة من ضباط الأمن العراقيين . كما ورد في أغسطس (آب ) عام ١٩٨٩ م ، ملف عن حالة ٣٣ من العراقيين ، من المسيحيين والسريان ، عوائل وأفراد يشكلون بمجموعهم أكثر من ١٠٠ شخص ، أختفوا منذ أن عادوا إلى العراق في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٨م وابريل (نيسان) عام ١٩٨٩م في أعقاب صدور قرارات عفو من الحكومة العراقية .

كما جرى في العراق تهجير جماعي للناس إلى الخارج .

وتركز أساسا في موجتين كبيرتين ، حصلت الأولى في أوائل السبعينات ويخمن عدد الذين شملتهم بـ (١٠٠) ألف شخص ، أما الثانية فحصلت طوال سنوات الثمانينات ، ويقدر عدد الذين شملتهم بما بين (٣٠ – ١٠٠) ألف شخص .

وأيا كان الرقم الدقيق ، فلا خلاف في أن أعدادا غفيرة جدا من الناس قد تم اقتلاعهم من منازلهم وأعمالهم في العراق وصودرت ممتلكاتهم وطردوا بالقوة من خارج الحدود وفي حالات عديدة جرى فصل أفراد العائلة ، وارسل الذين لم يهجروا إلى مخيمات اعتقال .

وكان هدف حملة الابعاد في أوائل السبعينات جالية الأكراد الفيليين الشيعة الذين يعيشون في العراق على مقربة من الحدود الإيرانية إلى الشرق والشمال من بغداد ، وفي بغداد نفسها ، كما شملت الحملة أيضا من يسميهم العراقيوان بـ «الغرباء» أو الأجانب غير الشرعيين ، الفرس ،الذين قدموا إلى العتبات المقدسة الشيعية ، (أضرحة الأئمة الشيعة) في النجف وكربلاء ، وظلوا فيها ، علما بأن عديدا منهم قد قدموا منذ عقود من الزمن ، وقد جرت هذه الإبادات كانتقام واضح من استيلاء إيران على جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى عند مضيق هرمز ، على الرغم من أن رغبة النظام الحاكم في ضرب المعارضة الشيعية المبكرة لاستيلاء الحزب على السلطة لعب هو الآخر دورا في الأمر .

ويقال أن (٤٠) ألف شخص قد أرسلوا عبر الحدود في الطور الأول للتهجير عامي ١٩٧١م و١٩٧٢م ، وأن (٦٠) ألف شخص اخر ، أو ما يقارب هذا العدد تم تهجيرهم في السنوات اللاحقة .

وتزامنت حملة التهجير الثانية مع تزايد التوتر بين العراق وإيران إثر قلب نظام الشاه وإعلان الجمهورية الإسلامية ، ولبعض الوقت وصفت الحكومة العراقية أولئك بأنهم مواطنون إيرانيون ، وأكدت أن عددا لا يتجاوز بضع مئات ولكن ، لاحقا وفي مواجهة الدليل على أن غالبية المبعدين هم مواطنون عراقيون وأن عددهم أكثر من ذلك بكثير جدا ، لجأت الحكومة العراقية إلى ذرائع وأوصاف «الأصل الإيراني» أو «الشيعة الفرس» وحاولت تبرير أعمالها بالإدعاء بأن أولئك المبعدين كانوا «الطابور الخامس» للإيرانيين .

بدأت الجولة الأولى من حملة التهجير الثانية في ابريل (نيسان)عام ١٩٨٠م بعد بضعة أيام من هجوم نسب إلى منظمة حزب الدعوة الشيعية وقع ضد مسؤولين عراقيين كبار كانوا يحضرون مراسيم جامعية في بغداد ، وتزامنت هذه التهجيرات ، أيضا ، مع إعدام محمد باقر الصدر ، الذي يعد أحد أبرز علماء المرجعية الشيعية في العراق وهو زعيم حزب الدعوة حسب ما تقوله الحكومة العراقية .

واستنادا لعدة روايات ، جمع ما لا يقل عن مائة من أبرز رجال الأعمال الشيعة في بغداد من تجار وأصحاب المعامل ، واقتيدوا إلى المقر الرئيسي لشرطة الأمن حيث صودرت وثائقهم الشخصية ثم وضعوا ، بلا أي مال ، عند الحدود وداخل أراضي إيران . وأبعدت السلطات آلافا آخرين في الأسابيع اللاحقة بدون حتى أي أثر أو مظهرلإجراءات أصولية أو قانونية ، وجرى ذلك الوقت تهجير أسر بكاملها بمن فيهم الأطفال وكبار السن من الآباء والأمهات والأقارب الآخرين ، كما اتضح أن بعض العراقيين ممن لم يكونوا من أصل إيراني ولا حتى من الطائفة الشيعية ، وقد شملهم التهجير أيضا ، إما لأنهم متزوجون من أسر شيعية أو لأن النظام وجد في ذلك الفرصة المناسبة للتخلص منهم .

ونورد هنا رواية أحد المهجرين ، وهو الدكتور محمد المكاك الذي كان رئيسا لقسم الهندسة الكهربائية بجامعة بغداد حتى تهجيره في يوليو(تموز ) عام ١٩٨٠م :

«هجروني مع عائلتي في ٣ يوليو عام ١٩٨٠م بعد اعتقالي في مديرية الاستخبارات العامة منذ ٥ يونيو (حزيران) حين افتقدتني عائلتي التي لم تكن تعرف أين أنا وماذا حصل لي .

وهناك (في مديرية الاستخبارات العامة ) وضعوا نظارات سوداء معتمة على عيني وربطوني إلى كرسي ، وسألني أحدهم إن كنت إيرانيا ، فأجبت بالنفي قائلا إني عراقي واحمل الجنسية العراقية ، فقال لي « من أصل إيراني إذن؟»

فقلت نعم :

فقال لي:«لماذا لا تقول أن أصلك إيراني» وتركوني مقيدا إلى الكرسي معصوب العينين حتى الأول من يوليو(تموز) عندما فكوا وثاقي وحلقوا نقني ثم اقتادوني إلى مكان جلبوا إليه أفراد اسرتي بعد يومين وجدت نفسي مهجرا في إيران .

وعلى الرغم من أن الدفعات الأساسية لحملة التهجير الثانية كانت قد حدثت بنهاية عام ١٩٨١م ، فقد استمر التهجير من العراق إلى إيران ، وإن لم يكن على مقاييس أصغر ، طوال الثمانينات ، وتوجد في الوقت الحاضر ثلاثة مخيمات للمهجرين العراقيين في إيران ،اثنان منهم يقعان في شمال ووسط إيران ويسميان «مالاوي» و«وارنا» بينما يقع الثالث في جنوب إيران ويدعى يجوهرون» ويسكن المخيمات الثلاثة حوالي (١٥٠) ألف شخص بالمجموع ، ويشار إلى أنهم يعيشون في حرمان شديد .

كما أقام المهجرون العراقيون تجمعا كبيرا للعراقين الشيعة في مدينة «قم» الإيرانية ولكن أولئك الذين وجدوا مكانا لائقا للعيش في «قم» ومدن آيرانية أخرى يواجهون مستقبلا غامضا .

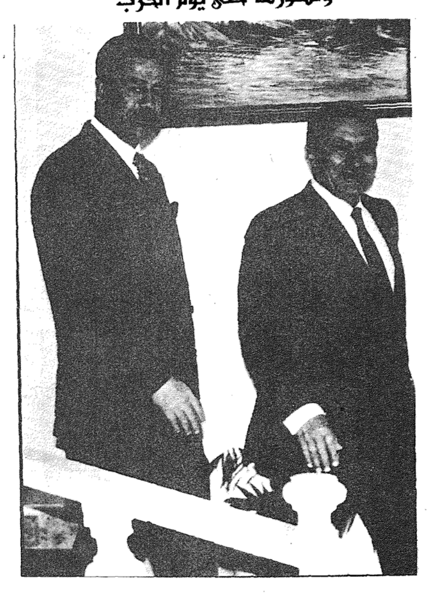
وقد طالبت إيران من خلال المفاوضات التي أعقبت وقف إطلاق النار في (آب) عام ١٩٨٨م ، بأن يعيد العراق (٢٠٠) ألف مهجر من الذين تقول إيران أنهم مواطنون عراقيون ،ولكن العراق رفض ، على أية حال ، أن يتحمل أية مسؤولية عن الناس الذين هجرهم .

إن عدد المواطنين العراقيين الذي توجد على وثائق جنسياتهم ملاحظة «من أصل إيراني» كبير جدا بحيث لا يمكن تهجيرهم جميعا ، فقد حدد أحد الكتاب عددهم بمليونين ، ولكن بينما يعمل قسم منهم في خدمة النظام العراقي بولاء ، يتبين أن الكثير منهم يظلون عرضة للتهجير القسري المباغت .

(إنتهى التقرير الدولي)

# ملحق صور نادرة
# قصة الغزو والحرب
# بالصور الوثائقية
## الجزء الأول

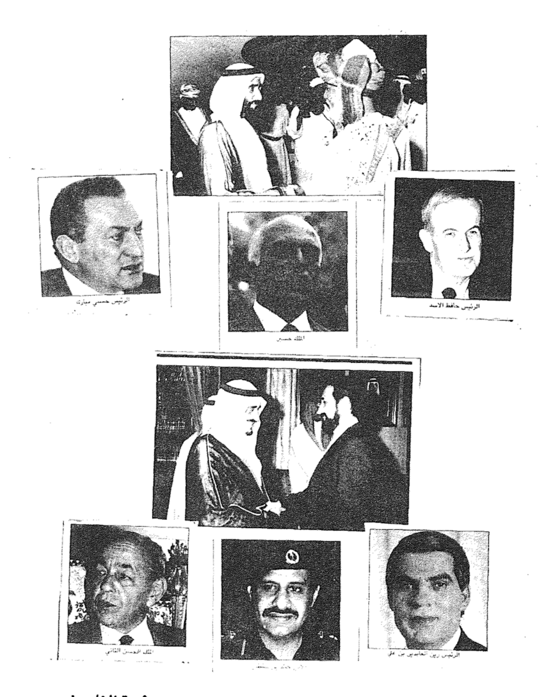
## بداية أزمة الخليج
## وتطورها حتى يوم الحرب



* قبل بدأ الأزمة بأيام : الصديقان : صدام ومبارك .. تحالفا في إيران وتحاربا في الكويت !!



قبل الأزمة .. الصديقان في مجلس التعاون العربي : صدام ومبارك



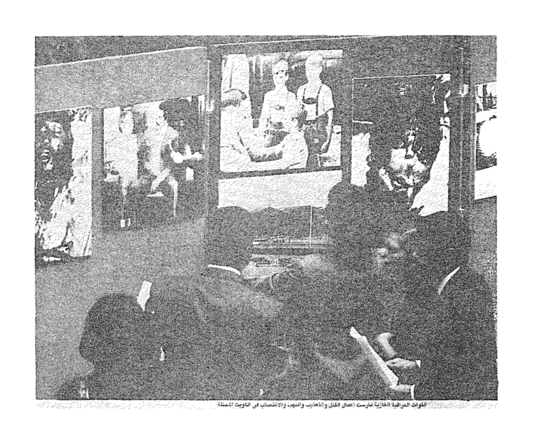

القادة : ولكن في طبعة عربية لأزمة فادحة التكاليف : أزمة الخليج !



صدام حسين يعلن في التليفزيون العراقي ان غزو الكويت هو الخطوة الاولى نحو تحرير فلسطين .

## بداية الأزمة ...

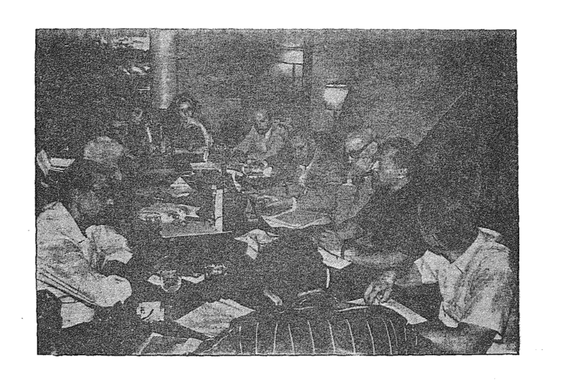
## ( بيان من المهيب الركن )



القوات العراقية الغازية مارست أعمال القتل والتعذيب والنهب والاغتصاب في الكويت المحتلة

**قبل الحرب بشهور**

**أعمال صدام متلفزة كويتياً !!**



كتاب وأساتذة جامعة باركوا الحرب ... ! ( لقطة من ندوة لمجلة المصور القاهرية ) قبل الحرب بشهور قليلة .



المتناطحان : قبل الحرب .. هكذا تصور أحد الرسامين صدام وبوش .



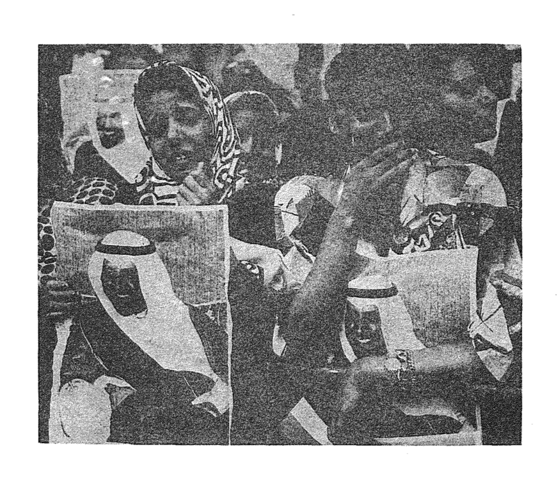
الرئيس بوش في أحدى الطائرات المقاتلة

جيمس بيكر مع القوات في المنطقة: لا تراجع



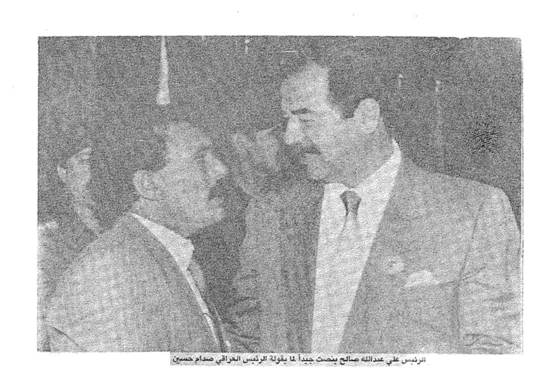
## قبل الحرب بأيام

## مع الجنود في جزيرة العرب !!



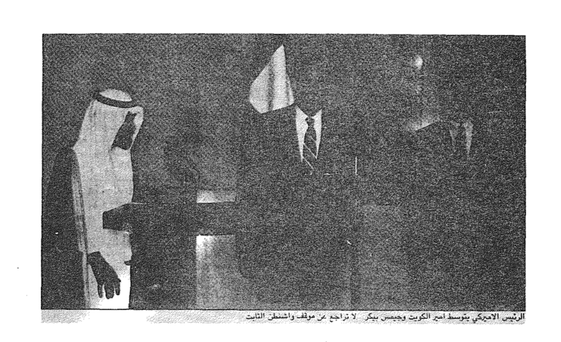
« الغزو » على الوجوه !!

بالكويت وخارجها !!

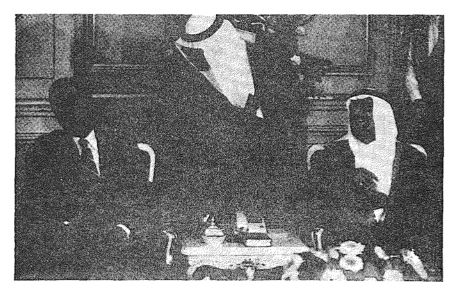


الرئيس علي عبدالله صالح ينصت جيداً لما يقوله الرئيس العراقي صدام حسين

**الحلفاء ... صدام ... على عبد الله صالح .**



الرئيس الاميركي يتوسط امير الكويت وجيمس بيكر  لا تراجع عن موقف واشنطن الثابت



**<u>قبل الحرب بشهور</u>**

**( الأصدقاء ! )**

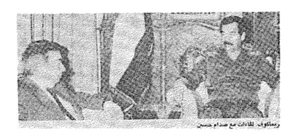


**بوش ... في الأيام الأولى للأزمة .. محاولة لقراءة أفكار صدام من خلال التلفاز !!**




* صدام ... مع أطفال الرهائن قبل الحرب مباشرة .





بريماكوف: لقاءات مع صدام حسين

**المهيب ... وصديقه منذ ١٩٧٢ اليهودي بريماكوف**

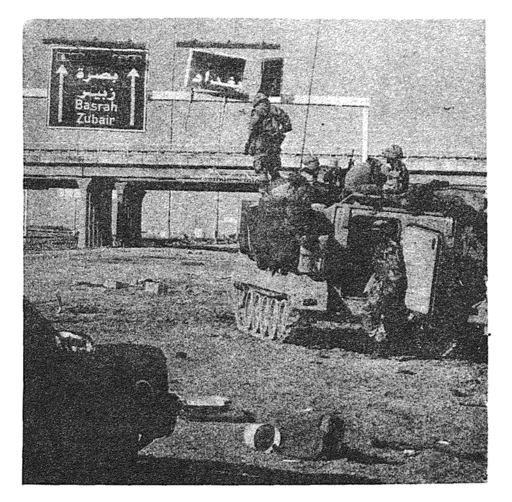
**ترى من الذي إستدرج منْ إلى الفخ !!**






الملك حسين في معية الرئيس صدام حسين بالسيارة البريطانية من طراز «جاكوار»

**المهيب الركن صدام ... لم يكن يتوقع كل هذه النتائج !!**




الطريق إلى بغداد والبصرة : دبابات ودمار !!

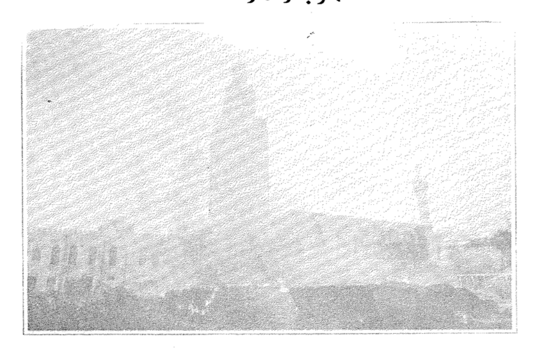


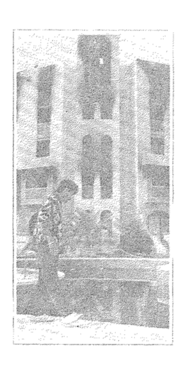
الرئيس بوش مع القوات الامريكية في السعودية

- في أعلى الصورة : بوش والرجل الذي رفض الحرب ( باول ) .
- في أسفل الصورة : بوش ورجاله الذين حاربوا صدام !!

# الجزء الثاني

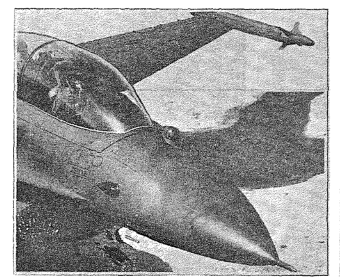
## الحرب وثمارها



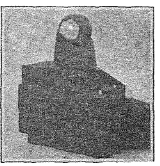


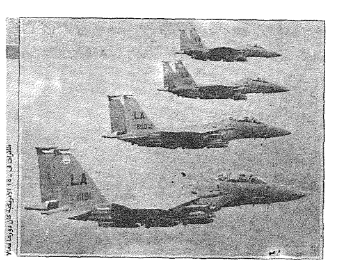


حرائق الكويت ... في كل مكان !!



يسار: الطائرة ف ـ ١٦ الأمريكية مجهزة بنظام الرؤية فالكون آي Falcon Eye لتوفير الرؤية الأمامية المناسبة للطيار في الهجمات الليلية. ويلاحظ الكرة الدوارة أعلى المقدمة وأمام كابينة الطيار
أسفل: سيستعمل النظام فالكون آي حيث يظهر الكرة الدوارة والتي يبلغ قطرها ٥ بوصات تدور حول نفسها ولأعلى ولأسفل أيضا





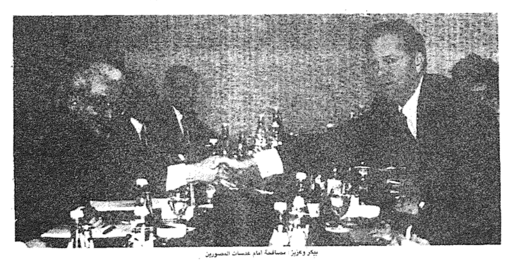
* الكل يذهب إلى بغداد ... ليصب حممه !!



فشل لقاء بيكر وعزيز فى جينيف بسبب تصلب الموقف العراقى

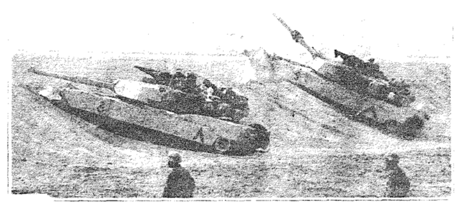


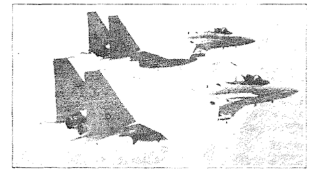
دى كويار بعد لقاء صدام قال « لست متفائلا او متشائما » !



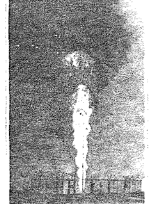
بيكر وعزيز : مصافحة أمام عدسات المصورين

**قبل الحرب / مفاوضات بدون أمل !!**

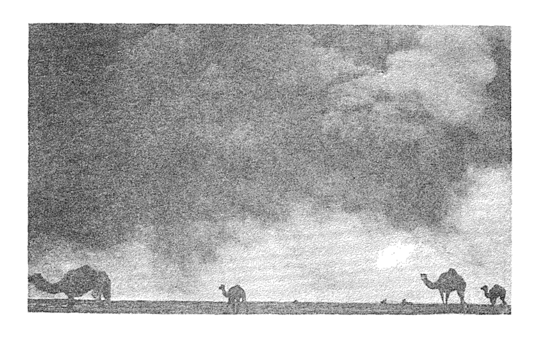




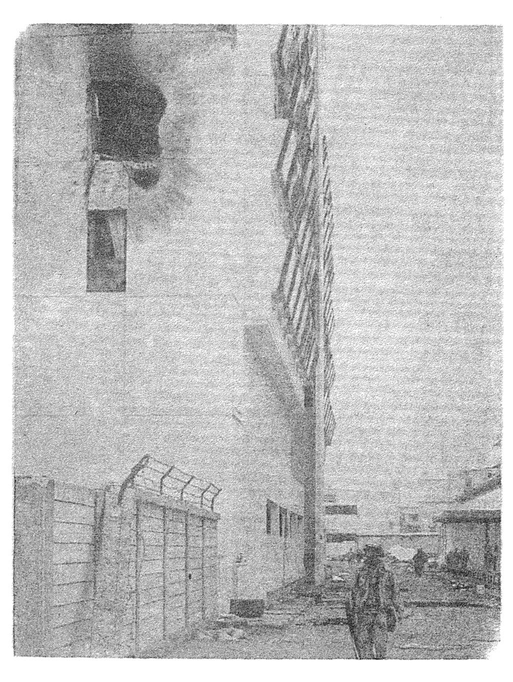




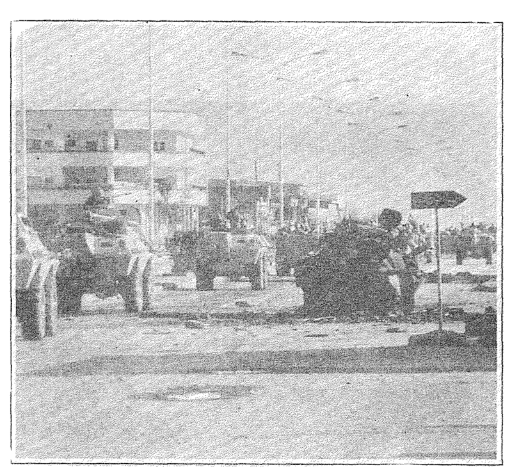
**نتائج الحرب .. دمار لا يعرف الرحمة !!**

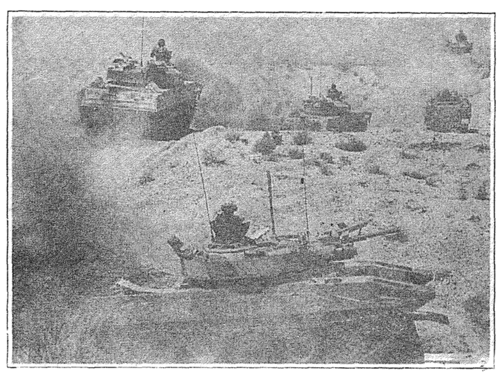


حرائق النفط .. ليس المهم من تسبب فيها .. ولكن المهم أيضا من سيدفع ثمنها : البشر والحيوانات معاً !!

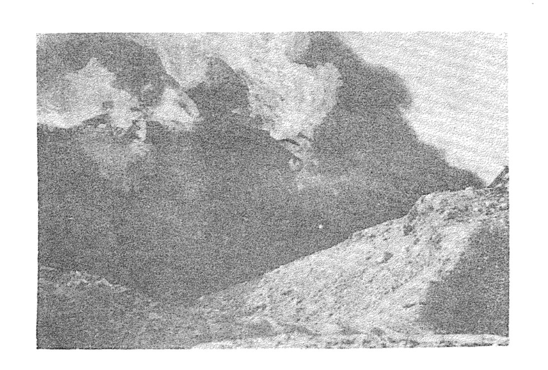


* حرائق .. ودمار !! هذه هي النتيجة .

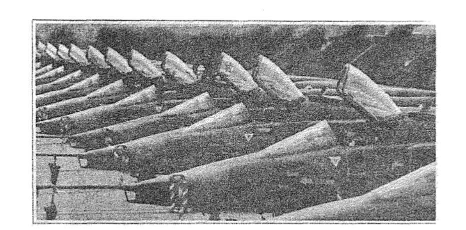




معركة الخفجي ... والثمن الفادح !!



حرائق الدبابات ...



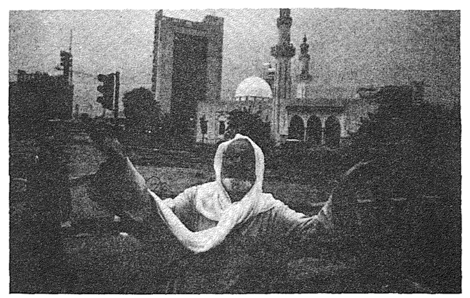




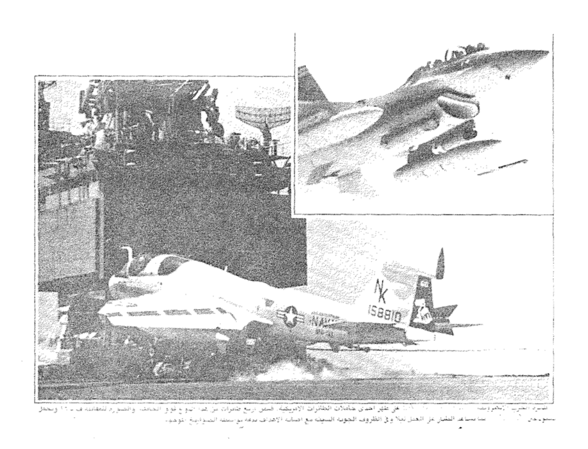



**بوش .. وأسلحته !!**



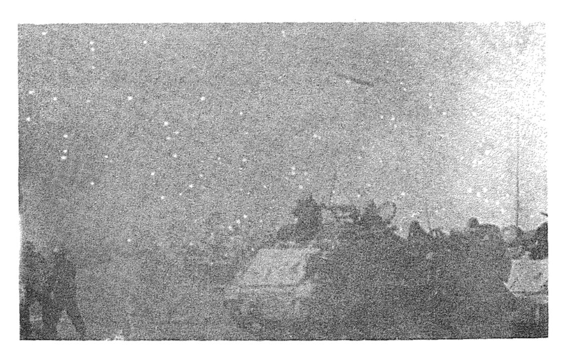


*الأمير خالد بن سلطان – والجنرال شوارزكوف .. ورجل كويتي .. ترى بماذا يدعو ربه !!



[illegible] على ظهر احدى حاملات الطائرات الامريكية [illegible]

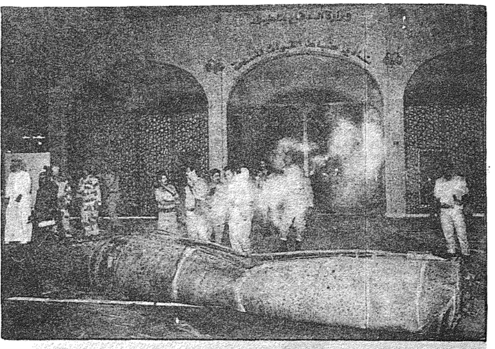
[illegible] مما يساعد الطيار على العمل ليلا وفي الظروف الجوية السيئة مع اصابة الاهداف بدقة بواسطة الصواريخ الموجهة.



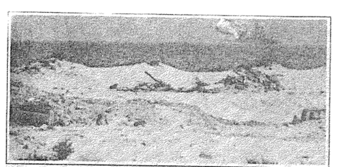
**إنها الحرب : بالنهار وبالليل .**



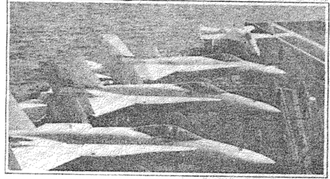
● فى جنوب العراق . لقاء صدام حسين مع قادة وضباط الحرس الجمهورى فى ملجأ حصين تحت الارض ، حيث توجد فرق الحرس الستة المزودة بالدبابات الحديثة وبدون غطاء جوى



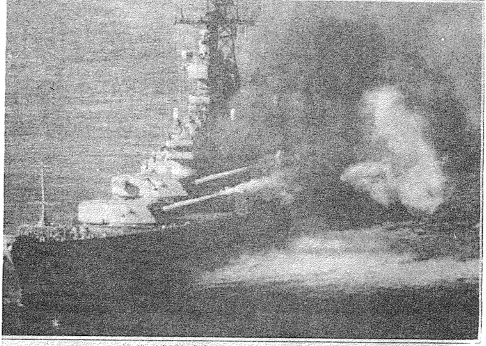
● فى احد شوارع الرياض : حطام صاروخ سكود الذى اطلقه العراق ليلا وسقط امام نادى الضباط والدخان يتصاعد منه بينما وقف الضباط السعوديون يفحصون الحطام



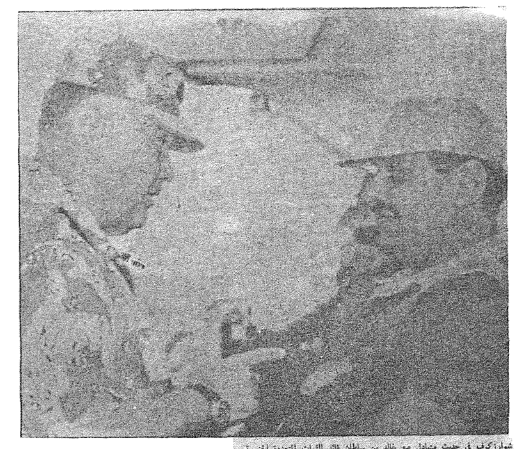
البارجة «ميسوري» التي شاركت بفعالية في القصف البحري



مجموعة من طائرات ف - ١٥ فوق احدى حاملات الطائرات في منطقة الخليج

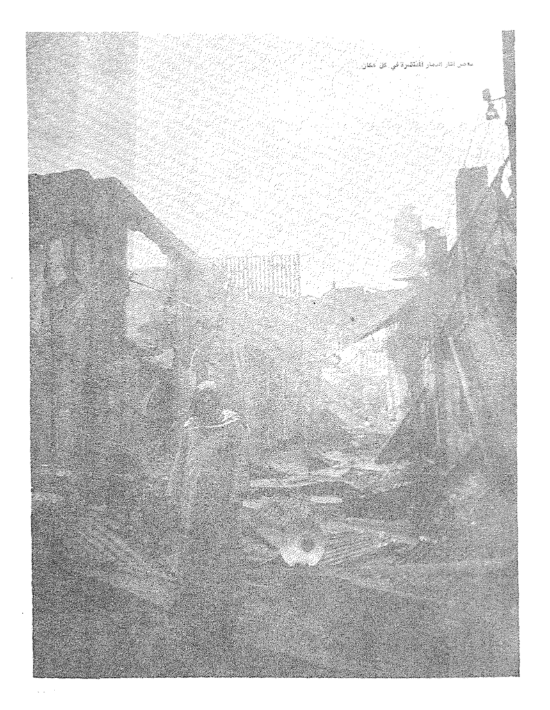


البارجة «ويسكنسون» تصب حممها على المواقع العراقية في الأراضي الكويتية



شوارزكوف فى حديث متبادل مع خالد بن سلطان قائد القوات المتعددة الجنسية .

## خطة النهاية في عقول (القادة) !!

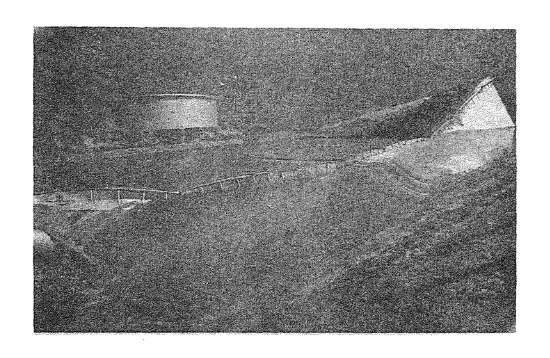


بعض آثار الدمار المنتشرة في كل مكان

**النهـايـة = دمـار !**



أطفال العراق : ضحايا الجميع !!



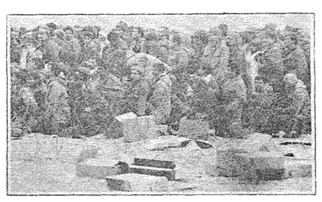
**شركات النفط بالكويت .. تدمير حتى النهاية .**

# الجزء الثالث

## من الصور الوثائقية
## الاستسلام ونتائجه





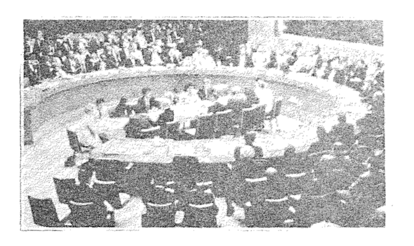


* الأسرى – والقتلى

ضحايا صدام ... والحرب معاً !!

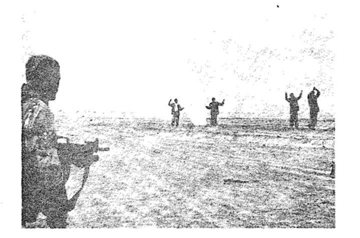






* الأسرى العراقيون أعلى الصورة .. والأمم المتحدة أسفل الصورة .. هل يا ترى ثمة علاقة بين الأثنين !!



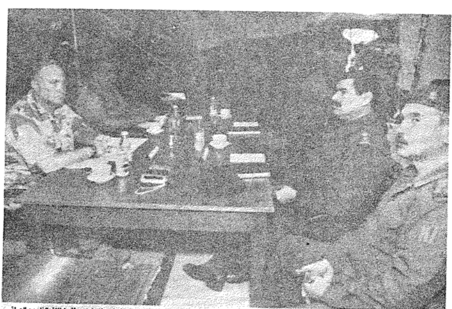


جندي فرنسي يلغي مفعول احد الالغام





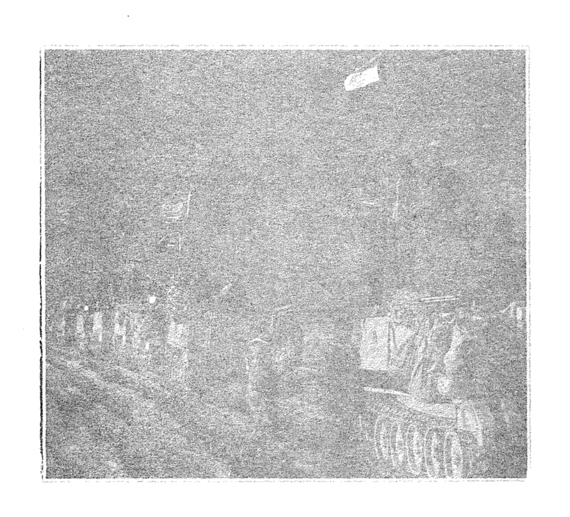
صورة من آثار الدمار في جنوب العراق



الفريق الركن الامير خالد بن سلطان قائد القوات المشتركة ومسرح العمليات والجنرال نورمان شوارزكوف يرأسان وفد التحالف في مفاوضات وقف اطلاق النار مع العراق

# الجزء الرابع

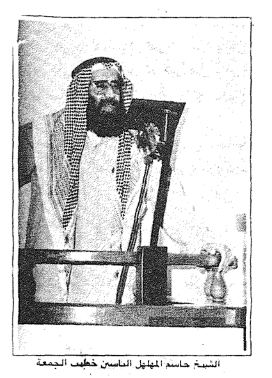
## أفراح (عودة الكويت).. والمحاكمات





الكويت ... على وجوه النساء !!





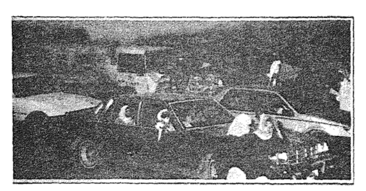
الشيخ جاسم المهلهل الياسين خطيب الجمعة

أعلى : د . محمد عمارة المفكر الإسلامي المستنير يصافح الملك فهد بعد الحرب .

أسفل : الشيخ جاسم المهلهل الياسين خطيب سلفى بالكويت : بعد الحرب والكل يؤيد الحرب ونتائجها .



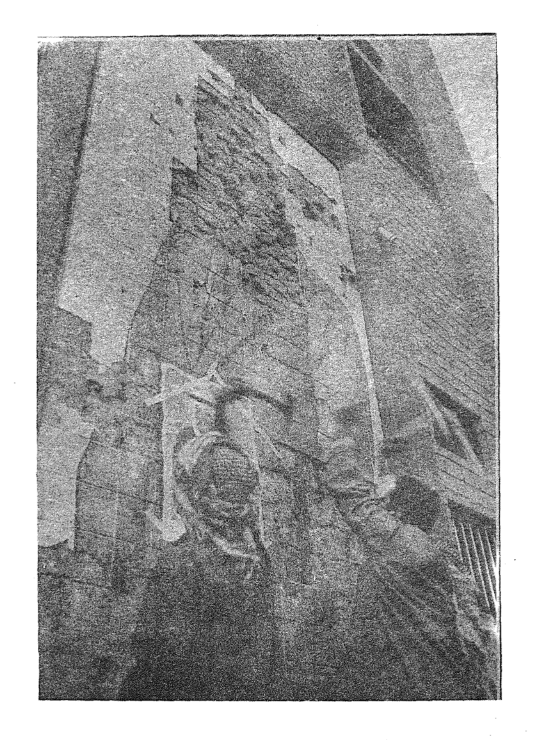
عودة الكويت .. مرة أخرى !!



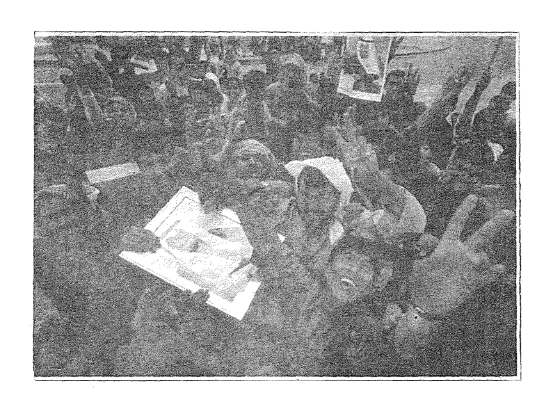




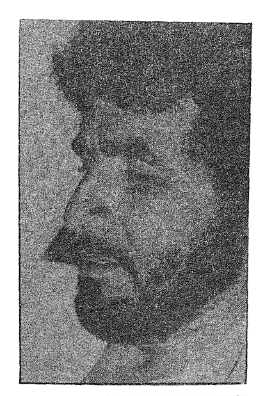
* هكذا احتفل الكويتيون بالعودة .



أسقاط صور صدام في الكويت ... !!



**عودة الكويت على الوجوه !!**

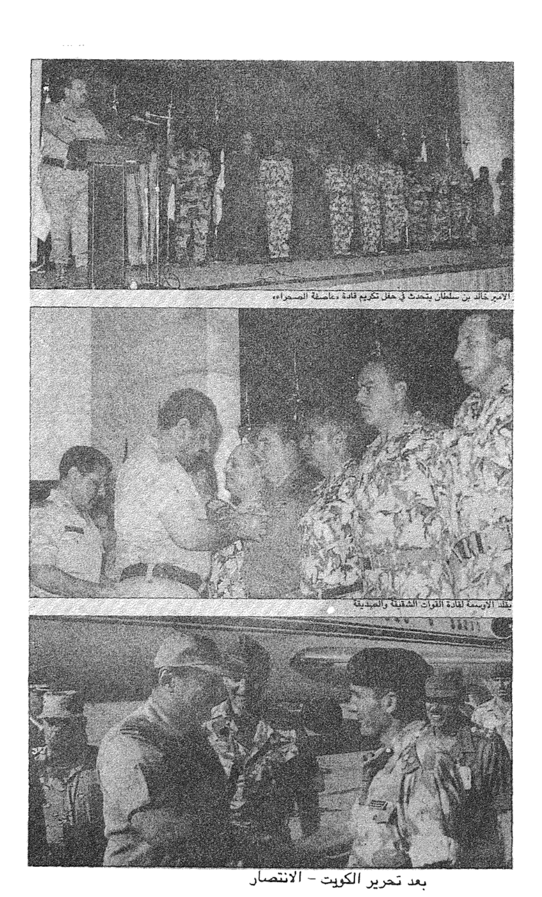


* عادل عقونة ـ هارب.



**هؤلاء تم محاكمتهم في لكويت بتهمة التواطؤ مع العراق .**






بعد تحرير الكويت – الانتصار

وتكريم من ساهم فيه .



# هــــذا الكتـــــاب

## القـــادة فى طبعـــة متميـــزه

الوثائق والأسرار النادرة بالكلمة المعبرة والمعلومة المثيرة نقدم هذه الترجمة الكاملة لكتاب القاده .

للصحفى الامريكى الشهير بوب ودورد الذى سبق له أن فجر فضيحة وترجيت الشهيرة ومؤلف كتاب « الحجاب » الحروب الخفية لوكالة المخابرات الامريكية .

القادة كتاب يبحث عملية صنع القرار فى الادارة الامريكية خلال أزمة حرب الخليج من واقع أوراق المخابرات الامريكية والبنتاجون والأبواب الخلفية للبيت الأبيض .

وهذه الترجمة متميزة عن كل الترجمات العربية التى صدرت ... لماذا ... ؟

لأنها تحتوى على إضافات ووثائق نادرة تنشر لاول مرة فهى تحتوى على مقدمة عربية كاملة عن أسرار المجتمع العراقى والكويتى بعد الحرب وعن الملفات السرية لحقوق الانسان بالعراق وتحتوى لاول مرة القصة الكاملة لحياة الرئيس الامريكى جورج بوش وخفاياه المثيرة .

هذا فضلا عن ملحق نادر من الصور الوثائقية المعبرة عن تطور أزمة الخليج من ٢/ ٨/ ٩٠ حتى ٢ / ٨ / ٩١ تنشر لاول مرة .

أنه كتاب غير عادى بترجمة متميزة وغير عادية .

أنه كتاب يفرض نفسه فى متعة وإثارة .

Bibliotheca Alexandrina
0523542